من حكايات جدتي

" الجزء الأول "

من حكايات جدتي

" الجزء الأول "

بدري نوئيل يوسف

من حكايات جدتي

" الجزء الأول "

اسم الكاتب: بدري نوئيل يوسف
تدقيق لغوي: فريق المكتبة العربية
تصميم الغلاف: محمد سعد الشحات
الإخراج الفنيّ: جمال عبدالرحيم
الطبعة / الأولـى
رقم الإيداع: 20497 / 2018
الترقيم الدولي: 978-977-776-775-0

Arabiclibrary2017@gmail.com
Facebook.com/arabiclibrary2017
السادس من أكتوبر – المحور المركزي – مول سيتي ستار
01030365801

جميع الحقوق محفوظة

مقدمة الكتاب
من حكايات جدتي . الجزء الأول

في الذاكرة تبقى للحكايات الشعبية ذكريات لا تمحى، اتخذت لنفسها موقع الصدارة؛ لأنها مستقرة في الأعماق، تتبوأ منذ نعومة أظافرنا حيث يصعب إزاحتها عن المكان الذي أخذته من الذاكرة، تلك الحكايات جعلتنا ندخل شيئًا فشيئًا في عالم الخيال، فمنذ أن بدأنا في نطق أولى الكلمات، أو فهم أولى العبارات من الذين يتولون تربيتنا وإعدادنا للحياة المقبلة، أو من المقربين منا فكنا نسقط الخيال على الواقع وعلى البيئة التي فتحنا أعيننا عليها.

الحكاية الشعبية لها راوي بدءًا من الأم أو الجدة أو أي شخص آخر يتطلب منه حنكة ودراية بفن السرد والتشويق بحركات اليدين أو تعبير الوجه، وتارة بتغير نغمة بالصوت، ولا يتوقف الأمر على سرد الحكاية؛ فهناك مقدمات وعبارات تمهيدية تقدمها الجدة أو الراوي بتقليد أصوات الحيوانات أو الظواهر الطبيعية، يستخدم ما نطلق عليه الآن في المسرح والفنون الأخرى اسم المؤثرات الصوتية.

هذه الحكايات حكتها جدتي كحوادث خرافية زمنها الماضي غير المحدد (في قديم الزمان)، مكانها من نسج الخيال، وشخصياتها بشرية خرافية، ويسمح للحيوان والأشياء الأخرى بأن تظهر وتعمل وتشارك الإنسان في الأعمال والنوايا.

وتحمل هذه الحكاية في ثناياها وعظًا وتوجيهًا، ومغزى أخلاقيًا ترمز إلى أن الناس والمخلوقات الأخرى متعلقة بعضها بالبعض الآخر حتى ينتهي المطاف إلى الله الخالق.

كنا نجلس حول منقل الفحم ونسمع ما تروي لنا جدتي (رحمة الله عليها) أو حول مدفئة نفطية (صوبة علاء الدين)، ولا تشبه أيامنا هذه وكل فرد من أفراد العائلة يعيش بعالم منعزل يمارس فيه حياته كما يشاء ويعيش داخل عالمه الخاص، الأبناء منشغلون بأجهزة الهاتف الذكية أو متابعة المباريات الرياضية، والأطفال الصغار بألعاب أجهزة أي باد، والبنت منشغلة بالحديث مع صديقاتها، والأب يتابع صفحاته على مواقع التواصل الاجتماعي، وربما يراجع أعماله، والأم تتابع المسلسلات أو منهمكة في مناقشات حول قضايا تربية الأبناء على مدونتها أو صفحتها على الفيس بوك. ولكن أيام زمان عندما كانت العائلة خالية البال لا يَشْغلها شاغل، مطمئنة القلب، لا يوجد تلفزيون ولا فضائيات ولا أجهزة ذكية، كنا نسمع الحكاية ونناقش مغزاها ولماذا حكيت.

نحن في الزمن الذي أضاع الحكاية الشعبية وتوارى وراء التطور التقني الهائل وظهور الوسائل الإعلامية الحديثة وانتشار الأجهزة الذكية، ولم تعد عبارة (كان يا ما كان) تغري أطفال ولن يتذكروا جداتهم ولا حكاياتهن وصوتهن وتجاربهن ومعاناتهن، ذلك البريق والسحر، وأصبحت الجدة -الحكواتي- مجرد ذكرى، ولم يبقى للجدات -أطال الله أعماره-ن أكثرمن عمل بسيط في منزل ابنها أو ابنتها يتمثل عملها في تقشير الباذنجان والكوسا وتنقية حبات العدس أو الرز من الشوائب واستبعاد كل دخيل منه؛ فتهيئه قبل الطبخ لتقدمه إلى أفراد عائلتها نقيًا من كل ما يمكن أن يكدرعليهم وجبتهم.

لقد كان للجدة في محيط الأسرة دور هام وحيوي في ذلك الزمن القديم، لم تكن امرأة مسنّة مجرد تعد السنوات الباقية من عمرها، ولم تكن كما الآن عاجزة مرمية في دور العجزة، أو تبحث عن ابنها المفقود أو المرمي في السجون، بل كانت ذات تجربة معلمة ومربية ومؤسسة تربوية من خلال الحكايات والأمثال والحكم والأغاني والأهازيج الشعبية التي تقدمها محملة بجمالية

السرد وأسلوبها الساحر والمشوق مفعمة بالمخيلة الخصبة وتغرس القيم والأخلاق النبيلة في قلوب الأطفال، ومخزونها من تراث الأمة وتاريخها وحضارتها لا يكاد ينضب من المخيلة الجماعية عن اعتقادات المجتمع وأعرافه وثقافته.

أتذكر تلك الحكاية الساذجة التي سمعتها من جدتي؛ حكاية الخنفساء التي لا تتعدى ظاهريًا خيالات أطفال، وأذكر ما تعلق بخاطرتي منها؛ لتكون صورة صادقة لمجتمعنا في ذلك الحين.

في الشتاء يجتمع الرجال في المضيف أو ديوان شيخ القبيلة، أو في حجرة واسعة طويلة في بيت أحد الموسرين تسمى الديوانية، أما في الصيف يجتمعون في الحوش (الفناء) الخارجي لأحد البيوت بعد الاتفاق بين رجال المحلة، ويختارون البيت المناسب حتى يلتفوا حول الحكواتي ليستمعوا للحكاية، وتفرش البسط والسجاد، ويضع في الوسط منقلة الفحم وفوقها دلات القهوة، وفي بعض الأحيان يجتمع الرجال في إحدى الحارات بعد أن تنظف وترش بالماء كي تبرد، ويجلس الرجال متقابلين، أما في المدن الكبيرة هناك مقاهي خاصة لسماع القصص التراثية أو الشعبية، التي يرويها الحكواتي أو الراوي الذي يجلس فوق كرسي أعلى من بقية الكراسي، وإذا جلس الرجال فوق البسط فيكون له مقعد خاص بارتفاع مناسب، والحكواتي شخص امتهن سرد القصص في المنازل والمحال والمقاهي والطرقات، ويحتشد حوله الناس ولا يكتفي بسرد أحداث القصة، ولكنه يتفاعل مع أحداث القصة ويشد جمهوره حوله، وما يزيد في الحماسة والتشويق أن الحكواتي كان يقوم بتجسيد شخصيات روايته وكلامهم بتحريك يديه وتغيير نبرة صوته أو تضخيمه، في الغالب يصطحب الحكواتي معه كتابًا مستعينًا به بشكل دائم مدونٌ فيه الحكايات، غالبًا ما يكون سرد الرواية أو الحكاية عن شخصية تاريخية، وفي نهاية كل حكاية لا بد أن ينتصر الخير، وتدور جميع الحكايات عن

البطولة والشجاعة والشرف والمروءة ونصرة المظلوم الذي يمثله بطل الرواية.

إذا طالت الحكاية لليالي وأيام؛ فالحكواتي كان يحرص على أن تنتهي أحداث القصة كل ليلة بموقف متأزم، والبطل في مأزق؛ حتى يحمّس المستمعون ويجعلهم متشوقين لسماع بقية الأحداث، يقال أنه وصل الأمر مرة إلى درجة أن أحد المستمعين لم يستطع أن يصبر إلى اليوم التالي فلحق بالحكواتي إلى بيته؛ ليعرف بقية القصة،

والمفارقة في الأمر أن بعض المستمعين كانوا يرفضون الذهاب إلى بيوتهم قبل أن يستمعوا إلى بقية القصة ويطمئنوا إلى أن بطل الحكاية اجتاز محنته، وكيف سيخلص البطل نفسه من المأزق، وأسلوب الحكواتي وطريقة حكايتها يجعل جمهوره في تشوق دائم لمعرفة وقائع القصة أولًا بأول. أما أجرة الحكواتي فكان يتقاضاها من صاحب المقهى الذي يتولى تحديد بدل الدخول إلى مقهاه بما في ذلك المشروبات، فكان الزبون يدفع عشر بارات -أي ربع قرش- مقابل الاستماع إلى الحكواتي وثمن المشروبات، أو يدفع خمس بارات مقابل أي منهما، ويتواصل عمله على مدار السنة، وأكثر الحكايات كانت قصة عنترة، والسيرة الهلالية، وألف ليلة وليلة، أما الحكايات الشعبية فكان لها أسلوب اجتماعي هدفه الإصلاح والتقويم والتوجيه في مجال الحياة العامة، نجد في الحكاية النقد اللاذع والسخرية المُرّة والنادرة، كما نجد فيها العبرة الرادعة والإقناع بحقيقة الواقع الأليم، انتهت مهنة أو حرفة الحكواتي بانتفاء الحاجة إليها، كانت وسيلة تسلية جماعية، وفي الوقت نفسه وسيلة تثقيف وترسيخ للقيم والأخلاق التي يتحلى بها أبطال القصص والروايات التي كان يسردها الحكواتي، ونسبة عالية من الحكايات والقصص غير واقعية.

الحكايات أدناه تشمل جوانب البيئة المختلفة في أسلوب التواصل والتعامل بين الآباء والأبناء، وما له علاقة بالنصيحة والتربية وحياة الأفراد الواضحة والمستورة، بهذا التفاعل بين الحكاية الشعبية والبيئة أصبحت الحكاية الشعبية وعاءً لكثير من أحداث التاريخ، وتصويرًا شعبيًا لهذا التاريخ على صدر الإحساس الشعبي العميق لهذه الوقائع. كثير من الباحثين يعتقدون أن الحكايات الشعبية محاولة لاستبدال فشل الإنسان في تلبية حاجات معينة لم يقدر على تحقيقها، لكن الحكايات الشعبية واضحة في سياقها وتستهدف في طياتها معاني في ظل منهج فلسفي تبرز بعِبَر وفضائل الأخلاق والسلوك الإنساني، وتنقل الاتِّعاظَ والاعتبارَ بما مضَى عبر الزمن للأجيال القادمة، تحمل في ثناياها أفكار ووسائل الرقي بالعقل الإنساني، وتعالج قضايا واقعية حقيقية بأسلوب سردي قصصي ممتع بمختلف أنواع الحكايات الشعبية؛ منها دينية، أو فلسفية، أو سياسية، أو اجتماعية، أو حتى اقتصادية، تتخذ أساليب كأسلوب التهكّم والسخرية والفكاهة الهادفة، لا لمجرد إضحاك المستمع أو القراء، أو تدعو للمحبة والسلام بين شعوب الأرض الواحدة وطهارة القلوب بين البشر.

لا تخلو أية ثقافة من قصص ضرب الأمثال؛ لأنها تعبير شعبي، وتتسم الأمثال بسرعة انتشارها وتداولها من جيل إلى جيل، وتعكس مشاعر الشعوب على اختلاف طبقاتها وانتماءاتها، ونجدها تعكس وتصور أفكار وعادات وتقاليد ومعتقدات من حياة الشعوب، في دلالة إنسانية شاملة وفي صورة حية تنقل من لغة إلى أخرى عبر الأزمنة والأمكنة، فهي بذلك عصارة حكمة الشعوب وذاكرتها، بالإضافة إلى إيجاز نصها وجمال لفظها وكثافة معانيها؛ لأنها من أبرز عناصر الثقافة الشعبية، فهي مرآة لطبيعة الناس ومعتقداتهم،

وتعكس المواقف المختلفة، بل تتجاوز ذلك أحيانًا لتقدم لهم أُنموذج يُقتدى به في مواقف عديدة؛ لتغلغلها في معظم جوانب حياتهم اليومية.

ونشأت الأمثال الشعبية ليست وليدة الساعة، بل لكل مثل شعبي حكاية تشكل أُنموذج عيش، وتماثل مع التجربة التي أحاطت بمن ضرب به المثل، الذي يتداول بشكل واسع من دون معرفة أصوله أو معانيه عن طريق إسناده إلى موقف من المواقف التي قد تتشابه مع معنى هذا المثل، ولكن ما هي قصة هذا المثل وما السروراء تداوله إلى حد هذا اليوم. من طرائف الأساطير الهندية القديمة هذه الأسطورة تقول: خلق الله مخلوقًا قويًا سماه الرجل، وسأله: هل أنت راضي؟ فأجاب الرجل: كلا. قال الرب: وماذا تريد؟ فأجاب الرجل: أريد مرآة أنظر فيها مجدي، وعلبة أضع فيها حلاي، ووسادة أتكئ عليها، وقناعًا أختبئ وراءه وأنا تعس، وألعوبة أفرح بها، وتمثالًا أملأ عيني بجماله، وفكرة تستفزني، ومنارة أهتدي بها، فخلق الله المرأة.

لم تخلو الحكاية الشعبية عن أهم حيل الرجال مع المرأة وبالعكس، رغم أنها وسادة يتكئ عليها ومنارة يهتدي بها، وكأنهما يلعبان لعبة القط والفأر، فمرة تخدعه بحيلة، وتارة يكذب الرجال على النساء، ومن ثم يقعون من خلال زلة لسان في الجلسة ذاتها، والمعروف بأن المرأة تكره أن يكذب عليها الرجل في الأمور العاطفية؛ لأن ذلك يجرحها كثيرًا، ويتصور بعض الرجال أن المرأة مخلوقة ضعيفة، ولكن الحقيقة أن المرأة تستطيع من خلال نظرة واحدة

اكتشاف ما إذا كان الرجل يحاول أن يخدعها، وهذه الحكاية تحكي دهاء ومكروحيلة المرأة.

ملاحظة: الحكايات جميعها من التراث الشعبي.

بدري نوئيل يوسف
سودرتاليا . السويد

الحكاية الأولى
الرجل المجنون والديك

حدثتنا جدتي ونحن مجتمعين حولها بالقرب من المدفئة النفطية:

يحكى أنه كان في قديم الزمان ثلاثة أصدقاء يقطعون الصحراء في طريقهم إلى المدينة للتجارة، وبينما هم يتجاذبون أطراف الحديث لَمَحُوا على بعد أمتار قليلة منهم ثلاثة أكياس من الذهب ملقاة على الأرض، وقربها ثلاثة رجال لقوا حتفهم، تَساءلَوا مع بعض ربما عطشًا أو تعبًا، أو وقع لهم حادث، لا أحد يدري، فرح الأصدقاء الثلاثة كثيرًا وقرروا تقاسم الثروة فيما بينهم لكل واحد منهم كيس.

وبما أنهم أصبحوا على مشارف المدينة قرروا إرسال واحد منهم ليأتيهم بالطعام؛ كي يرتاحوا قليلًا، ثم ليكملوا طريقهم. وفي السوق قرر هذا الذاهب للتسوق وشراء الأكل الاحتفاظ بالذهب كله، واشترى السم ووضعه في طعام صديقيه، ولكن الذهب لم يعمي عينيه هو فقط، بل عيني صديقيه أيضًا، وقررا قتله عند عودته واقتسام الذهب بينهما؛ ليحصلا على حصة أكبر منه، وعندما عاد صديقهما من السوق هجما عليه وقتلاه، وجلسا للطعام، ما هي إلا دقائق حتى بدأ السم يجري في جسديهما وماتا قرب صديقهما، وبقي الذهب على حاله.

تقول جدتي:

وغدًا قد يمر مسافرون آخرون بقربهم، ويجدون الذهب ويسألون أنفسهم عن سر موتهم، ولكن هل سيموتون ميتتهم، أم سيكملون طريقهم بعيدًا؟ النوايا السيئة تقتل أصحابها، والطمع يفسد النوايا.

نعود لحكايتنا الأسبوعية تقول جدتي :

كان يا ما كان وعلى الله التكلان (أي الاتكال)، هذا ما كانت تقوله جدتي عند البدء بحكايتها ونحن ملتفين حولها ونسمعها بشغف، تحكي حكايتها الرائعة ثم تضيف وتقول: كل من عنده ذنب يقول التوبة وأستغفر الله، في أحد الأيام اشترى رجل مجنون ديكًا، وسار به متبخترا، فطار الديك وتبعه فإذا به يدخل في حزمة شوك ويختنق ويموت، فوقف أمام صاحب الشوك قائلًا: إما الديك أو الشوك، فخاف منه الرجل وأعطاه الشوك، فسار الرجل يحمل الشوك قرب تنور خبازفطارت شرارة من التنور أحرقت حزمة الشوك؛ فتقدم الرجل المجنون من صاحب التنور وهو يقول له: إما التنور أو حزمة الشوك؛ ففزع الرجل من غضب المجنون وأعطاه التنور؛ لكي يخلص من شره، حمل الرجل التنور ومشى مسافة، وبعد مدة من الزمن تعب الرجل وضع التنور على الأرض وصادف مرور قطيع من الأبقار، فهاجت إحدى البقرات وجرت مسرعة باتجاه التنور وأخذ نطحى قوية بقرونها وانكسر التنور، فصرخ في وجه الراعي الذي أخذ يرتجف من خوفه رعبًا من تصرفه، وقال له: إما التنور أو البقرة، فأعطاه البقرة وهو يرعد من الخوف ومن تصرف الرجل المجنون، وقاد قطيع البقر بعيدًا عن المجنون مسرعا لئَلّا يطلب منه أكثر أو يصيبه بأذى.

أخذ المجنون البقرة وسار حتى شارف ضواحي إحدى القرى، وإذا بحفلة عرس فخمة تقرّب من المدعوين واندسّ بينهم مع بقرته، ورافق دخول شخصين أحدهما يضرب على الطبل، والثاني على المزمار صاحبهما تصفيق وصياح عالي؛ فأصاب البقرة فزع شديد وأخذت تجري مسرعة على غير هدى، وصادف أثناء جريها حفرة بعيدة الغور سقطت فيها وتكسرت عظامها وأخذت تلفظ أنفاسها الأخيرة، عاد المجنون إلى العروس وجرها من يدها وهو يصرخ: إما البقرة أو العروس، ولم يجازف أحد التعرض له خوفًا منه، وسار أمامها

وهي تتبعه خائفة حتى داهمهما الظلام، فرأى من بعيد كوخًا؛ فقصده وطلب من أهله المبيت فيه فأحسنوا ضيافته، ورقد المجنون مع العروس وكانت فوقهما شمعة كبيرة تنير الغرفة، وفي أثناء نومها تحرك أحدهما ودفع الشمعة فسقطت على العروس فاحترقت وماتت، وهنا صاح المجنون: إما العروس أو الشمعة، فأعطاه المضيف الشمعة كما أراد؛ فأخذها وانصرف حاملًا إياها والليل لا يزال ضاربًا أطنابه، وبينما هو يسير في الطريق مر ببئر فظهر ظله والشمعة بيده؛ فظن ذلك رجلًا جاء يتحداه ويتعرض له فهجم عليه وسقط في البئر وغرق فيه هو وشمعته معه، ونجا الناس من شره.

هذه الحكاية الخرافية تقدم التسلية والإفادة للأطفال، ويؤثر الخيال الشعبي تأثيرًا كبيرًا في صياغتها، وتميزّت بأن أبطالها هم من البشر والحيوانات والجماد، واعتمدت على رسم قويّ لشخصية الرجل المجنون والوضوح والاكتفاء بالضروري من الكلام، وحرصت على كسب ثقة المستمع؛ لأن أحداث الحكاية لم تخرج على حدود اللامعقول والمستحيل.

الحكاية الثانية
الخنفساء

كان لجدتي كرسي قديم مصنوع من عود الخيزران، وكانت تعتني به وتمسحه كل أسبوع بزيت الزيتون، ولا تسمح لنا بالجلوس فوقه. سَأَلْنَا جدتي: ما هو عود الخيزران؟ ماذا تعرفين عنها؟ قالت:

الخيزران هي جذوع مجوفة ومقسمة إلى عقد أو مفاصل، واستُخدم سيقان نبات الخيزران (البامبو) المجوفة في صناعة الورق منذ ألفي عام. كما يستخدم الخيزران وينبت الخيزران في كل القارات، ويمكن زراعة الخيزران ويفضل زراعته في الجو المعتدل في وجود الأمطار، ولكن لا مشكلة من زراعته صيفًا بشرط حمايته من أشعة وحرارة الجو بوضعه تحت الظلال، ويقال عود الخيزران هو عود أصله من نباتات قصب البردي، حيث يكون داخل هذا العود مجوف وتستخدم لعمل الكراسي أو الأسرة للنوم، وهذا القصب لا يُزرع، بل ينبت طبيعيًا في مياه الأهوار والمستنقعات، وهناك من يقول بأن عود الخيزران هو ليس من قصب البردي، وإنما هو عود مستورد وباطنه غير فارغ، ومنه يتم تصنيع الكراسي والأسرّة الخشبية قديمًا وكثيرًا من الأثاث المنزلية.

واستمرت جدتي بالحديث قائلة:

هناك عصا يحملها بعض ضباط الجيش، وفكرة العصا تعود إلى المملكة البريطانية المتحدة، كان اختراعها للأشخاص المكفوفين؛ أي الذين لا يستطيعون الرؤيا؛ فكان لون العصا أبيض لتمييزها من قبل المواطنين، وهي تساعد الشخص المكفوف في التوجيه والاستدلال والتحسس؛ لتجنب الإيقاع واستدلال الطريق الصحيح. والضابط الذي يحمل العصا هو شخص مخوّل لتصحيح الأخطاء والتوجيه والاستدلال ومحاسبة المخطئ أو المسيء. وهي

عصا من شجرة السفرجل تتميز بأن سطحها غير أملس كليًا، بل تحتوي على بعض العقد، والعقد هذه تكون متقابلة، وهذه العصا تسمى عصا التبختر، وللعلم فإن ضربة هذه العود من شجرة السفرجل تكون مؤلمه جدًا. وأقوى من تلك عصا الرمان، ولا ننسى بأن الضرب بعود الرمان مؤلم جدًا، وأكثر عصا المعاونين بالمدارس قديمًا كانت من شجرة الرمان.

أما حكايتنا لهذه الليلة: أتذكّر تلك الحكاية الساذجة التي سمعتها من جدتي؛ حكاية الخنفساء التي لا تتعدى ظاهريًا خيالات أطفال، وأذكر ما تعلق بخاطرتي منها؛ لتكون صورة صادقة لمجتمعنا في ذلك الحين.

تقول جدتي: كان يا ما كان على الله التكلان، كل من عليه ذنب يقول التوبة وأستغفر الله.

كان في الزمن القديم خنفساء عندها بيت صغير، وفي يوم من الأيام كانت تكنس وتنظف حوش البيت عثرت على بارة (عملة نقدية قديمة)، ولما كنست غرفة النوم عثرت على بارة أخرى، وهكذا أصبح لها خمس بارات من تنظيف جميع مرافق المنزل، ذهبت الخنفساء إلى العطار واشترت لها الحمرة وقلم كحل وعادت إلى بيتها، بعدما وضعت الخنفساء المساحيق والأصباغ على وجهها وكحّلت عينيها وارتدت أجمل ثيابها قعدت على عتبة باب منزلها تعرض نفسها للشباب؛ لعل أحدهم يتقدم لخطبتها، وكانت هذه الخنفساء محظوظة فقد تقدم كثير من الشباب لخطبتها، كان أولهم النجار والحداد فالخياط فالبناء ثم التاجر، وكلهم حبّبَ إليها نفسه ومهنته ومنّاها بأعظم الأماني، فعرض عليها النجار أن يصنع لها الأثاث الجميلة، والحداد أن يصنع لها المصنوعات الحديدية الجميلة، والخياط أن يخيط لها نوادر الحلل والملابس، والبنّاء يبني لها دارًا فخمة، والصائغ يصوغ لها أجمل الحلي الذهبية الجميلة، والتاجر يجلب لها البضائع النادرة من أقصى البلدان، ولكنها رفضتهم جميعًا،

ولكنها رفضتهم جمعيا بغضب وتعالٍ وكانت تقول لكل واحد منهم (أنا بيضاء ونقية ويزين وجهي لون وردي ساحر فمن أنتَ حتى أتزوجك)، وأتذكر اللفظ العامي لهذه العبارة ((وي خنفس خنفس أمك، والبغلة ترفس أمك، أنا بيضاء نقية وخدودي قرمزية، أنت أشنك دا آخذك)).

وهكذا استمر الحال، فمر عليها بياع المعسل ورفضته، ومر القاضي راكب حماره ورفضته، وأخيرًا تقدم إليها الجرذ فردته أولًا، ثم سألته: ماذا تعمل؟ فقال لها: أنا كل يوم أقدر أدخل بيت السلطان وأسرق الدهن والعسل والجوز والبندق والفستق، وأقدم لكِ كل ساعة ما لذ وطاب من الطعام والشراب، ويظهر أنها كانت شرهة نهمة للأكل، أو يمر البلد بمجاعة في ذلك الحين يهدد كل حي، فوافقت على الزواج منه، ولم تمضي مدة طويلة على زواجها دخل الجرذ منزل السلطان وقفز في دن من الدهن، فصار وسطه وابتلعه ومات، وفي اليوم التالي دخلت الخادمة؛ لتجلب الدهن ورأت الجرذ غارقًا في الدهن، فأخذت تصرخ وتنادي سيدة المنزل زوجة السلطان وتجمع الخدم حولها، وأخذوا دنَّ الدهن ورموه في الشارع، انتظرت الخنفساء عودة الجرذ حتى المساء، وأخيرًا خرجت تبحث عنه فوجدته مرميًا في الشارع بالقرب من منزل السلطان، وأخذت تبكي وتلطم على حالها وتردد: كيف رفضت الكثيرين وتعلقت بالجرذ؟

وفي الختام تقول جدتي:(كنا عدكم وجينا، لو كان بيتكم قريب كان جبنا لكم حمل زبيب، وتقسموه حفنه لكل طفل، وتذكر أسماء الأطفال المتلفين حولها).

اعتقد ترمز هذه الحكاية إلى أمور كثيرة وفيها دروس وعبر، فهي تبين كيف أن البسطاء يغرّهم الدجالون فيوقعوهم في حبائلهم، وكيف أن كثيرين من التافهين إذا وجدوا لهم مظهرًا يغطيهم ليجبروا ويكبروا كما فعلت الخنفساء،

ولكن غرورها أوقعها في الفخ، كما تشير هذه الحكاية إلى ناحية مهمة، وهي أن الطعام أول من يطلبه الإنسان والحيوان؛ لأنه سبيله الوحيد للبقاء، ولهذا فضّلَت عرض الجرذ.

كما وأن الخنفساء تمثل الأنوثة التي لها مطالب غريزية في الحكاية، تمثلت في الرغبة الجامحة للزواج والاستقرار مع من يقدم لها عرضًا مثاليًا تقتنع به، وتجسد دور الفتاة التي تتخذ أي قرار دون الرجوع إلى موافقة ومباركة الأهل، ورسالة واضحة للفتيات بعدم القدوم على أي قرارات خاصة، وفي نفس الوقت تعطي نوعًا من حرية اختيار من تحب وتعشق؛ فيكون اختيار الزوج لا يصاحبه التوفيق، وجاءت لتعكس خلاصة تجارب، وتعطي صورة نابضة حية عن واقع الأمة عبر مراحل تاريخها الطويل، تتجلى فيها حكمة الشعب وعصارة تجاربه وتفاعله في المراحل التاريخية التي عاشها، وتعطي وصفًا لبعض الجوانب من الحياة الإنسانية؛ فتعيد لذاكرة الأبناء صورة من تاريخهم وتراثهم العريق.

الحكاية الثالثة
وصية الأب

حدثتنا جدتي في هذه الليلة عن امرأة عربية لُقّبت بزرقاء اليمامة: وهي فتاة عاقلة جميلة، كانت عيناها زرقاء أجمل ما فيها، وكانت ترى الأشياء من مسافات بعيدة جدًا؛ فترى الشخص على مسيرة ثلاثة أيام، والناس يعجبون من قوة نظرها، وكانت بلادها تسمى اليمامة؛ فسميت زرقاء اليمامة. (اليمامة اسم لإقليم من الجزيرة العربية إلى الجنوب من نجد).

صعدت الزرقاء يومًا إلى القلعة ونظرت فرأت شيئًا عجيبًا، رأت من بعيد شجرًا يمشي ويتنقل من مكان إلى آخر؛ فنادت رئيس قومها وأخبرته، فعجب الناس وقالوا: "الشجر يمشي يا زرقاء! أعيدي النظر".

فأعادت النظر، ثم قالت: "كما أراكم بجانبي أرى الشجر من بعيد يمشي"

فقال واحد من أهلها: "ربما جاء إلى تلك البلاد سيلٌ شديدٌ فقلع الشجر من مكانه وحمله؛ لذا تراه الزرقاء يسير" فأعادت النظر، وقالت: "لا، بل أراه الآن أوضح، أرى تحت الشجر رجالًا سائرين وراكبين، والشجر يسير معهم"

فلم يصدقها قومها وقالوا إن عيناها خدعتها، لكن الحقيقة أن ما رأته زرقاء اليمامة كان صحيحًا، فقد استتر الأعداء بقطع الأشجار وحملها أمامهم؛ لكي يتمكن من الاقتراب دون أن يشعر أحد، فلما وصل الأعداء إلى قومها أبادوهم وهدموا بنيانهم، وقلعوا عين زرقاء اليمامة.

في هذه الليلة قدمت لنا جدتي عشاء صنعته من الخبز اليابس المتبقي القديم، وكان لذيذًا جدًا، أما طريقة صنعه؛ تأخذ جدتي الخبز القديم وتقطعه إلى قطع صغيرة، ثم يؤخذ بيضتان تخلط جدًا ويغمس الخبز بداخلها.

يوضع في مقلاة قليل من الزبد ويسخن على النار هادئة لا يتم إحراقه، ثم يغمس الخبز المقطع بالزبد السائلة وتقلب حتى يصبح لونها جوزي، ويؤكل مع الدبس أو المربى، ويضاف لها الكريم (القيمر) أو اللبن.

بعدما تناولنا العشاء وشكرنا الله، قالت جدتي:

الحكاية التي أحكيها اليوم تشمل جوانب البيئة المختلفة في أسلوب التواصل والتعامل بين الآباء والأبناء، وما له علاقة بالنصيحة والتربية وحياة الأفراد الواضحة والمستورة. تقول:

الحكاية يرددها الكبار أمام الصغار، وبخاصة الشباب؛ ليمنعوهم عن الرذائل، وفي مقدمتها القمار والزنا وشرب الخمر، فكانوا يرددون حكاية رجل نصح ابنه قبل أن يفارق هذا العالم بقوله: يا بني، وإذا أردت أن تزور بنات الهوى فلا تزورهن إلا في الصباح الباكر، وإذا أحببت مقامرة الصهباء فلا تعاقرها وهي أم الكبائر، إلا إذا ترى شيخ السكرين بأم عينك، وإذا أردت لعب القمار فلا تلعب إلا بعد أن ترى رئيس المقامرين، تُوفّي الوالد وحُمل إلى مثواه الأخير، وبعد زمن هز الشوق العارم ابنه إحدى بنات الهوى من الغانيات، فتذكر نصيحة والده وذهب إليها في الصباح الباكر، وكان معجبًا بها وبجمالها؛ فرآها قبيحة تشمئز النفس منها؛ لأن زينتها وحسنها المجلوبان بالأصباغ يزولان في ذلك الحين، وفعل ذلك مع غيرها وغيرها فلقي نفس النتيجة ذاتها، فعافت نفسه منهن وابتعد عنهن إلى الأبد، وبعد أيام حنّ إلى القمار فتذكر نصيحة والده، فذهب يفتش عن رئيس المقامرين فدلّوه عليه، فإذا به يقيم في كرخان، فدخل عليه؛ فوجده في حالة يرثى لها، إذ وجده مصفر قد امتصه الجوع ولم يترك فيه إلا جلدًا تتقزز من رؤيته العين، يضم عظامه النخرة، كما وجده لا يرتدي إلا ثيابًا بالية ممزقة، لو اعترضه في الطريق شخص يبتعد عنه لئَلّا يلمسه فتتسخ يداه أو ثيابه منه، فارتد إليه عقله وندم على محاولته وترك

التفكير في لعب القمار، ثم بعد حين عاوده الشوق إلى ابنة العنقود؛ إذ خيّل إليه أنها ستنقله إلى عالم مجنح بالأحلام الزاهية، فيحيا ساعات في سعادة ومرح وينفض عنه هموم الدنيا، فقصد شيخ السكرين كما نصحه والده، فوجده في حاله يرثى لها من الضعف وانهيار القوى، يسير في الطريق والأطفال يتبعونه بالصراخ ويرمونه بالحجارة، وهو كالأبله لا يعي ولا يفقه شيئًا، فلما رأى ما رأى انثنى إلى داره وحمد لوالده نصائحه، وعاش مستقيمًا في حياته فأصابه النجاح والفلاح.

هذه الحكاية الشعبية تعدّ جزءًا لتفاعلات الناس مع ظروف الحياة التي يعيشها الإنسان، وإحدى الدعائم المهمة في صقل شخصية الشاب، وتهدف إلى قيمة أخلاقية يتم غرسها في نفوس الأبناء؛ حتى يعدّوا منهم رجالًا قادرين على تحمل المسؤولية ومجابهة ظروف الحياة المتغيرة، يعتمد عليهم في بناء الأسرة المستقبلية، ضمن التحديات الاجتماعية والاقتصادية المختلفة.

الحكاية الرابعة
ولاية بطيخ

سألت جدتي: لاحظتم العظة على الشفة نستعملها مرات، تعرفون السبب؟

أجاب جميع الأطفال المجتمعين حولها أنهم لا يعرفون،

قالت جدتي: هذه الحالة يعظ الإنسان شفته بدون وعي أو انتباه، ولو سألنا أيضا لماذا يحصل هذا، وهل هي عفويه بشكل مطلق، الجواب لا، بل هي دائما رد فعل غير مدروس من قبل الإنسان، أما الحالة تحدث ربما تأسف على حدث ما، أو خسارة أو خطأ لم يتم تداركه، أي بالحقيقة سبب لفشل ما في موضوع معين، أو قد تكون هي فعل لغلق شفتي الفم؛ لمنع البكاء حسرة على فقدان شخص عزيز.

ثم سألت جدتي: تعرفون ما هو الشوباش؟

كذلك لم نعرف ماذا تعني الكلمة.

قالت جدتي: الشوباش هو ما يعطيه المعازيم من النقود في عرس تحت خيمة أثناء قيام راقصات غجريات تقديم وجبتهم، فالمعزوم من الممكن أن يرقص بعض الوقت مع الراقصة الغجرية وينثر عليها نقود ورقية، ويوجد عرف آخر؛ وهو حينما يكون الحضور من الرجال جالسين على الأرض تحت الخيمة والغجريات يرقصن بالوسط، فعند اقترابها من شخص أعجبته فهو يضع وريقات نقدية بصدرها، وكذلك في حالة وجود فرقة موسيقية متكونة من طبال وزمار، في فترات معينه يقوم الطبال بعمل بعض الحركات المعينة وهي شبه دعوة لأهل المدعوين لإهداء النقود.

حكاية جدتي هذه الليلة قصة مثل شعبي عراقي، مع التحفظ على مضمون حكاية المثل؛ فالناس تداوله في عهود من الحكم مرت على البلاد (ولاية البطيخ) عبارة تعني الانفلات بأنواعه؛ سياسي، مالي، ثقافي، وظهور شخصيات لم يكن لها رصيد وطني أو شعبي جلست على الكراسي وتعطي التبريرات والقوة للّصوص وقطاعي الطرق، وتؤسس ثقافة الرشوة (الخاوة) في نسق خطير، وظاهرة الفساد الإداري متداولة بين لصوص السلطة، وتشير إلى مستوى أخلاقي متدني في صفوف السلطة أيام زمان.

مثل ولاية البطيخ، لهُ حكاية شعبية؛ وهي أن بطيخ اسم لرجل كان شيخ قبيلة في منطقة العزيزية لواء الكوت (واسط حاليا)، كان في أيام العثمانيين يأخذ خاوة (إتاوة) (الرشوة) -أي الضريبة أو الرسوم- من كل من يجتاز تلك المناطق التي تعتبر مناطق نفوذه من المارة ولا يحاسبه أحد من الدرك العثماني، وهذه المنطقة سماها الناس بعد ذلك بولاية بطيخ، ومشى هذا المثل في أنه دلالة على الفوضى وعدم وجود قانون يحكم البلاد والعباد.

والبطيخ فاكهة لذيذة وهي من الفواكه المحببة، والتسمية بطيخ هي قادمة أو متعلقة (بالرگي) وليس البطيخ كما نسميه نحن العراقيون، أي البطيخ هنا بالمثل يقصد بها (الرگي).

حكاية المثل الشعبي المعروف ولاية البطيخ، كان يا ما كان وعلى الله التكلان، يحكى أن في أيام زمان، أن رجلًا فقيرًا معدمًا قصد بلدة للعمل، وعندما وصل طرف البلدة وجد مزرعة للبطيخ فرغب أن يبتاع بطيخة، سأل صاحب المزرعة عن القيمة فقال له: إن الحمل الواحد بدرهم واحد، فقال له: لكني لستُ بحاجة لحمل؛ لأنه يزيد عن حاجتي كثيرًا، بل أريد بطيخة واحدة آكلها، أعطاه بطيخة واحدة ولم يأخذ ثمنها؛ لأنه وجده رجلًا غريبًا

وفقيرًا معدمًا وأراد ان يكرمه كعادة الفلاحين، بعدما أكل البطيخة شكر الفلاحَ لصنيعه وسار في طريقه إلى البلدة.

في اليوم الثاني من وصوله البلدة أراد أن يشتري بطيخة، فقصد أحد البقالين؛ ليشتري منه بطيخة، وسأله عن سعر البطيخة الواحدة أجابه البائع: إن سعر البطيخة الواحدة درهم واحد، تعجب الرجل ودهش من سعر البقال وظنه يمزح معه؛ لأنه فقيرورثّ الثياب، قصد بقالًا ثانيًا فتأكد أن سعر البطيخة درهم، وسأل الجميع وكان الجواب درهم واحد، أخذ يفكر كيف أن الحمل بدرهم وفي البلد البطيخة الواحدة بدرهم؟ اشتغل مدة أسبوع وادّخر بعض الدراهم وذهب للمزرعة واشترى حملًا من البطيخ؛ ليجلبه للبلدة كي يبيعه بهذا السعر الباهظ ويربح هذا الربح الذي لم يحلم به من قبل، ودفعه الطمع ليشتري حملًا ثانيًا ولم يبق معه سوى أجرة حمار كان قد استأجره وتوجه إلى البلدة وهو يحلم بالأرباح والآمال الجُسام، ابتعد الفقير عن المزرعة مسافة قصيرة إلا واعترضه قطاع الطرق الذين لا يرحمون، ولم يخلوا سبيله إلا بعد أن أخذوا منه حملًا وتركوا له الآخر، ولما واصل سيره مسافة قليلة أوقفه جباة الاستهلاك، ولما لم يكن يملك مالًا ليخلوا سبيله اضطر أن يذعن لإنصاف هؤلاء غير المنصفين؛ فأخذوا منه نصف الحمل الثاني، وقبل أن يدخل البلدة لاقى في طريقه جباة الحكومة فأخذوا منه باقي البطيخ ولم يتركوا له غير بطيخة واحدة، فتأكد أن بقال البلدة كان منصفًا حين طلب منه درهم واحد عن قيمة البطيخة الواحدة.

اضطرب الفقير البائس وفقد رشده وصوابه بعد أن تيقن أن لا رحمة ولا شفقة في هذه المدينة، وأن معاملاتها مبنية على الفوضى وأن القوي فيها يأكل الضعيف، حيث لا رادع ولا زاجر ولا قانون؛ فقرر من ساعته أن يكون أجسر منهم، فذهب إلى المقبرة واستل الخنجر وجلس في باب المقبرة لا يسمح لأحد أن

يدفن موتاه إلا بعد ان يدفع الخاوة، وعندما علمت به السلطات وشاع خبره في المدينة ألقت الشرطة القبض عليه وساقته للمحكمة، فقص قصته أمام الحاكم من أولها لآخرها؛ فعفا عنه الحاكم وأصبح الناس يتداولون عبارة (ولاية بطيخ).

واليوم الناس يتداولون عبارة (ولاية بطيخ)؛ لأنه يعكس فكرة الواقع الذي نجده صورة جلية مشابهة للقصة الشعبية، ونرى حكاياتنا التراثية تحاول أن تكون بديلًا يعوض الفساد والتشرد والجوع ووقوف الناس ساكنين بلا حراك أمام ملمات الزمان.

الحكاية الخامسة
الحيلة والمكر عند النساء

حدثتنا جدتي هذه الليلة أن البغداديين يحبون القمر ويعشقونه، ويتشاءمون من الخسوف، ولهذا عندما تحصل هذه الظاهرة يصعدون للسطوح ويأخذون معهم مع الطشوت[1] والطناجر والطاسات ويضربون عليها ويهزجون (يا حوته يا منحوتة، هدي قمرنا العالي، هذا قمرنا أنريد). وكذلك هم يتشاءمون من ذكر اسم الحية ليلًا؛ خوفًا من أن تخرج عليهم فيسموها بالطويلة أو الحبل، وكذلك يتشاءمون عند سماع نعيق الغراب، ويعني أن هناك خبر مشئوم سيرد إلى العائلة؛ ولذلك فإن النساء يَصِحْن عند سماعهمن النعيق (خير خير خير) إن شاء الله خير.

واستمرت جدتي بالحديث قائلة:

عطش غراب مرة وأراد الشرب، وطفق يبحث عن ماء في كل ما جاوره من الجهات، فخاب سعيه ولم يجد إلا جرة في قعرها قليل من الماء. لم يقدر أن يصل إليه؛ لبعد غورها ولطول عنقها، ولكن العطش اشتد به، جاءته فكرة في تدبير حيلة يرفع بها الماء إليه ما دام هو غير قادر على الوصول إلى الماء. فصمم على ألا يترك المكان حتى يشرب من تلك الجرة، وقال في نفسه: إذا صدق العزم وضح السبيل، فبالبداية حاول تمييلها جانبًا لكنها كانت ثقيلة، ثم حاول كسرها لكنها كانت قوية، واختبر كل الطرق دون نجاح، ثم عند ذلك الْتفَت حوله، فرأى حجارة صغيرة بكثرة، فذهب إليها وأخذ واحدًا بمنقاره ورماه في الجرة؛ فارتفع الماء قليلًا، فعاد وجاء بغيرها؛ فزاد ارتفاع الماء، وأدرك أنه إذا

[1] طشت: إناء كبير مستدير من نُحاس أو نحوه يستعمل للغسيل.

استمر عمله هذا ودأب عليه بلغ غايته، وأطفأ حرارة عطشه. فلبث ينقل الحجارة ويرميها في جوف الجرة، والماء يرتفع فيها قليلًا، حتى أمكنه أن يصل إليه أخيرًا، فشرب حتى روي بعد صبره وجهده، تعلموا يا أولادي الصبر ومن جد وجد.

أما حكايتنا لهذه الليلة تقول جدتي: في أحد الأيام أراد رجل أن يراهن زوجته، وهما من سكان البادية الرعاة الرحل الذين يسكنون الخيام ويعيشون على رعي الإبل والماشية، ويتنقلون طول السنه من مكان لآخر طلبًا للماء والكلأ، قال الرجل لزوجته: إن الحيلة للرجال، وإن المكر للنساء، أزعجت هذه الجملة الزوجة وحملت في صدرها، وقالت في نفسها: بسيطة يا زوجي، اصبر عليّ وستعرف من هي المرأة،

وكانت تنتظر الفرصة لتثبت لزوجها ذكائها وحيلتها ومكرها، مرت أيام واقترب قافلة البدو من قرب النهر وهم في طريقهم نحو الصحراء؛ حيث قلة الماء، نصبوا الخيام واستراحوا عدة أيام قبل الرحيل، ملأ البدو جرارهم والقِرْب وهو (وِعَاءٌ مِنْ جِلْدٍ الماعزيُوضَعُ فِيهِ الْمَاءُ)؛ لسد حاجتهم من الماء مدة الإقامة في الصحراء، عند ملئ الزوجة قُرَب الماء ووضعت في داخل أحدهم سمكه صغيرة، وبدأت تضع لها الطعام كل يوم، بعد عدة أسابيع وهم في البادية أخرجت الزوجة السمكة من القربة وقد كبرت ووضعتها في سلة من خوص النخيل الذي يستعملها عرب البادية، والسمكة تتقلب داخل السلة، ونادت على زوجها وقالت له: زوجي العزيز، سأطبخ هذه السمكة اليوم على الغداء، فرح الزوج كثيرًا بالسمكة ولم يسأل من أين جاءت السمكة وهما في الصحراء ولا يوجد نهر أوواحة ماء، ومن فرحه نسي كل شيء، وقالت له زوجته: اذهب وادعُ صديقك المقرب عليك بالخيمة المجاورة لخيمتنا يتناول طعام الغداء معنا؛ فالسمكة كبيرة تكفي، وسأطبخ معها طعامًا آخر، فرح الرجل

بفكرة زوجته وأسرع يعزم صديقه ولم يذكر له نوع الأكل؛ لأن المتعارف عندهم لا يقال نوع الطعام المطبوخ.

خرج الزوج وأخذ ماشية للرعي مع صديقه الذي دعاه لتناول الغداء معه،

قامت الزوجة بشوي السمكة وحضرت طعامًا آخر مكملًا للوجبة وأخفته في مكان في بيت الشعر (الخيمة)، وفي العصر عاد الزوج من الرعي وأدخل ماشية في محلها وغسل وجهه ويديه وانتظر صديقة عند باب الخيمة، استقبله بفرح وسرور وجلسا ينتظران الزوجة تقدم لهما الطعام، مضى مدة والزوجة لم تحضر ولم تقدم شيئًا يُؤكل.

استأذن الزوج من صديقة ونهض متوجهًا إلى خارج الخيمة يسأل زوجته أين السمكة التي طلبتٍ مني أن أدعو صديقي لتناول طعام الغداء معنا؟

صرخت الزوجة بصوت عالٍ وانفعالٍ حتى يسمع الضيف قائلة له: عن أي سمكة تتكلم يا زوجي المسكين؟! لقد مضى علينا أكثر من شهر في الصحراء.

تعصب الرجل وبدأ يصرخ بعصبية وهستيريا قائلًا: أين السمكة التي كانت في السلة؟ أنا رأيتها تتحرك وأنتِ طلبتِ مني أن أدعو صديقي، واشتدت بينهم المشاجرة والرجل ينفعل ويزداد غضبًا وصراخًا كلما كذّبته، ورفع يده لكي يضربها، تدخل الضيف وفك المشاجرة بينهما سائلًا عن السبب، فأجابت الزوجة وقصّت له الحكاية: أن زوجها رأى سمكة في السلة تتحرك ويطلب مني أن أقدمها للغداء، ضحك الضيف عليه واستهزأ به؛ كيف شاهد سمكة في السلة وهم في الصحراء؟! وكان الزوج على حق ومقتنع أن شاهد السمكة.

انفعل الزوج وزاد غضبه بحيث بدأ يصرخ كالمجنون؛ مما الْتمّ حوله بعض رجال الخيام القريبة، ولما شاهدوه يهدد زوجته بالضرب ويطلب منها

إظهار السمكة وأين أخفتها اقتنع الرجال أنه أصابه مس الجنون وهم في الصحراء، ومن أين وصلت السمكة إلى زوجته؟ طلبت الزوجة من الرجال ربطه بعمود الخيمة؛ لأنه فقَدَ عقله وهي تخاف منه أن يضربها، قام الرجال بربطه بالعمود وخرجوا من الخيمة يضحكون قائلين: مسكين جارنا؛ فَقَدَ عقله، ولا يعقل أن يتهم زوجته بأنها قالت له اليوم سيكون الغداء سمكًا وهم في الصحراء.

بعد أن وصلت الزوجة لغايتها تقربت لزوجها وهمست في أذنه، وقالت له: كيف الصحة ابن عمي، تريد الرجال كلهم يقولون أنت مجنون وتبقى مربوط بعمود الخيمة، لو تعترف أنتم الرجال غير محتالين، وإذا تعترف سوف أطلب من صديقك الضيف والرجال فكّ رباطك وترجع الأمور على ما هو عليه، وإذا تصرّ على أنكم محتالين تبقى مجنون ومربوط، اقتنع الرجل المسكين واستسلم قائلًا لها: أنتم معشر النساء لكم الحيلة والمكر، وللرجال لا شيء.

خرجت الزوجة من الخيمة ونادت على الرجال، وطلبت منهم فك رباط زوجها وقصّت لهم الحكاية، وكيف تراهنت معه وكان يعاندها أن الرجال محتالون أكثر من النساء، وبهذا العمل أرادت تثبت أن الرجال لا يعرفون فنون المكر والحيلة. ضحك الجميع وقدمَت لهم طعام الغداء والسمكة المشوية، بعدها شربوا الشاي وهم فرحين سعيدين.

الحكاية السادسة

من دهاء النساء

يحكى أن رجلًا أضاع مفاتيح خزنته الحديدة التي يضع بداخلها نقوده، وكل ما يحتاجه من مستمسكات وأوراق قانونية، ففتش عليها بجِدّ فلم يجدها، وأخذ يعالج في فتحها ثلاثة أيام فلا يقدر، تعب كثيرًا وفكر بهدوء، وأخيرًا اتصل مع أحد اصحابه وصديق العائلة ومقرب عند زوجته، وطلب منه أن يقول لزوجته أن زوجك يعشق غيرك وله عشيقة، وفي كل ليلة ترسل له رسالة ويضعها داخل الخزانة. فذهب صديقة وأخبر الزوجة كما طلب منه الزوج، ولم يمضي ساعات حتى وجد الخزينة مفتوحة؛ فقال الرجل ليس بعجب أن تأتي المرأة أفانين الغرائب.

بعد هذه المقدمة في واقع الأمرلم نصف المرأة بالدهاء، حكاياتنا الشعبية جزء من مخزوننا الثقافي الذي فُرض علينا أن نتهم المرأة بالدهاء وعممت على كل النساء؛ فهي حيلة طبختها امرأة واحدة وحملتها بقية النساء.

تحكي جدتي من أروع وأعجب الحكايات، تقول: يُحكى أن رجلًا حلف ألا يتزوج حتى يكتب حيل النساء ومكرهن، فاستعد للسفر، وأخذ ما يحتاج إليه، وسار يطلب البلاد حتى يكتب حيل النساء، فكتب في ذلك مجلدات كثيرة، وانصرف راجعًا إلى بلده وأهله، فبينما هو سائِر وفرحان ببلوغ أُمنيته، وقضاء حاجته، وصل قرية من قُرى المنطقة، وفيها صديق له وهو أمير القرية، وكان الرجل بينه وبين الأمير مُصادقه، فسلّم عليه الأمير واستفسر عن غيبته؛ فأخبره بما قصده، وحصل عليه! فتعجب الأميرمن ذلك، وحلف عليه أن يبيت عنده، وقال: هذه الليلة أنت ضيفي، وأنت الليلة بائتٌ عندي كي تُحدثني عن هذه الكتب التي نسختها.

فنزل الرجل عنده، ودخل به الأمير على زوجته، وأمرها بضيافته وإكرامه. سألته له زوجة الأمير: ما هذه الكُتب التي معك؟ فأخبرها وقال: كُتبٌ فيها حيل النساء. فقالت له: وهل كتبت حيل النساء كلها؟

فقال لها: نعم. فتبسمت عجبًا، ثُم ضحِكت طربًا، فلما رآها هكذا احتوت على قلبه، فقالت له: أنتُم يا أهل المُدن كملتم في كُل فضل وفضيلة بإمكان وإتقان، إلّا أنكم مالكم على السِر كتمان. فقال لها بعد أن أعجب بها: ما معنى كلامكِ؟ فقالت له: إني مُبينة إليك بسر، فلا أسمعهُ من أحدٍ غيرِك.

فقال لها: وما هو؟

فقالت: أعلم أني شابه، وأن زوجي هذا رجُل شيخ، فهل لك أن تأتي ليلًا؟

فقال لها وقد طار عقله فرحًا وشوقًا: يا أميرة، قد شوقتِ الخواطر، وأتعبتِ النواظر، فلما كان المساء وجاءها في غرفتها. قالت له: يا أخ، هكذا تدخل بيوت الأمراء، أتُريد الآن أن أصرخ الساعة صرخة تُدخِل عليك الحراس، ويجعلون أكبر قطعة فيك قدر شحمة أُذنيك؟ فلما سمع كلامها، وعاين فعلها، جف ريقه، وأيقن بالموت.

فقال: يا أميرة، الجيرة أرجوك. فقالت له: لا أجارك الله، أتزعم أنك كتبت حِيل النساء ومكرهِن؟ والله لو عشت عُمر نوح، وكان معك مال قارون، وصبرت صبر أيوب، ما حصرتَ عُشر معشار ما للنساء من المكر والدهاء، ألا يا جاهل تمنى كيف تموت، فما قدِر أن ينطُق وتحقق بالموت، فتضرع إليها وبكى، وقال: يا سيدتي أنا تائب إلى الله تعالى على يدك، فأطلقيني واجعليني من بعض عُتقائك.

فقالت له: لابُد من تلف روحك.

ثُم صرخت صرخة، فانفتح الباب؛ فمات الرجل في جلده، وأُغمي عليه وعند ذلك قامت أسرع من البرق ورفسته برجلها؛ فوقع على وجهه بإزاء

الطعام مغشيًا عليه، فدخل زوجها، وقال لها: ما هذه الصرخة؟ ما حال ضيفي؟ فقالت على الفور أتى بالطعام فأكله فغص بلُقمة، فخفت عليه أن يموت، فصرخت ثُم رفسته؛ فوقعت اللقمة، ثُم زالت الغصة وهذه قصتي معه.

ثُم رشّت الماء على وجهه، ففتح عينه؛ فاستحى من صاحب المنزل. فأقبلت المرأة على الرجل وهو لا يصدق بالحياة. وقالت له: هل كتبتَ مثل هذه في كُتبك يا رجل؟ فقال لها: لا والله، إني تائب على يديك، ما بقيت أكتُب شيئًا عن حيل النساء.

ثُم قام ورمى جميع الكُتب في البحر وذهب إلى حال سبيله.

اعذريني أيتها المرأة الحسناء أن أمنحكِ وسام الخيانة يا صاحبة الغدر والمكر، وأقول لكِ تحسنين التمثيل يا حورية البحر، وصديقي الرجل اسمح لي أن أقدم لك تعزيتي؛ فقلبك الطيب جعلك ضحية لدهاء امرأة فقدت الأحاسيس والمشاعر ولم تستوعب الدرس، يا صديقي الرجل أتمنى أن تتعلم من المرأة المكر، لكن قلبك لا يسمح أن تخون،

هل نضحك على دهاء ومكر المرأة ونبكي على الرجل، إنها حكاية شعبية قديمة بقيت من تراث الأجداد، لو كان في ذاك الزمان هذه الأجهزة الحديثة وبرامج التواصل الاجتماعي لم نسمع أو نقرأ هذه الحكايات.

الحكاية السابعة

من عادات أهلنا (جزء الأول)

منذ الزمن السحيق كان للعراقيين عادات وتقاليد لا يتقبلها البعض، والآخر قد يؤيدها، أصبحت جزءًا من واقع الحال بمرور الزمن، على الرغم أن فيها شيئًا من عدم المنطق، تقاليد متوارثة لها تأثير شديد على المجتمع، ومما لاشك به أن بعضها يمارسها لحد الآن، ولهذه العادات جذور عميقة ممتدة ومتوارثة عبر الأجيال ومأخوذة من خلفيات قديمة، قد لا يكون لها أساس علمي أو شرعي، إذ يعتقد بعض الناس أنها تبعدهم وتنجيهم من حدوث المشاكل بين الأهل والجيران والأقارب، وتبعد عنهم اليأس والتشاؤم في النفوس، أو تقدم لهم الفرح والسعادة.

في إحدى أمسيات أيام الشتاء ونحن ملتفين حول المدفئة وفوقها قوري الشاي، وبجانبها صينية فيها فناجين الشاي (الاستكانة)، ننتظر جدتي تبدأ بقص حكايتها بعد صب الشاي لأفراد العائلة لاحظتُ أنها تحاول وضع اتجاه فتحة صب الشاي من القوري (البلبول) باتجاه بعيد عن الأطفال الجالسين حولها، سألتها: لماذا تُغيّرين اتجاه الفتحة كلما تحرك أحد الأطفال؟! قالت: هذه عادات أهلنا؛ يجب أن لا تكون الفتحة متجهة لوجه أحدكم؛ لأن ذلك يجلب الهم والغم، سألها أحد الأطفال: وهل هناك عادات أخرى؟

قالت: كثيرة العادات والتقاليد؛ فمثلا إذا وضعت ملعقتان في صحن الشاي الواحد يعني أن الشارب سيتزوج امرأتين، وغالبًا ما ترى الشارب يبتسم وهو يعتقد أن ذلك سيتحقق، وإذا وجد ملعقة في داخل الفنجان عند تقديمه لرجل في المقهى، أو عندما يكون ضيفًا له دلالة غير جيدة، وغالبًا ما

تحصل مشاكل وفصل عشائري نتيجة هذه الحركة، وإذا قدم الشاي والكمية في الفنجان ناقصة فإنها تعني أن الشارب ناقص، بالإضافة تقع عليه مشاكل بين الطرفين، أما إذا ظهرت فقاعات الهواء في فنجان الشاي أثناء صبه؛ فهذا يعني أن شاربه رزقه واسع، وإذا لم يقدم الشاي للضيف؛ فمعناها أن مضيفه لا يحترمه، ووجوده غير مرغوب به، وربما ينزعج ويستاء ويزعل الضيف.

سألت جدتي: هل هناك عادات وتقاليد أخرى؟

قالت: ما أكثرها؛ إذا تعاركت العصافير في فناء المنزل فهذا نذير على قدوم ضيف ما.

ومن العادات أيضًا عند (فرك) إحدى العينين يجب أن يكون ذلك متبوعًا ب (فرك) الأخرى، والسبب يمنع الحزن. وكما أن رفة العين اليمنى محل بشارة وسعادة ستحل على صاحبها، وخلال أيام يرى أمرًا سعيدًا لم يخطر له على البال، وفي المقابل تكون رفة العين اليسرى نذير شؤم، وتنبه الشخص لفراق حبيب أو مرضه.

وينطبق الشيء نفسه على طنين الأذن، فطنين اليمنى يعني أن هناك شخصًا ما يذكره بالخير في مجلس عامر بالرجال، أو حتى في خلوة فيشعر صاحبها بنداء الحبيب له وأنه على باله دائمًا، على العكس طنين الأذن اليسرى التي تنبئ بغيبة الشخص من قبل من يكرهه.

إذًا حكة اليد اليمنى تعني أن صاحبها سيحصل على مال، أو هنالك رزق قادم في الطريق، أما إذا حكة اليد اليسرى معنى هذا أن صاحبها سيهدي لأحدهم مالًا أو يخسر مالًا، وطريقة التعامل مع هذه الأمور عند العامة تزيد عجبًا، فمثلا عندما تحكّ اليد اليمنى يجب أن لا يجازف صاحبها بحكها بإصبعه أو بيده اليسرى، بل يبادر لحكها فورًا بالأرض، ويقول (حكيتج بالكاع ورزقج يجي بساع).

حكة الرِّجل اليمنى تشير إلى ان أحدهم ذكر صاحبها قدحًا، أو هنالك شخص يتناوله بسوء.

وحكة الخد تدل على مجيء ضيف عزيز تبادل معه القبل على الخدود، وإن حكة (الأنف) تبشر بأكلة سمك، وإن رجفة الكتف تدل على لباس جديد، ووجود شعرة فوق اللسان ينبئ بوصول هدية.

عندما يتقدم الشخص للأكل وبعد أن يأكل لقمة أو لقمتين لا تدخل إحداهما في البلعوم -أي بسهولة- ويلاقي صعوبة في بلعها؛ فيعتقد بأن أحد أبنائه إن كان متزوجًا -أو أحد المقربين- له إذا لم يكن متزوجًا جائع، ولذلك لا تدخل اللقمة بسهولة، وتحدث عادة مثل هذه الحالة عندما يكون ذلك الشخص مغتربًا -أي بعيدًا عن أهله-.

وكثير من العامة لا يكنسون الدار ليلًا؛ كي لا تطير البركة ويُكنس الخير. وإذا كنس الأطفال الأرض يعني سيقوم ضيوف بزيارة العائلة.

عندما يسقط (الحالوب)، وهو عبارة عن كرات ثلج صغيرة عند نزوله من السماء أثناء هبوب رياح مع هطول المطر تقوم النساء بوضعه على الأماكن الحساسة في الأطفال (كالعانة والإبط)، وحسب اعتقادهن أن ذلك يمنع خروج الشعر، وإذا خرج (الطنطل: وهو نوع من الجن) فيجب ان يردد هذه العبارة حتى يبتعد عن الشخص (إبرة ومخياط).

عند (طقطقة) الأصابع يجب أن يكون ذلك مقرونًا بقول (تف تف عليهم).

ونصيحة لكم يا أطفال لا تلفظون كلمة (حية) ليلًا؛ لأننا نعتقد أن مجرد ذكرها يسبب دخولها في البيت وتعرض العائلة إلى أذاها.

وربات البيت والخياطات لا يفصلون القماش الأسود ليلًا دفعًا للحزن، وللسبب نفسه لا يستعيرون القدور في الليل ولا يتركون المقص مفتوحًا (كي لا تنفك حلوك الدنيا عليهم).

جميعًا نتشاءم من صوت البوم، وإذا سمعناه نقول (سجين وملح)؛ لاعتقادنا بأن السكين والملح يبعدان البومة، ونتشاءم من نعيق الغراب، وإذا سمعناه نقول (خير، خير)، ونتشاءم من اللون الأسود ولكننا نلبس الملابس السوداء شعارًا للحزن.

وهناك من البنات من تتناول لفة خبزوبصل قبل النوم في ليلة السبت وتقول (ياسبت ياسبوت راويني بختي كبل ما موت)، فترى حلمًا في تلك الليلة تقصه صباح اليوم التالي على أمها التي تصغي إلى وقائع الحلم وهي تردد كلمة (خير، خير)، ثم تفسره؛ إذا كان في صالح ابنتها حسب اعتقادها، وإذا كان رديئًا لا يبشر بخير فإنها لابنتها تقول: (روحي احجيه بالطهارة) حتى يفسد ذلك الحلم.

المصدر: بغداديات عزيز الحجية.

الحكاية الثامنة

من عادات أهلنا (جزء الثاني)

في تلك الأمسية استمرت جدتي بسرد لنا ما حفظته من عادات وتقاليد قالت:

عند العامة في العراق عظم العزيزة يدل على إثارة الفتنة، هي قطعة عظم مصدرها الغنم أو البقر، ولا يهم أي جزء من العظام، وإنما المهم أن يكون له شكل بيضاوي تقريبًا، بحيث تشبه جزء من جسم الإنسان له رأس وجسد فقط دون أطراف، حيث يتم رسم وجه على الجزء الشبيه بالرأس، ومن ثم يلبس أو يلف في قطعة قماش ويتم تبخيره، ومن ثم يتم إلقائه في بيت أو بين جماعة؛ فيسبب لهم الفتنة، وغالبًا ما يستخدم عظم المفصل أحيانًا يكون موجود من ضمن وجبة الغذاء، فإذا حدث شجار بين أفراد الأسرة على مائدة الغذاء يتم البحث عن عظمة العزيزة في قدر المرق أو بين العظام الموجودة على المائدة، فإذا عثر عليها تلقى خارج المنزل، وأحيانًا تلعب الصدفة دورًا؛ فيتزامن حدوث الشجار مع وجود العزيزة على مائدة الغذاء، وبذلك يتم تعزيز المعتقد القائل بقوة عظم العزيزة ثارت الفتنة في العائلة، كما أن القصاب عند إخراجه العزيزة من اللحم يضربها بالسكين حتى يبطل مفعولها الخبيث.

واستمرت جدتي تحكي لنا وكأنها جربت كل العادات، قالت:

من العادات المنتشرة بشكل واسع عند العامة هي وضع سكين تحت رأس الطفل حديث الولادة.

والصحن المكسور (الماعون) يجب أن يُرمى خارج البيت، ويمنع منعًا باتًا طلب الإبرة والملح عند وقت المغرب؛ لأنها تجلب الفقر، ولذلك يجب أن لا تعطي لمن يطلبها في هذا الوقت.

يتفاءلون أصحاب البيت بنحر الذبائح عند الشروع ببناء الدار الجديدة، (عند دك الأساس، وعند وضع التكم تمهيدًا للتسقيف، وعند تثبيت باب الحوش)، وعند إكمال البناء والانتقال إلى سكناه يتفاءلون بدفن قطع نقود فضية تحت عتبة الباب عند نصبها، وذلك طمعًا في الخير والرزق، ويتفاءلون بوضع حدوة حصان قديمة أو فردة حذاء قديم أو قرني كبش، أو رأس غزال أو لعابه من القماش محشوة بالحرمل،وعليها أم سبع عيون فوق مدخل الدار من الخارج؛ لطرد عين الحسود.

وإذا اعتزم أحدهم القيام بعمل ما (وعطس)أحد بقربه عطسة واحدة يتريث في عمله قائلًا (صبر)أي عليه أن يصبر ويؤجل تنفيذ ما قرر، وإذا عطس عطستين متتاليتين فإنه يقول (راشدة)، وينفذ ما عزم عليه.

النعال أعزكم الله لا يجوز أن يبقى مقلوبًا؛ حيث يعتقد بأنه يدعو على أهل البيت بالشر، أو على من رآه ولم يقلبه، وهي تقال لحد يومنا هذا حتى يقوم الشخص ويعدله.

تمنع النساء الحوامل من روية البومة، وترفض أن يأتي أي شخص بطائر البوم إليها؛ لكيلا يصبح وليدها شبيه البوم.

إذا عانى شخص من ألم في البلعوم فالأفضل أن تعلق صدفة محارات حول رقبته.

البنت الشابة... لا يجوز للبنت الشابة أن تقطع (تمشي) في منطقة متروكة وغير مسكونة وقت الغروب.

أن طائر الططوة ورؤيته يعتبر نذير شؤم، ولكن لتجنب الشر يرد عليه بالقول: (سجين وملح)،

وأيضًا عواء الكلب، يستحسن عند سماع العواء القول: (عوية بدار صاحبك)، أما الأرنب فإذا صادفت أو اعترضت شخص ما في الطريق وكان في سيارة، فالأفضل أن يرمي نقدًا على الطريق، وحسب الاعتقاد أن في ذلك تفاديًا للشر.

لا يجوز كنس فناء الداروقت الغروب لكيلا تزول النعمة.

عند حدوث زواج في القرى نجد عزاب تلك القرية يأتون إلى مخدع العروس ويبدأ العروسان بحك أرجل هؤلاء العزاب، وذلك اعتقادا من أن هؤلاء العزاب (الشباب والشابات) بان حك أرجلهم عند العروسين سوف يسهل ويسرع في زواجهم، ويقولون المثل الآتي (إن انمطرت كاع تتبشر إخوتها).

عندما تضع المرأة الطحين في الصحن المعد للعجين وتبدأ بعملية العجن، يتطاير بعض العجين إلى الأرض من بين يديها؛ فتعتقد بأنه لابد ان يأتيهم في هذا اليوم ضيف (خطار)، وبذلك تخبر أهلها معلنة لهم بأنه سوف يأتي إليهم في هذا اليوم ضيف؛ وذلك لأن عجينها يتطاير من الصحن وهو من نصيبهم حسب ما تعتقد.

تحتفظ الأم بملابس ولدها البكر؛ لتلبسها لأولادها اللاحقين أو أولاد أولادها.

إذا خرج أبو البيت للعمل تلقي زوجته أو والدته خلفه الماء اعتقادًا بأن ذلك يفيد بالرزق والعودة بسلام.

وإذا وجد أحدهم قطعة خبز على الأرض فإنه لا يطأ بقدمه، بل يلتقطها ويقبلها ثم يضعها في (فتحة الجدار) أو بالقرب منه.

يحذر من قطع شجرة النبق؛ فإن قتلت أو تأذت فسيموت أحد أفراد المنزل، أو يصاب بأذى شديد، ويفضل عند قطعها تكليف شخص آخر يفعل ذلك نيابة عن أحد أفراد العائلة، بشرط أن يضحي ويجري دمًا على جذعها أو ساقها.

ومن عادات أهلنا إذا سافر أحدهم فإن زوجته لا تتصنع ولا تضع الماكياج (أي لا تتجمل ولا تستعمل أية مادة من مواد التجميل) حتى يعود زوجها.

وإذا سكنت عائلة بجوار عائلة أخرى فمن واجب الجيران تكريم الجار الجديد بإرسال (خبر) فحواه أن غذاء يوم الغد سيكون من بيت فلان، هذه من العادات اللطيفة التي تتيح الفرصة للعائلة الجديدة في ترتيب البيت وفرشه وتنظيفه، فضلًا عن أن أم البيت لا وقت لها تصرفه في طبخ الغذاء (لصاحب البيت والجهال). وهي كذلك عادة توطيد أسباب التعارف بين الجيران، وهكذا تبقى العائلة الجديدة مدة أسبوع أو أكثر والجيران يتناوبون في إرسال صواني الغداء الحافلة بكل ما لذ وطاب.

من موروث شعبنا، لا بأس من الاطلاع عليها من باب العِلم بالشيء، مع العِلم ان فيها صفات حميدة جدًا وتبقى ذكريات من زمن جميل.

المصدر: بغداديات عزيز الحجية.

الحكاية التاسعة

أبو نية وأبو نيتين

هذا النوع من الحكايات يعالج تحديات اجتماعية، ولكل مجتمع معاييره الاجتماعية والثقافية الخاصة، لا تخلو هذه الحكاية من معتقدات خرافية، لكن الحدث في أغلب الأحيان يكون حدثًا واقعيًا، ويسعى لتلقين الفرد المعايير والقيم الإيجابية التي يسعى المجتمع إلى بثها في نفوس أطفاله؛ حتى يتكيفوا مع مجتمعهم، كما يحرم المجتمع ضروبًا أخرى من القيم السالبة التي ينبذها، ويسعى إلى التنفير منها كالعدوان والإهمال والأنانية والطمع والاغتراب والتخريب، ويتحول الفرد من مجرد كائن عضوي إلى شخص اجتماعي، فتنشئة الطفل اجتماعيًا تعني إكسابه المفاهيم والعادات والاتجاهات والقيم السائدة في مجتمعه، بالإضافة إلى القيم التربوية والاجتماعية والسياسية والثقافية.

تقول جدتي: كان ما كان في قديم الزمان رجل يسعى كل صباح باحثًا عن عمل يعيش منه، لكنه لا يجده، قرر أن يهجر مدينته ويذهب إلى مدينة أخرى؛ كي يجرب حظه فيها عسى أن يحصل على عمل يعيش منه، أعدّ طعام المسير ووضع قربة الماء على كتفه، وسار في طريقه صادفه رجل، سأله عن اسمه ووجهته أجابه: أن اسمه (أبو نية) ووجهته البحث عن عمل يعيش منه في أي بلدة، قال الرجل له: أنا أيضًا أبحث عن عمل، ثم طلب مرافقته قائلًا له: إن كنت أنتَ (أبو نية)، فأنا (أبو نيتين). في أثناء المسير قال (أبو نيتين) لِ (أبو نية): لنتفق إذا جعنا نأكل من طعامك ونشرب من مائك، وعندما ننتهي نرجع إلى طعامي ومائي، قال (أبو نية): اتفقنا نحن أخوان وطعامي طعامك.

بعد يومين نفذ طعام (أبو نية) وهما يسيران في طريق البحث عن العمل، جاع (أبو نية) وحسب الاتفاق طلب من رفيقه طعامًا وماءً، ولكن (أبو نيتين) رفض إعطاءه ما طلب إلا بشرط، هذا الشرط هو أن يفقأ إحدى عيني (أبو نية).

ظل (أبو نية) في حيرة من أمر الرجل ومن الشرط العجيب الذي قدمه، لكن إزاء الجوع وافق على شرط (أبو نيتين)، ففقأ (أبو نيتين) إحدى عيني (أبو نية) وأعطاه قليلًا من الطعام، أكل الطعام واحتاج إلى الماء الذي طلبهُ من (أبو نيتين)، لكنه رفض إعطاءه الماء إلا مقابل فقئ عينه الأخرى، وإزاء عطشه وافق (أبو نية) على شرط (أبو نيتين) الثاني ففقأ (أبو نيتين) عين (أبو نية) الثانية وأعطاه قليلًا من الماء، وتركهُ وغادر المكان مواصلًا رحلته وحده. بقي (أبو نية) يعاني من الآلام المبرحة ولم يستطع مواصلة السير، جلس تحت شجرة ليستريح، وفي هذه الإثناء سمع صوت سبع وذئب يتحدثان معًا، قال الذئب: الله! ما أعظم هذه الشجرة. أجابه السبع: ما وجه العظمة فيها؟١ قال الذئب: كم أعمى فتحت عينه، وكم اخرس نطق وكم مريض شفي، وكل ورقة من أوراقها تشفي مرضًا. رد عليه السبع: إذا أنت عرفت سر أوراق هذه الشجرة، فانا أخبرك بسر لا يعرفهُ أحد غيري، هذه الشجرة مدفون تحتها كنز من الذهب لا يعرف أحد عنهُ شيئًا.

سمع (أبو نية) كلامهما، وما أن غادرا حتى قام إلى الشجرة واخذ ورقة من أوراقها ووضعها على إحدى عينيه فشفيت في الحال وفتحت، ثم فعل بالعين الأخرى ما فعله بالأولى وشفيت هي الأخرى، فرح فرحًا عظيمًا وأخذ مجموعة من أوراق هذه الشجرة، ووضعها في جيبه وواصل مسيرته إلى أن وصل إلى مدينة، دخلها فوجد الناس مجتمعين أمام باب بيت الملك وهم في حالة هرج ومرج، سألهم عن سبب اجتماعهم، فأجابوه: بأن بنت السلطان

أصيبت بالخرس، وأي شخص يخلصها من هذه العلة تصبح زوجًا له، وإذا لم يستطع شفاءها تضرب عنقه.

قال: أنا أستطيع أن أكلمها، لكن الناس حذروه على ألا يورط نفسه مع ابنة السلطان؛ لأن الكثيرين قتلوا بسبب عدم قدرتهم على شفائها. دخل (أبو نية) على بنت السلطان وأخرج ورقة من أوراق الشجرة العظيمة العجيبة ووضعها على فمها؛ فتكلمت في الحال، فرح الجميع وأمر السلطان بزواجها منه، لكن (أبو نية) طلب تأجيل الزواج لمدة من الزمن. أخذ أبو نية مجموعة من الرجال وذهب إلى الشجرة حفر تحتها وأخرج كنز الذهب ورجع إلى مدينة السلطان، وبنى قصرًا فخمًا أجمل من قصر السلطان وتزوج ابنته، وأخذ يساعد المحتاجين والفقراء وأحبه الناس جميعًا، وعينه السلطان مسئولًا عن بيت المال؛ فوافق على ذلك.

مرت الأيام توفى السلطان وقام (أبو نية) مقامه، في أحد الأيام جاء (أبو نيتين) إلى المدينة، بعد أن سمع بكرم (أبو نية) ومساعدته للفقراء والمحتاجين، قرر زيارته وبعد لقائه سأله عن حاله فأجابه: بأنهُ لم يستفيد من رحلته ولم يحصل على عمل، غفر (أبو نية) للرجل على ما فعله به، وعينه في قصره بعد أن بين للناس بأنه أخوه.

لم يستفد (أبو نيتين) من هذه الفرصة، وأكلت قلبه الغيرة والحسد، وأخذ ينافق على (أبو نية) مدعيًا أنه سارق، ويسرق بيت المال، وعمل قصرًا له وصرف الباقي على الفقراء بحجة أنه يصرف من ماله الخاص، لكن الناس لم يصدقوه، وهم يعرفون (أبو نية) قبل أن يصبح مسئولًا عن بيت المال.

وفي يوم من الأيام جمع (أبو نية) الناس في قصره بحضور (أبو نيتين) وسرد عليهم القصة من البداية وأفعال (أبو نيتين) ضده وعمله القبيح معه، وحكى لهم قصة الشجرة والكنز، احتج أهل المدينة على (أبو نيتين) وطالبوا

بإعدامه؛ كي يتخلصوا من شره وحسده، لكن (أبو نية) لم يوافق على طلبهم قائلًا: بأنه يعطيه فرصة أخرى أخيرة، وطلب منه أن يذهب إلى الشجرة العظيمة ويجرب حظه عندها، ذهب (أبو نيتين) إلى الشجرة وجلس تحتها في هذه الأثناء جاء الذئب والسبع وأخذ يتحدثان، قال الذئب إلى السبع: هذه الشجرة لها مميزات كثيرة، قال السبع: أنا أعرف عنها أشياء كثيرة مفيدة، لكن لنفتش حول هذه الشجرة احتمال أن نجد تحتها أحدًا يسمع حديثنا ويكتشف السر.

سارا معًا حول الشجرة، فشاهدا (أبو نيتين) متخفيًا تحتها، هجما عليه وأكلاه، وبذلك تخلص(أبو نية) والناس من شره.

المصدر: التراث الشعبي.

الحكاية العاشرة

دم البقرة الصفراء

الحكاية الشعبية المستمدة من التراث الشعبي تعتبر أكثر الحكايات مناسبة للطفل؛ لقدرتها على إثارة خيال الطفل، وتعالج القضايا الرئيسيّة في حياة الفرد من قبيل الحب والكره والطمع، وسعة الرزق بعض الضيق، وتبقى الحكايات الشعبية غنيّة بالتجارب في مواجهة تحديات الزمن الصعب، والأيام القاسية والاستفادة من الحكاية الشعبية في تقديم دراما تربوية وتعليمية وترفيهية للطفل؛ من أجل خلق عالم واحد يحقق فيه الطفل ما يعجز عن تحقيقه في عالمه الواقعي، وتحويل الحكايات الشعبية بأنماطها المتعددة إلى دراما مسرح الطفل؛ لما تتسم به من خلق عالم سحري وخيالي مثير، يعيش معه الطفل ويستمتع به، ويلعب مسرح الطفل من خلال عملية التعلم الاجتماعي، وتلقينه قيم المجتمع دورًا هامًا في تنشئة الطفل، ويسهم المسرح مساهمة فعالة في نقد التصرفات الخاطئة غير المرغوب فيها، أو تأييد التصرفات الإيجابية والمرغوب فيها، وذلك من خلال مشاركة الطفل في تنفيذ العرض المسرحي بالقيام بأداء دور بعض الشخصيات أو من خلال الإخراج المسرحي، ويقدم الطفل أثناء التدريب النصح إلى الشخصيات المسرحية أو إلقاء اللوم على بعض تصرفاتها.

هذه الحكاية مشابهة لسابقتها بالمعنى والمغزى، لكنها تختلف بالمضمون؛ حكاية الصراع بين الثنائيات المتناقضة كالخير والشر، وحب الذات وإنكار الذات، والطمع والأمانة، وتهدف إلى إعلاء قيم الخيروالسموّ لدى الأطفال.

تقول حكاية جدتي: كان يا ما كان، وعلى الله التوكل، كان في قديم الزمان في إحدى المدن أخوان يعيشان معًا، لكن أبواب الرزق انسدت في وجههما؛ فقررا السفر إلى مدينة أخرى، حمل كل واحد منهما زاده ورحلا، وفي الطريق قال الصغير للكبير: لنأكل من زاد أحدنا حتى ينتهي، ثم نأكل من زاد الثاني، اتفق الأخان على هذه الفكرة، وهما في الطريق أكلا زاد الأخ الكبير أولصا، وعندما انتهى زاده وماؤه وهما يسيران شعر الأخ الكبير بالعطش، فطلب من أخيه الصغير أن يعطيه قليلًا من الماء، لكن الصغير قال: الماء معي يكفيني وحدي، وترك أخاه الكبير وانصرف وحده، سار الكبير وحده وهو يعاني الجوع والعطش الشديدين؛ فضعفت قواه، فذهب إلى حفرة واضطجع ليستريح فيها، وفي هذه الأثناء مر جنيان وجلسا يستريحان قرب الحفرة، قال الجني الأول: كيف تقضي وقت فراغك يا صديقي؟ أجاب الجني الثاني في مكان كذا توجد خزائن كثيرة، إذا (ضجت) أنظر إليها وتنشرح نفسي، وأنت كيف تقضي وقت فراغك؟ أجاب الجني الأول: أما أنا فإذا ضجت أدخل رأس أي فتاة جميلة فتصير مجنونة، سأل الثاني: (وما علاجها؟) أجاب الأول: (يرش على وجهها دم بقرة صفراء؛ فتصبح عاقلة).

كان الأخ الكبير يسمع حديثهما، وهما لا يعلمان بوجوده في الحفرة، وبعد أن استراح الجنيان انصرفا، وخرج الأخ الكبير من الحفرة؛ فأبصر قافلة متجهة إلى إحدى المدن، فأشار إليها بيده ورآه بعض رجالها فحملوه معهم، ولما دخل المدينة وجد الناس في حالة هرج ومرج، فسألهم: ما بكم يا ناس؟

فقالوا له: أنت غريب ولا تعرف شيئًا، إن بنت السلطان مجنونة، ولا يستطيع أحد أن يشفيها، ذهب الأخ الكبير إلى السلطان، وقال له: (أنا أقدر أن أشفي ابنتك) فقال السلطان: (إنها محبوسة في غرفتها، والكل يخاف الدخول

عليها، إننا نعطيها طعامها وشرابها من الشباك، هل تعلم أنه إذا لم يفد علاجك معها قطعت رأسك؟)

أدخلوه إلى غرفة مملوءة بالرؤوس المقطوعة للأطباء الذين لم يستطيعوا علاجها، فطلب الأخ الكبير من السلطان خمسمائة ربية وأن يمهله فترة؛ فأعطاه السلطان ما طلب، اشترى الأخ الكبير ملابس جديدة واستأجر سكنًا، ثم سأل عن سوق الحيوانات وأخذ يفتش عن بقره صفراء، ولكن لم يجدها، وكان كل يوم يذهب إلى سوق الحيوانات من الصباح إلى المساء ثم يرجع إلى داره مرهقًا حزينًا، إلى أن جاء يوم وهو يبحث في السوق فأبصر فلاحًا يجر بقرة صفراء ليبيعها؛ فاشتراها منه، وذبحها ووضع دمها في طشت ثم ذهب إلى قصر السلطان، وطلب من الخدم ان يفتحوا باب غرفة بنت السلطان؛ ففتحوها له وهربوا بعيدًا، اقترب الشاب من بنت السلطان ورش على وجهها دم البقرة؛ فسقطت مغشيًا عليها، وبعد أن أفاقت من غيبوبتها أخذت تبكي؛ فأسكتتها الخادمات وأدخلوها الحمام وحمموها وذهبت إلى أبيها وقبلت يده، ففرح كثيرًا جدًا.

شكر السلطان الأخ الكبير، وقال له: (لقد شفَيْتَ ابنتي، وسأزوجك بها) فرح وتزوج بنت السلطان، ثم ذهب إلى محل الخزائن وجمع الذهب والمجوهرات ونقلها إلى منزله.

وفي يوم من الأيام خرج السلطان في مهمة؛ فأوكل السلطنة إلى الأخ الكبير، وبينما كان الشاب جالسًا، والناس يدخلون عليه رأى آخاه الصغير يرتدي ثيابًا ممزقة؛ فطلب من الحراس أن يعتنوا به وادخلوه عليه، فعرفه أخوه الصغير وراح يبكي وشكا إليه سوء حاله، وحكى الأخ الكبير ما حدث له، وطلب منه البقاء معه؛ ليشاركه في الحكم، لكن الأخ الصغير قال: (أنت وصلت

إلى هذه الحال حين نمت في الحفرة، أنا لا أعرف سر الحفرة جيدًا، سأذهب إلى هناك وأسكن أحسن هناك، ولا أريد منّتك).

حاول الأخ الكبير منع أخيه الصغير من الذهاب، لكن طمعه جعله يصر على الذهاب، فذهب إلى الحفرة وجلس فيها، وعندما جاء الجنيان قال الأول (كيف تقضي وقت فراغك يا صديقي؟) فأجاب الثاني: لم يعد لدي شيء أتسلى به، فقد اختفت الخزائن، فتنهد الثاني وقال: (أنا أيضًا عُرف سري) فقال الأول: ربما يكون ابن آدم قد اطلع على سرنا، أحس الجنيان بأن في الحفرة شيئًا؛ فنظرا فيها ووجدا الأخ الصغير، فانقضّا عليه وقتلاه، وهذه هي نهاية الطمع.

وكنا عندكم وجئنا.

الحكاية الحادية عشر

حزورات (الألغاز)

من الثقافات الشعبية القديمة الألغاز الشعبية والتي عُرفَت منذ الأزل، متعددة في جميع المجالات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية، وتحتوي على موضوعات ومعلومات مهمة، وقد حبّب القدماء الألغاز ومارسوها في أوقات الفراغ؛ لتباري في القدرات العقلية والمهارات الفكرية ونوعية الثقافة التي توجد عندهم، فهي فن السؤال المحيّر والجواب اللازم المحدد، فهي سهلة وبسيطة في معانيها وألفاظها، وقد تحمل الألغاز صفة الاستفزاز والتناقض والوضوح في آن واحد، تتكون من كلمات ومعان متناقضة، أو مركبة بأسلوب يثير الدهشة.

أتذكر سطح منزلنا والأسرّة (الچربايات) المخصصة للنوم، وذكريات لا تخلو من لذة وطعم تلك الأيام، جزء من تقاليد العائلة العراقية في سهرة فوق السطح من ليالي الصيف، فيما مضى من الزمن واشتداد تعلق الناس بتلك الممارسة اليومية، بعد حلول العصر نصعد نرش السطح بالماء حتى يبرد، وقبل المغيب ونبدأ بفرش الدواشك حتى تبرد، هذه الأمسيات لا تخلو من السوالف والقصص الخيالية القديمة، ومن العادة تأخذ العائلة معها أثناء الصعود إلى السطح (صينية الرگي، وماعون فواكه، وكرزات، وقوري الچاي)، ما أحلاها النوم على التكيف الرباني، في هذه الأمسية الصيفية سألت جدتي: لماذا ننام بالسطح؟ ولماذا لا ننام في الغرف؟ أجابت بهدوء وابتسامة قائلة: يمه هذا ما وجدنا من آباءنا وأجدادنا، ننام على هوى الله وبأمان الله، وكان قصدها في تلك

الفترة الجيران في المحلة كعائلة واحدة، والقلوب متصافية لا يخيم عليها سوى البساطة والهدوء والأمان، تفرح لفرح الآخر وتحزن إذا أصاب أحدهم مكروه.

ثم سألتها: لماذا يهجُم علينا الذباب صباحًا، أجابت: الذباب يهجم عليك أنتَ، ولا ننسى الشمس من الشروق كأنها متواعدة مع النائمين، وعندها واجب لازم تهجج الناس من السطوح كلها، تنزل إلى الغرف؛ لتكمل نومها.

جلسنا حول صينية الركي وبدأت جدتي بالحديث قائلة: اليوم أسألكم حزورات (ألغاز) والذي يعرف الإجابة أعطيه عانة (أربعة فلوس) يصرفها غدًا عندما يمر بائع (شعر البنات)، (وهي حلوى تصنع من خليط من الماء والسكر يباع بين البيوت في الشوارع والأزقة الشعبية من قبل بعض الباعة؛ حيث تجمع المادة القطنية للسكر المنفوش على عيدان رفيعة)، الكل يتحمس ينتظر الحزورة (اللغز)، ويبدأ الهدوء على الجميع منتظرين ماذا تنطق جدتي.

قالت: (طمبر طقش طمبر طقش، بلا حناء ولانقش، أجانا صوت من بعيد، چنه جناجل العيد)، الكل ينظر نحو جدتي باستغراب ولا جواب من أي طفل، ثم قالت هذه الحزورة الثانية (أبيض بياضاني، بسوكْ لاكاني آني تفاح العجم حطوني بالصواني آني إي آني لع آني أمبيض الخلع كلمن أجه حل جيسهْ واشتراني)، بحلق الجميع بوجه جدتي ولا نعرف الإجابة، ابتسمت وقالت: أين شطارتكم؟ سأقول الحزورات وكل واحد يعرف يعطني الجواب.

(بيضه بُضبُضه، تلمع لميع الفضة، لا صاغها صايغ، ولا لبستها حُرة).

(سفينة عمي عباس، أمحمله كلها أجراس).

(گبتنا حناحين، بيها مطر بيها طين، بيها اثنعش شنداخه، كل شنداخه بتلاثين).

(جانه خارمن ديرة ما بيها أغبار، گاعد على سكمليين، ما ناجرهن نجار، وشرب من حوضين مامحميات بنار).

(أذبه من المنارة للگاع مينكس، أذبه بالمي ينكسر).
(اثنين واتلاثين عروسه بيضه وابنصهن عريس احمر).
(عشره وعشرتين، وبگدها مرتين وخمسة وثلاثة وثنين).
(هِرف هرف للشط أووكف).
(حازگ لازگ أبكل شئ لازگ).
(راسه جرص، ذيله مگص، ظهره فحم، بطنه شحم).
(أسود سويداني، بالسوگ لاگاني، اعمامته خضره، والخلقه رباني).
(إذا گصيت رأسه طار).
(لابس أسود مو حزين، بيده سبحه مو خيّر، يضرب أبره مو طبيب).
(أربعة.. چرخ مرخ.. واثنين عنطزلري.. وواحد ايكش الذبان).
(طلع من البر.. وكصايبه خُضُر).
(يطلع من بطن امه ويحك ظهر ابوه).
(يأكل مينكال).
(بطنه بيضه وظهره أسود).

غلب النعاس الجميع ولن يربح أي طفل العانة، وقد وعدتنا جدتي أنها ستكمل الحزورات (الألغاز) في مساء اليوم التالي، نلتقي في العدد القادم من حزورات، وهي مادة اللهو أثناء السمر في الليالي العراقية القديمة؛ حيث كانت تنعدم وسائل الترفيه الحالية، وتمتاز بلهجتها الشعبية والبساطة ومستنبطة من الحياة التي يعيشها واضع اللغز، كما تمتاز بطغيان السجع على تركيبها.

الأجوبة: الهاون، الصابون، القمر، الدف، السنة، المولود حديثًا، الورقة، الأسنان واللسان، المائة، الحذاء، الاسم، طائر السنونو المهاجر أو طير السند وهند الجواب الباذنجان، قطار، عقرب، الحمار، بصل أخضر، الشخاطة (علبة الكبريت)، النار، القدر.

الحكاية الثانية عشر

حزورات (الألغاز) الجزء الثاني

قضينا النهار كله نترقب موعد الصعود للسطح وتبدأ جدتي بسرد حزوراتها (الألغاز) وكلنا أمل بالفوز بالعانة لشراء شعر البنات، حيث عُرفَت منذ الأزل الألغاز الشعبية من الثقافات الشعبية القديمة، وتتكون من كلمات ومعان متناقضة أو مركبة بأسلوب يثير الدهشة، سهلة وبسيطة في معانيها وألفاظها، وقد تحمل الألغاز صفة الاستفزاز والتناقض والوضوح في آن واحد، متعددة متنوعة؛ فنجد الألغاز الحسابية والشعرية والروحانية والطبيعية، ويحفظها الناس كما تحفظ القصائد أو الأشعار، وفي كثير من الأحيان تتداول على الألسن؛ فالألغاز من حيث كونها أسئلة فهي تتناول مواضيع مختلفة يحيطها الغموض، وتنمي القدرات العقلية والمهارات الفكرية، وأحسن الألغاز هي التي لها حلٌ واحدٌ وليست عدة حلول متشابهة.

حلّ العصر وكالعادة صعدنا لرش السطح بالماء وفُرشَت الدواشك لكي تبرد، وننتظر المغيب حتى تصعد جدتي بصينية الرگي ونلتف حولها لنسمع حكاياتها، وبعد ما تنتهي جدتي من سرد حكايتها نخلد للنوم، وكان يزعجنا وتجعلنا لا نحصل على نومة هادئة لسعات الحشرات الطائرة، وخاصة البعوض ليلًا، والذباب الذي يهبط فوق الأنف صباحًا، وصياح الديكة ونباح الكلاب، وكان لنا جار يملك راديو صغير يعمل بالبطارية يأخذه للسطح معه يسمع حفلات وأغاني أم كلثوم في ساعة متأخرة، ويتمتم مع الصوت خارجًا عن القافية (نشاز)، وكلما توقف الراديو عن الصوت كفخه بيده ويبدأ الجهاز يلقط موجات الأثير، ومرات ينام جارنا والراديو مازال شغال، وتتوقف الإذاعة

ونسمع صوت الطنين قادم من الراديو، وكانت زوجته تخاف إطفائه، جارنا هذا رزقه الله بستة بنات الواحدة تلو الأخرى، ويحلم أن يكون المولود السابع صبيًا، لكنه رزق بنتًا سمّاها ختام، وهكذا دواليك كل سنة كان عندهم مولود، ثم جاءت البنت الثامنة وسمّاها نهاية، ثم رزق بالتاسعة وسمّاها منتهى، وجاءت العاشرة سمّاها كفاية، والحادية عشرة سمّيت انتهاء، والأخيرة سميت انتهى، وهكذا كان له درزن من البنات، والستة الأخيرة سميت باسم الانتهاء، ومازال جارنا مصرًا أن يرزق بصبي، ثم رزق بصبي سمّاه عيسى، أطال الله بعمر الجميع، وكان يطير النوم من عيني بسبب بكاء وصراخ بنات جارنا الصغيرات، وصوت جارنا وهو يرغي ويزبد مع زوجته طالبًا منها محاولة إسكات الصغيرات.

أما جارنا الآخر مربي الطيور، مع شروق الشمس نسمع خفق أجنحة الحمام وهو يقف في السطح ماسكًا قصبة طويلة يلوح بها في الهواء يطيّر حمامه وهو ينادي وبصوت عالي (كش، عاع، عاع).

على كل حال نرجع لحديثنا، صعدَت جدتي إلى السطح وجلسَت محلها والْتمّ حولها الأطفال، وقالت: اليوم ستكون بعض الألغاز موصلية،

صرخنا بفرح كلنا: ما أكو مانع، المهم نربح العانة بعد حل لغز واحد.

سألت جدتي: ما هو الشيء (أسود اسيود في أذنه، مربود يدور في المحلة، اسمه عبد الله)؟ لا جواب لنا صحيح، مع العلم كل واحد من عندنا يعطي أكثر من عشرة أسماء، واستمرت جدتي بطرح الألغاز علينا الواحد تلو الآخر.

(طاسي طماسي، بالبحر رقاصي جواها لولو، وبراها عاصي).

(هَل طولاتهْ وهل ترللي) (مع الإشارة إلى شيء صغير وآخر طويل يقوم بها السائل).

(هوّ ابگد الفندكة، وإله ميت عين امبحلقة).

(مريم بنت عمران ما اسم أبيها).

(إزار أزرق مملوء بالأزرار).
(دار فوق دار معلقة بالأوتار. ما بناها بناء ولا نجرها نجار).
(صعدت على العلية وخلفي كومة حرامية).
(خرقة حمراء في النقب).
(أبيض جسمه، خيار اسمه، قل لقلبك ما اسمهُ).
(قبة خضراء، مفتاحها حديد، غلقها الله، وفتحها العبيد).
(هُو ملكك والناس تستعملهْ أكثر منك).
(وين متْروح هُو وراك).
(صْفط أبطن صُفط ليلوُ ومْصفّطْ).
(أسود أسود مثل الگير، يگمز گمزات الخنزير).
(جاي من البصرة، خفيف أبيض، وعُراه من ليف).
(طير طار، شگ أبحار، لا له ريش، ولا منگار).
(إذا أكلت نُصهْ أتموت، وإذا أكلتهْ كُلّه ماتموت).
(بنت الملك لابسة ألف تنوره).

غلب النعاس هذه الليلة جدتي وبدأت تتثاءب وتركتنا وذهبت للنوم، ونحن نسأل الواحد للآخر متى نجد حلًا لهذه الجمل الصعبة؟ استلقيت محل نومي أتقلب على جمر النار، لابد أن أربح العانة، لكن كيف؟ ومن يساعدني؟ هذه الألغاز من أول وهلة تشكل للسامع نوعًا من الغموض؛ فيتوه في تحليل عباراته إلى عدة خيارات، واللفظ في اللغز قد يفسر بطريقة مختلفة؛ بحيث لا يدل ذلك على معناه.... نلتقي في الجزء الثالث عشر من حكايات جدتي.

الجواب:

ويقصد الصاج (سطح معدني مقوس يخبز الخبز فوقه)، يقصد بها فاكهة الرمان، جواها يعني في باطنها (اللب الأحمر) وبراها يعني خارجها

(الغلاف اللحائي)، إبرة وخيط، كشتبان، عمران، يقصد بها السماء والنجوم، يقصد الفلك، يقصد بها الضفائر، يقصد اللسان، الخيار، ويقصد بها فاكهة البطيخ (الركي)، الاسم، الظل، الرمان، برغوث، زنبيل دخان، سمسم، الملفوف أو الكرنب بالعامية (لهانة).

الحكاية الثالثة عشر

الحزورات (الألغاز) الجزء الثالث

في هذه الليلة جلست جدتي خلف صينية مملوءة بالفاكهة، ومنها عنب يسمى (ديس العنزة)الذي لونه أخضر أو أصفر، وهو يأتي بشكل يشبه الثدي (شكل الكمثرى)عنب طعمه حلو، وقليل من عنب (بيض الحمام) الذي يشبه الكرة، تتلقف حبة من العنب وتنظر إليها بتعجب ثم ترميها في حلقها. سألتُ جدتي عن جارنا أبو البنات؛ لماذا كل أطفاله بنات؟ قالت: هذه إرادة الله، ولكن أمه إنسانة طيبة جدًا؛ فهي ممن يشعلون الشمع ويحرقون البخور يوميًا في البيت، ولكنها من المؤمنين بالحجاب، والعين والحسد، والأرواح، وصب الرصاص، وتعتقد أن ابنها مضروب عين ومحسود أو مسحور؛ ولهذا كل خلفته بنات، وقبل يومين أخذته والدته إلى رجل يُدعَى رجب يصب الرصاص على رأسه، استغربنا جميعًا؛ لأننا لا نعرف ماذا تقصد، لكنها أكملت حديثها وقالت: هذه الظاهرة توارثناها عن أجدادنا، وحتى الآن مازالت منتشرة بين بعض العوائل أحيانًا، وخاصة إذا مر إنسان بمأزق يقولون صبُّوا رصاصًا على الرأس لإبطال السحر والحسد والعين أو مرض.

كان يوم السبت ذهب جارنا مع والدته لمنزل رجب؛ لاعتقادها بأن هذا اليوم خاص لإبطال السحر ويوم الخميس للحسد والعين. ثم أكملت حدثها: يأتي رجب برصاص نقي ويوضع في مقلاة أو وعاء، ثم يذوّبه على النار حتى الانصهار، ويؤتَى أيضًا بطِشتٍ مملوء ماء يوضع على رأس المحسود أو المعيون أو المسحور، ويسكبُ الرصاص المنصهر في الماء الذي بالطشت فيخرج صوت أزيز أو وشيش نتيجة تبرّد الرصاص في الماء، وعندها يعتقد المصاب أنه قد

شُفِي وأزيلت ضربة العين والحسد منه، وقبل هذه العملية يبدأ رجب بسرد بعض القصص عن أم فلان وأبو فلان، وكيف تحسّنت حالتهم بعد عملية سكب الرصاص، كل هذا الكلام يلعب دورًا بارزًا في التحسن المؤقت لنفسية المريض.

بعد أن يبرد الرصاص يخرجونه من الماء؛ فيكون قد أخذ شكلًا غريبًا مثل: دائرة بيضاوية ترمز للعين، أو امتداد طولي للرصاص أو مبسط يرمز للسان، أو شكل أنبوبي يرمز للساعد أو القدم...إلخ، فالأمر كله متروك لخيال ساكب الرصاص وبقية النسوة أصحاب الخبرة والخيال الخصب.

يثقب الرصاص المتشكل كالعين بآلة حادة، مع ترديد بعض العبارات، مثل: عين الحسود فيها عود، أو عين الحسود الذي يحسدك تفقع وتعما. وإذا كان شكله كاللسان أو اليد فإنه يقص بالمقص أو السكين، مع ترديد بعض العبارات، مثل: فليقص كل لسان يتكلم عليك وتقطع كل يد أو رجل... إلخ.

وهكذا جارنا يسمع كلام والدته ولا يؤمن أن خلفتها مشيئة الله، ورزق لحد الآن سبعة بنات متتاليات وما زال الحبل على الجرار. نعود يا أطفالنا العقلاء لموضوع حديثنا، ولا واحد منكم قدر أن يحل لغز واحد، سأسألكم اليوم حزورات (الألغاز) ليس صعبة مثل السابقات. وما زالت العانة تنتظر من يعرف الحل وغدًا سيشتري بها شعر البنات.

ما هو الشيء الذي كلما كثر لدينا غلَا وكلما قل رخص؟

ما هو الشيء الذي يمشي ويقف وليس له أرجل؟

ما هو الشيء الذي تأكل منه مع أنه لا يؤكل؟

ما الشيء الذي له جلد وليس حيوانًا، وله ورق وليس نباتًا، وله لسان وليس إنسانًا؟

متى تستطيع وضع الماء في الغربال؟

أمك ومرات أبوك، وأخت خالك وأم أخوك، كم أذن لهم؟
لونه أسود ولا ينتفع به إلا إذا كان لونه أحمر؟
ما هو الشيء الذي يكون داخل الغرفة وخارجها في نفس الوقت؟
ما هو الشيء الذي لا يؤكل في الليل أبدًا؟
أمشي بدون قدمين، وأطير بلا جناحين، وأبكي بدون عينين، فمن أنا؟
ضرب المزارع طبق البيض في الجدار ولم ينكسر لماذا؟
يتسع لمئات الألوف ولا يتسع للطير المنتوف؟
ما هي المدينة التي لا يطحن فيها الطحين، ولا يموت فيها ميت؟
من هو الشخص الذي لا يغضب إذا أخرجت له لسانك؟
ما هو الشيء الذي صانعه يبيعه، وشاريه لا يستعمله، ومستعمله لا يراه؟

سمعنا صوت مذاع جارنا أبي البنات يسمع أغنية رباعيات الخيام لأم كلثوم ويرد مع كلمات الأغنية بصوت نشاز، توقفت جدتي طرح الأسئلة وتمتمت مع نفسها قائلة: جار لا يحترم جاره، لكنه معذور؛ لأنه يمكن شارب (أي تقصد أنه يشرب العرق)، بدأنا نضرب أخماس بأسداس وأين نحن من حل الألغاز. وضاعت علينا العانة وشعر البنات.

هذه الألغاز واحدًا من أهم الوسائط التعليمية لما تحققه من تدعيم للمعلومات، بالإضافة إلى الجانب الترفيهي الهادف الذي يساعد على إمتاع الطفل من جهة، وتمثله لثقافة بيئته وقيمها وأعرافها من جهة أخرى حتى يتكيف مع مجتمعه، وتساعد على النمو النفسي للطفل، وخلق توازن نفسي، وإشباع بعض من احتياجاته المعرفية.

سنلتقي بحكاية جديدة وتصبحون على خير.

الجواب:

العقل، الساعة، الطبق، الكتاب، عندما يجمد، اثنان؛ لأن الجميع شخص واحد، الفحم، باب الغرفة، الفطور، الغيوم، لأنه فارغ، بيت النمل، لأن الميت لا يموت فهو ميت أساسًا، والطحين لا يطحن فهو مطحون أساسًا، الطبيب، الكفن.

الحكاية الرابعة عشر

جمل تعجيزية

في ليلة من ليالي الصيف المقمرة صعدنا للسطح ننعم بسكون الليل ورقة النسيم، ننتظر جدتي تصعد لتحكي لنا حكايتها اليومية، فهي موسوعة من التراث والتقاليد والعادات التي ورثتها عن أجدادها. لم تمضِ دقائق وإذا جارنا أبو البنات يصرخ بصوت عالٍ ويشتم ولا نعرف السبب، صعدت زوجته مسرعة وأمه التي كانت تسكن معه، يسألونه عن سبب صراخه، ومن كثرة عصبيته لا زوجته ولا أمه فهمتا ماذا يريد، وأخيرًا علمنا أنه حشرة قرصته في رقبته، وأثناء فركها عثرت يده بقدح العرق الذي كان يشربه كل ليلة، جالسًا على كرسي خيزران عتيق وأمامه طاولة صغيرة أكل الدهر منها، وسكب العرق وانكسر القدح، والسبب أن زوجته لن تنصب الناموسية التي يجلس تحتها (أي نسيج رقيق من القماش يحيط بالفراش ويعلوه؛ ليمنع دخول البعوض والحشرات الطائرة).

كان هذا آخر قدح ما يملكه من المهجوم (أي العرق هكذا كانت تسميه جدتي؛ لأنه يخرب البيوت) ومن العرق المحلي (قجغ)،كان جارنا يشتريه من رجل من أهالي بعشيقة التي اشتهرت بصناعة العرق غير المطابق للمواصفات ودون رقابة حكومية، كذلك شاع بين الفقراء من الناس باسم (أبو الكلبجة)، وهو من أرخص وأحقر أنواع العرق، حيث كان يَسطل شاربه من أول قدح، وغالبًا ما كان ينتهي شاربه السكران في موقف الشرطة؛ لذا سُمي بعرق أبو الكلبجة، وكان جارنا هذا المسكين تصيبه حالة غريبة بعد الشرب؛ حالة نفسية عدائية ويكفر ويصرخ، بعكس بعض الشاربين الذين تصيبهم حالة من

الابتهاج والفرفشة والضحك، وهناك آخر من الشاربين يَبكي ويذكر موتاه ومشاكله وحبه الأول أو الفتاة التي لم يستطع أن يحصل عليها، والبعض يلجأ إلى المبالغة وادعاء ما ليس فيه أو لهُ، وغالبًا ما يُمثل ذلك أحلامه التي أخفق في نيلها، وآخرون يرقصون بخفة ويقبلون ويحتضنون من في المكان وكل عابر سبيل، والبعض يعود إلى بيته ليضرب أولاده ويُطلق زوجته عدة مرات قبل طلوع الفجر، وعرق القجغ معروف بسرعة وقوة مفعوله وتأثيره على شاربهح لأن صانعيه يُقطرون العرق سرًا، ولكي يُعجلوا في اختمار العرق يُضيفون له مادة (الزنجارة) أي الصدأن وهي كبريتات النحاس، إذا صُبَّ عليه الماء يتحول إلى اللون الأزرق، وكان لشدة مفعوله يُعادل مفعول قدح واحد، قوة ومفعول عدة أقداح من عرق الحكومة، ويبيعونه بثمن أقل من ثمن العرق المُقطر بإشراف الحكومة، ويقال والعهدة على القائل أن لو الله هدى وزير داخلية وشرب قدحًا واحدًا من العرق، وبالذات من عرق(أبو الكلبجة)، لانقلب فورًا من وزير داخلية إلى وزير خارجية وطار في سماء الدنيا الفسيح.

على كل حال صعدَت جدتي للسطح تعلق على جارنا وتنتقده؛ لأنه يعتدي على زوجته كلما شرب قدحًا من المهجوم.

في هذه الليلة اختارت جدتي موضوعًا مختلفًا عن الحكاية، فهناك عبارات ملتوية تعجيزية يرددها أبناء المحلة بسرعة لاختبار بعضهم بعضًا في سرعة النطق وصحة الأداء، ولا ريب أن العجلة في الأداء تؤدي إلى التورط في الخطأ، وعندئذ يصبح المتورط أضحوكة أقرانه ومثار سخريتهم، ولا يستطيع ترديد الجملة عدة مرات متتالية، ويبدو أن المؤلف المجهول قد برع في حشد الألفاظ المتجانسة التي تلزم المتبارين بنطق كلمات معينة بسرعة ثلاث مرات أو أكثر، ولابد في هذه الحالة أن يتورط الناطق بلفظة خاطئة تجلب الضحك وتبعث المرح.

قالت جدتي: سأقول جملة وعليكم ترديدها خلفي دون خطأ في اللفظ، وكل واحد يرددها ثلاث مرات. هالطماطاية طماطاية من؟ كلنا وقعنا في الخطأ ولم نستطع ترديد الجملة صحيحة، ضحكنا كثيرًا، ثم قالت جدتي: لنجرب جمل أخرى، وهكذا استمر الحال بنا نقع في الخطأ بعد كل جملة ترددها جدتي على شرط أن تردد أكثر من ثلاث مرات.

سدينه صدرشط السيد، والسيد ما سد صدرشطنه.

نبگ نبگتنه أحسن لو نبگ نبگتكم، ضوگونه من نبگ نبگتكم وانضوگم من نبگ نبگتنه.

سبع بيضات من بيضات الشظاشظ، طبخناهن وحمسناهن وگلنه شظن ياشظاشظ.

شص أبطن شص.

شمس الشتا خوش شمس.

لوري وره لوري.

خميس خمش خشم حبش وحبش خمش خشم خميس.

حسين حش هزة حشيش.

بعانه تتن دچ الچيس دچ، اتلث انگيرات بالخلة وحده دبس وحده دهن وحده خله، اطفردهن وألطع دبس واطلع خله.

جمل ماشي على ماشي جيت اضمه خطف شاسي.

سبع سعفات اتدك السگف سعفن سگفنه.

لگيت الدب ايكسرلب كتلت الدب وأكلت اللب.

عشرطشوت، تسع طشوت، ثمن طشوت، سبع طشوت.

بنّا بنى ببابنا، بناتنا تناوله الحجارة.

عند المعيدي زبد وعند أمي چسب (تمرزهدي) يامّا شيلي چسبچ عن زبد المعيدي، أو يا معيدي شيل زبدك عن چسب امي.

فستبش بنشت بنت بنيبش نبشت بشعرها الطولاني.

ناكه الخكعه وفرخ الخعفك.

حوش خجه خوش حوش.

خيط حرير فوگ حيط خليل.

شمس صيف وشمس شتا.

لوري نوري وره لوري رشيد.

ياشمسه شسم شمسه؟

كعب العكبنكب بيض الحدرنج.

هاي الچمچه چمچة من؟

بيدي سمچه وفوگايه سگف اضرب السمچه بالسگف واضرب السگف بالسمچه.

الحكاية الخامسة عشر

حكاية السلطان الكذَّاب

بدأ الحر يخف وأصبح الجو مائلًا للاعتدال، ونشاهد بعض الغيوم في السماء، وستكون آخر ليلة ننام في السطح. كانت جدتي سعيدة فرحة؛ لأنها تحب النوم في غرفتها ومنامها الخاص، وضعَت بطانية على كتفها تحمي نفسها من الهواء البارد الذي يهب بين فترة وأخرى، قالت: اليوم سأقص عليكم حكاية السلطان الكذاب.

كان يا ما كان وعلى الله التكلان، كان في قديم الزّمان سلطان يحبّ الكذب حبًّا جمًّا، وكان الكذب يسري في عروقه بحيث لا ينطق بأية كلمة إلاَّ إذا تأكد من كذبها، حتّى إنّه كان لا ينطق بحرف الصاد كي لا يذكّره بكلمة صدْق،أحسّ أن أكاذيبه أصبحت مكرّرة؛ لذا أعلن عن مسابقة للكذب، وجعل جائزة أكبركذبة صندوقًا كبيرًا مطعّمًا بالصدف، غير أنه لم يكشف عن محتوياته، وحان موعد المسابقة وتجمهر النّاس لمشاهدة الكذابين، وأشار السّلطان للمتسابق الأول بالكلام فقال: كنّا يا سلطان الزّمان ثلاثة، هاجَمَنَا المَحْلُ صرنا ستة (أَيِ انْقَطَعَ عَنْهُمُ الْمَطَرُفَيَبِسَتْ الأَرْضُ) عاش من عاش ومات من مات، أصبحنا اثني عشر، ذات يوم ذهبنا إلى حمَّام السوق فانزلقنا في سواقيها، رجعنا ثلاثة، الأول أطرش، والثاني أعور، والثالث أعرج، قال الأطرش: أنا أسمع صوت بعوضة في أعلى سمائه، أجاب الأعور: صحيح فعيني تراها، ورد الأعرج: هيَّا لنركض وراءها، ركضنا فوجدنا برغوثًا يسلخ جملًا، وقفنا عنده، قلنا: ألا تعطينا فخذًا؟ قال: حصّلوها وخذوها، المهم حصّلنا الفخذ، وقصدنا عجوزًا مشطها في جيبها زيّن الله شيبها، قلنا لها: ألا تطهين لنا

هذه الفخذ؟ قالت عندي طنجرة (شرقة مرقة) تأكل اللحم وتترك المرق، أعطيناها الفخذ، جئنا بالخبز، فتتناه في صينيّة كبيرة، دلقنا فوقه المرق، ورحنا نأكل بالمغارف، حتّى إننا لم نترك فيها لقمة واحدة.

ضحك السلطان فور انتهاء المتسابق من سرد كذبته، قال: أين الكذب؟ إنّك لم تذكر حتى كذبة ضئيلة بحجم رأس الدبّوس، هيا اذهب وأفسح المجال للمتسابق الثاني. تقدم رجل أحمر الشّعر، يرتدي ثيابًا ريفيّة، يحيّي السّلطان ويقول:

يا سلطان السلاطين، ذهبتُ البارحة إلى البيدر، فرأيت الفلاَّحين يحصدون البيض، يكوّمونه ويدرسونه قلت لحالي: لماذا لا آتي بالجحش وأملأ خرجه بالبيض؟ ركضتُ مثل الريح، جئت بالجحش وملأت عِدْلَي الخرج بالبيض، ولحسن الحظ كان عِدْلا الخرج مثقوبين، والبيض يقع على الأرض، ينكسر يتحول إلى دجاج ويركض ورائي، حتّى إنني عندما وصلت إلى البيت وجدت خلفي دجاجًا كثيرًا، فتحت له الباب (ادخل بيّت، بيّت) دخل الدّجاج، نظرت إلى الخرج، وإذا ببيضة كبيرة، مددت يدي لأمسكها، وقعت وفقست جملًا، أنَختُ الجمل وضَعتُ عليه حِملًا ثقيلًا فانعقر سنامه، أخذته إلى البيطار، قال: ضع له قشرة جوز مكان العقر، وضعت له القشرة، وإذا بشجرة جوز كبيرة تنبت فوق سنامه، فجأة أزهرت الشجرة وأثمرت، قطفتها فجمعت قنطارًا، لكن بقيَت حبة جوز في رأسها، أمسكت طينة وضربتها، وإذا بالطينة تتحوّل فور ملامستها حبّة الجوز إلى أرض حمراء نفراء، ما فيها ولا حشيشه خضراء، قلت: سأحرث الأرض. أحضرت مقلاعًا، وضعت فيه الثور ورميته، وضعت عُدّة الحراثة ورميتها، ثمّ وضعت نفسي ورميتها.

حرثت الأرض وزرعتها بالسمسم، مرّ أحدهم، قال: أخطأت، المفترض أن تزرعها بالبطّيخ. قلت: بسيطة: سأزرعها بطيخًا، ناديت أولاد الجيران ورحنا

نلمّ السمسم المبذور، وفور انتهائنا وجدته ناقصًا حبة، بحثنا عنها هنا وهناك، أخيرًا وجدناها في فم نملة، أمسكنا الحبّة، شدّت شددنا، انعفسضت الحبّة فغرق أولاد الجيران كلّهم في بحر السّيرج، تركتهم وجئت إلى هنا.

قطّب السّلطان جبينه، نظر إلى الرجل بقسوة، قال: يا لك من رجل أحمق، الظّاهر أنّك لا تفهم الكلام، أنا أقول لك أريد سماع كذبة كبيرة، وأنت تسرد عليّ حكايات لا تحوي حرفًا كاذبًا، هيا استدرواغرب عن وجهي.

استدار الرّجل مكسور الخاطر، ومَثَلَ أمامه رجل لمّاع العينين قائلًا: أيُّها السّلطان المبجّل، عندي كذبة مُتَبّلة.

نظر السلطان إليه، قال: هاتِ أسمعني. قال: احم، احم، منذ ثلاثين سنة استدان والدكم السلطان الأعظم جرة مليئة بالذهب الخالص من والدي.

فتح السلطان فمه دهشًا، قال: ماذا تقول يا مجنون؟ والدي أنا يستدين من والدك جرّة مليئة بالذهب! قال مولاي: إن كنت كاذبًا، فقد فزت وأصبح الصندوق من حقّي، وإن كنت صادقًا، ردّ لي مال أبي، حكّ السلطان جبينه، قال لنفسه: فِعلًا إنه لكذّاب محترف، لكنه أبدًا لن يكون أكذب من السلطان.

ثم صاح: أنت لقد فزتَ بالمسابقة، واستحققت لقب أكبر كذّاب في البلاد، هيا، تقدم وخذ الجائزة.

نظر الرّجل إلى الصندوق بعين حالمة، تراءت أمام عينيه صور اللؤلؤ والمرجان والفيروزوالذهب والفضة، ركض نحوه فرحًا نزع القفل وفتح الغطاء وشهق مذعورًا.

هرع الناس إليه مستفسرين، نظروا داخل الصّندوق وقعت عيونهم على الحجارة والحصى، فشهقوا واجمين.

أمَّا السلطان، فكان الوحيد الذي يضحك حتى دمعت عيناه وأصبحت معدته تؤلمه من كثرة الضحك، وكأن أحدًا يدغدغ خاصرتيه وهو يقول متفاخرًا: لن يكون هناك من هو أكذب مني.

وفي ختام الحكاية تقول جدتي: وكنا عندكم وجئنا، لو بيتنا قريب لجلبت لكم حملًا زبيب.

الحكاية السادسة عشر

تيتي تيتي مثل ما رحتي جيتي

حدثتنا جدتي قالت: يحكى أن نجارًا كان يقوم بصناعة الأثاث الخشبية، وقد اشتهر بزخرفتها والتفنن بإضافة بعض الألوان الجميلة لها، وكانت زوجته واسمها تيتي هي الأخرى قد اشتهرت بجلب قشور الأشجار وصناعة مواد التجميل للنساء منها الأحمر شفاه والكحل، وأقلام رسم الحاجب وتبييض الأسنان، والحناء، وكانت ترتبط بعلاقات ودية مع النساء وخاصة نساء المسئولين؛ لأنهن يكثرن من شراء تلك المواد. تيتي كانت تصاحب زوجها بالذهاب إلى الغابة لقطع جذوع الاشجار الكبيرة وأغصانها، تيتي شاهدت جذعًا لشجرة كبيرة جدًا فأشارت لزوجها على قطعه وعمله كرسيًا، وإهدائه للملك لعلهما يحصلان على مبلغٍ كبيرٍ من المال، يؤسسان به معملًا للنجارة والأصباغ في المدينة. وافق الزوج فقام بقطع ذلك الجذع واستعان ببعض الأشخاص لنقله إلى منزله، واستمر العمل به لمدة عام كامل بطريقة النحت وكان شكله مستوحى من رأس الأسد وخلفيته رأس صقر، بحيث ولم يُضَع فيه مسمارٌواحدٌ أصبح ذلك الكرسي أعجوبة الزمان.

أبلغ النجار البلاط الملكي أنه يريد أن يهدي كرسيًا جميلًا للملك بمناسبة عيد ميلاده، نقل الكرسي بواسطة عربة ملكية ووضع في صالة الاستقبال والنجاريقف بجانبه وكذلك الوزراء والحاشية واقفون كلٌ في المكان المخصص لهم يترقبون الباب الذي سيطل منه الملك. دخل الملك وتعالى التصفيق ابتهاجًا بطلته وهو يرتدي حلة العيد، وأخذ ينظر بأعجوبة إلى هذه التحفة التي أفنى

النجار من أجل صناعتها هو وزوجته تيتي التي كانت تتفنن بعمل مزج الألوان (الخبطات) للكرسي.

جلس الملك على الكرسي وأخذ ينظر يمينًا وشمالًا، فبدت علامة الارتياح تظهر على وجه جلالته، أما الحضور فكلهم مبتسمون. وقف الملك فتقدم رئيس الوزراء وصافح الملك مباركًا له عيد ميلاده وهنئه بهذا الكرسي، ثم جاء من بعده الوزراء وهم يقبّلون كتفي الملك، وبعد الانتهاء من استقبال المهنئين التفت الملك إلى النجار ووضع يده على كتفه وقال (عفية) (وتقال مكافئة وتكريمًا لمن أحسن في عمله أو يراد منه عمل شيء).

غادر الملك المكان وانصرف الجميع، ثم جاء أحد الحراس وسحب النجار من يده وأمره بالخروج، حاول النجار التكلم مع الحرس إلا أنه نهره وأمره بالسكوت. عاد النجار إلى البيت وهو يجر أذيال الخيبة والخذلان، وكانت زوجته تيتي التي أرهقها الانتظار وهي تتأمل بمكافئة مالية كبيرة من جلالة الملك المفدى، فقالت له (ها بشر شنطاك الملك)؟، فرد عليها قائلًا: (تيتي تيتي مثل مارحتي جيتي)، فردت عليه صارخةً: (عزا العزاك شنو ما نطاك شي)! أجاب الزوج بحركة يديه ضاربًا الراح بالراح وشفتاه متوقفتان عن الحركة، ثم قال لها: أنطاني عفية، انزعجَت الزوجة ودخلت إلى الدار ولفّت عباءتها على جسمها، وقالت: (امشي وراي وشوف شراح أسوي اليوم)، ركبت مع زوجها العربة وقالت له: أسرع نحو السوق قبل فترة الظهيرة، وقبل أن يصل الخبر إلى التجار بأن الملك لم يكافئ النجار بشيء. استقبل التجار ما أن رأوا النجار وزوجته تيتي، وهي معروفه من خلال ترددها على السوق، بحفاوة وأخذوا يعرضون عليهما ما يحتاجانه من البضائع، فقامت الزوجة باختيار الأجود مما موجود من أقمشة وملابس ومواد منزلية ومواد غذائية تكفيهما لعام وأكثر، واستأجرت عربتين إضافيتين حتى امتلأت العربات الثلاثة، فطلبت من سواق

العربات بانطلاق إلى دار النجار وأبلغتهم بتفريغ المواد داخل المخزن الكبير الذي تخزن به الأثاث، وبعد أن أيقنت بوصول المواد إلى البيت استدعت التجار؛ لكي تعطيهم مستحقاتهم المالية. وقفت تيتي وبجانبها زوجها وتجمع حولها التجار وأصحاب المحلات وهم فرحين بهذا اليوم الذي صرَّفوا بضائعهم فيه وبأسعار مرتفعة، تيتي التي يبدو على وجهها الفرح والارتياح وزوجها متحير بالذي يجري وهو يخشى على نفسه أن يسألها عن الذي تقوم به، قالت مخاطبة التجار: من منكم لا يحب جلالة الملك المعظم ويفرح بهذا اليوم العظيم؟ فتعالت الأصوات: أرواحنا وأموالنا فداءً لجلالة الملك، وقال أحدهم: ها خوتي ها.... فردد الحضور: ها، بالروح بالدم نفديك يا ملك. تيتي أشارت عليهم بالسكوت فسكتوا، وقالت لهم (عفية)، وأمرتهم بالانصراف وانصرفت هي وزوجها فلحق بهما التجار، وتعالت الأصوات والصراخ، وهي توبخهم (عيب عليكم استحوا هذا ملكنا وأرواحنا تفداه)، فصرخ أحد أصحاب المحلات واسمه صابر بأعلى صوته (راحت فلوسك يا صابر).

أخبر جلالة الملك بوجود شغب في المجمع التجاري، فأسرعت القوات الأمنية وأغلقت الطرقات، والسيطرة على الوضع وجلب المشاغبين بهذا اليوم المبارك لمعاقبتهم، وبعد أن سيطر الحرس على الوضع اقتيد الجميع إلى قصر الملك وقابلهم الملك واستفسر عن السبب. تقدمت تيتي زوجة النجار وقالت: يا جلالة الملك، أنت قلت لزوجي بعد أن أهداك الكرسي (عفية)؟ قال الملك: نعم أنا قلت ذلك. قالت الزوجة: يا جلالة الملك، أنا وزوجي ذهبنا إلى السوق وتبضعنا بما قيمته ثلاثة ألاف دينار، ودفعنا للتجار عفية بدل النقود، إلا أن التجار لم يصرفوا العفية ولم يعترفوا به. تعجب الملك لمّا سمع كلامها، ضحك الملك كثيرًا حتى اضطر للجلوس على الكرسي الذي صنعه النجار وهو مستمر بالضحك، ثم استدعي مسئول المالية وأمره بإحضار المال ودفع مستحقات

التجار، وأعطى مبلغًا من المال لزوجة النجار وغادر الجميع وهم فرحين ويضحكون، زوجة الملك التي كانت تسمع وترى هي الأخرى قد تعجبت لكلام تيتي وهي التي تعرفها بصناعة بعض الحاجيات النسائية استدعتها إلى محرم النساء، ودار حديث مطول معها وهن يضحكن لما يسمعن من كلام لطيف. زوجة الملك أمرت بإحضار هدية من قطع الذهب تعادل ما أعطاه الملك للتجار والنجار وألبستها لتيتي، وخرجت تيتي محملة بالمال والذهب والحاجات النفيسة من قبل بعض النسوة اللواتي قد حضرن لتهنئة الملكة بعيد ميلاد الملك.

قالت جدتي: شوفوا يا أولادي كيد النسوان، لولا تيتي جان النجار اتهدل حاله، وهكذا قالوا تيتي تيتي مثل ما رحتي جيتي.

الحكاية السابعة عشر

ملا حسن والمعلم

عادت جدتي إلى المنزل بعد زيارتها لعائلة جارنا أبي البنات بمناسبة ولادة البنت السابعة وهي تتمتم مع نفسها ولا نفهم ما تقول، ويبدو عليها الانزعاج، سألتاها عن سبب انزعاجها، قالت بحسرة وألم: كم رزيلة زوجة أبي البنات؛ فقد دعَت عددًا كبيرًا من نساء المحلة وقدمت لهم عزيمة الحصيني واللگلگ(اللقلق).

سألتها: ماذا تقصدين؟ قالت: وهو من الأمثلة التي تُضرب على ألسنة الحيوانات والحصيني هو: الثعلب.

أن أحد الأيام دعا الثعلب صديقه اللقلقَ إلى الغذاء في بيته، وهو ينوي العبث بهِ والسخرية منهُ، فحضر اللقلق في الموعد المتفق عليه وأحضر الثعلب له مَاءَ لحَم في إناء ضحلٍ كبيرٍ، ووضعه أمامهُ، وراح هوَ يلغُ في الإناء بلسانهِ، ولم يستطع اللقلق، أن يأكلَ شيئًا، فقالَ للثعلب: "يا معود، هَاي شلون سَالفه منك؟ شلون راح آكل آني".

فقال الثعلبُ: "أنتَ حُر تريد تأكل كل، تريد مَا تاكل، كيفك".

وفي اليوم التالي، أراد اللقلق أن ينتقم لنفسهِ، فدعا الثعلب إلى الغذاء عندهُ، ووضع (مرگه) في قُمقم ذي عنُق رفيع طويل، ووضعهُ أمام الثعلب، وراحَ اللقلق يمد منقاره الطويل ويشرب المرگه، فقال الثعلب: "يَامعود شلون راح آكل آني". فقالَ اللقلق: "أنت ِحُر تريد تأكل كل، تريد مَا تأكل، كيفك".

فضُرب المثلُ بهذه العزيمة، فقيلَ: مِثل عزيمَة الحصيني واللگلگ، ضحكنا كثيرًا، سألتها: ماذا قدّمَت أم البنات لكم من طعام؟

قالت جدتي: قدمَت لنا قدرًا من الدولمة (المحشي)، تركته فوق النار حتى احترق نصفه (أي نسَته)، وبعد أن أفرغته في صينية قالت: تفضلوا حبائب الأكل جاهز، من يعجبه يأكل يتفضل.

قلت لها: ما حكاية اليوم؟

قالت: كان يا ما كان وعلى الله التكلان، يروى والعهدة على من روى أنه في قديم الزمان وفي قرية نائية في جنوب العراق يعيش أهلها البسطاء على الفلاحة والصيد، وكلهم أميين لا يحسنون القراءة والكتابة، ويعيش في القرية معهم رجل يدعى (ملا حسن) أخذ من الدين غطاء لجهله وأميته، وصوّر نفسه للقرويين بأنه يقرأ ويكتب ويفهم في أصول الدين والفقه، وصدّقوا القرويون بادعائه، وتكفلوا بمسكنه ومأكله ومشربه وبقية احتياجاته.

وهكذا عاش ملا حسن سنوات سعيدة، يعني (نائم برأس الجماعة) وفجأة طرق سمع ملا حسن خبرًا يفيد بأن الحكومة في بغداد عازمة على إيفاد معلم لغة عربية إلى تلك القرية لتعليم الأطفال، وثارت ثائرة ملا حسن وجن جنونه، وشعر بأن وصول المعلم إلى القرية يعني نهاية لدجله وخداعة لأهل القرية، وضربة قوية لمصالحه ولدخله من أهل القرية، وأخذ يضرب أخماس بأسداس ويفكر ويتربص ويحيك المؤامرات حتى وصل لفكرة وحيلة خبيثة يتخلص بها من المعلم القادم من المدينة، وهكذا استعد لملاقاة المعلم وانتظر على أحر من الجمر يوم وصوله إلى القرية، ووصل المعلم واستقبلته القرية وذهب مباشرة لمضيف شيخ القرية، وفرح به كبار القوم واستقبلوه استقبالًا لائقًا، وكان من ضمن المستقبلين ملا حسن، لكنه كان مستاءً جدًا ويبدو الحزن عليه وخائفًا من فشل فكرته، وبعد أن سلّم المعلم على رجال القرية وتعرّف على أسمائهم وأخذ يحدثهم أحاديث للمجاملة وعن التعليم والقراءة والكتابة، تشجّع ملا حسن واستجمع قواه وبادر المعلم بسؤال استفزازي لم يدُر في خلد

الأستاذ أن في يوم ما سيوجه له هكذا السؤال، سأل ملا حسن: أستاذ، لا أعتقد بل أنا على يقين بأنك لا تجيد القراءة والكتابة! وأتحداك أن تكتب كلمة واحدة؟ فاستغرب المعلم ودهش من هكذا تحدي، وأجاب قائلًا: يا ملا حسن، كيف تتحداني بهذا الشكل وأنا خريج معهد المعلمين في بغداد قسم اللغة العربية؟ لابد وأنك يا ملا حسن فقدتَ قواك العقلية لتتحداني بهذا الشكل الاستفزازي.

فأجاب ملا حسن: يا أستاذ، إنك تريد أن تستغل أمية رجال القرية لتسيطر عليهم من خلال ادعاءك بإجادة القراءة والكتابة، وأتحداك أن تكتب كلمة واحدة؟ بل أطلب منك أن تكتب كلمة حيّة وأنا أكتب كلمة حية (أفعى) ونعرضها على القوم وهم سيقررون من منا يجيد القراءة والكتابة؟

ذهل المعلم من طلب ملا حسن، بل استهزأ من طريقة كتابة حية واعتبرأن الأمر سينتهي لصالحه! ووافق على طلب ملا حسن، وأحضروا لهم ورقتين وقلمين لكليهما، وبدأ المعلم يكتب حية، وكذلك قام ملا حسن بكتابة حية! وبعد الانتهاء من الكتابة قدم الاثنان ورقتيهما إلى رجال القرية، وأخذ القوم يتدارسون ويتباحثون عمن كتب كلمة حية بالشكل الصحيح، وبعد فترة قرر أهل القرية بأن حية ملا حسن كُتبَت بالشكل الصحيح، وأن حية المعلم لا تمت إلى فصيلة الأفاعي بصلة.

فهجموا على المعلم وأشبعوه رفسًا وركلًا (وبهدلوه) وطاردوه حافيًا خارج القرية، وشكروا ملا حسن على إنقاذهم من شر المعلم، وزادوا عطائه وأكرموه أكثر من قبل، فماذا فعل ملا حسن لكي تحظى حيته بإعجاب القرية وتفوز فوزًا ماحقًا على حية المعلم؟ هذا ما حصل: المعلم وبحسن نية كتب حية كتابة، أما ملا حسن فرسم خط متمايل على شكل حية! وبما أن أهل القرية كلهم أميون لم يفهموا كلمة حية المكتوبة بيد المعلم، بل حية ملا حسن كانت أقرب لعقليتهم باعتبارها رسم يشبه الحية، وهكذا نجا ملا حسن وحافَظ على موقعه في القرية واستمرّفي خداع السذّج.

الحكاية الثامنة عشر

القاضي وبائع الدجاج

حدثتنا جدتي عن المثل (طلع منها مثل الشعرة من العجين)، قالت:

تخاصم جارنا أبو البنات مع جارنا المطيرجي الذي لا يرتاح لمجاورته؛ لأنه يقضي أكثر أوقاته فوق السطح العالي مما يمنع أم البنات من الصعود لتعليق الملابس المغسولة على الحبال، لكن كان سبب الخصام أن أم البنات وضعت صواني عصير الطماطة لتجف، وتوسخ المعجون بريش الطيور بالإضافة لوقوفها فوق ستارة السطح وتوسخت بفضلاتها، مما أدى بهما الذهاب إلى مركز الشرطة، وكان مأمور المركز بدرجة مفوض يحب المزح والفكاهة، ولا يأخذ بشهادة (المطيرجي) لأنه دائمُ النظر إلى السماء لمراقبة الطيور، وهذا يعني أنه لا يهتم بالأحداث التي تجري على الأرض، ولأنه يحلف أو يقسم بالله وكتبه ورسله على أتفه الأشياء، ويكثر من الأيمان التي يحلفها كاذبًا في سبيل تحقيق ملكية طير يدّعي أنه صاحبه وهو لسواه، والشهادة تقتضي تعظيم اليمين والالتزام به.

وعند عرض القضية للمفوض أودعهم التوقيف ولا يرد على أي منها، وبعد أكثر من ساعة استدعاهما وفتح تحقيقًا معهم وقدم لهما عرضًا بدل ما يحيل دعواهم إلى حاكم التحقيق، وطلب من المطيرجي أن يضع صواني عصير طماطة فوق السطح وطلب من أبو البنات شراء طيور ويربيها ويكشها حتى توسخ ستارة منزل المطيرجي وصواني عصير الطماطة ويتعادلان، احتار الاثنان بهذا العرض، ثم تشاور أبو البنات والمطيرجي بينهما، وهكذا تنازل أبو البنات عن دعواه وتصالحا وأغلقت الدعوة.

استمرت جدتي بالحديث وقالت: ما فعله المفوض ينطبق على حكاية القاضي وبائع الدجاج.

كان يا ما كان في قديم الزمان، رجل اشترى الدجاجة الأخيرة التي كانت لدى بائع الدجاج ودفع ثمنها وطلب منه أن يذبحها، ذبح البائع الدجاجة، ثم قال للبائع: نظف الدجاجة وقطعها حتى أكمل مشاوري لشراء بعض الحاجيات من السوق، وأعود لأخذ الدجاجة المقطعة، وافق البائع وقال له: ربع ساعة وتعال تلقاها جاهزة.

لم تمضِ بضع دقائق، مر القاضي على البائع وقال له: أعطني دجاجة، رد البائع: لقد بعت الدجاج جميعًا، وما عندي إلا هذه الدجاجة المذبوحة وهي لرجل وسيعود خلال دقائق لأخذها، قال القاضي: أعطني إياها وإذا جاء صاحبها قُل له الدجاجة طارت، تعجب البائع وقال: كيف تطير الدجاجة؟ وهو تركها مذبوحة حتى أنظفها. ابتسم القاضي وقال: أقول لك: قُل له الدجاجة طارت واتركه يشتكي ولا يهمك، وافق البائع على طلب القاضي وأخذ الدجاجة ورحل بعد دفع ثمنها مرة ثانية للبائع.

عاد الرجل صاحب الدجاجة طالبًا دجاجته المذبوحة والمقطعة، فقال له البائع: دجاجتك طارت، صرخ الرجل بصوت عالٍ: كيف تطير وأنتَ ذبحتها أمامي، صار بينهما شد في الكلام وصراخ وتشابكا بالأيادي، وتدخلت الشرطة وأخذتهما للقاضي ليحكم بينهما، في الطريق شاهدا اثنان يتشاجران واحد مسلم والثاني مسيحي، تدخل البائع ليفك بينهما (يعنى يفرق بينهما)، ولكن أصبع بائع الدجاج دخلت في عين المسيحي وفقعها، تجمع الناس ومسكوا البائع واتهموه بفقع عين المسيحي، ولكنه هرب فركضت الشرطة والناس خلفه ليمسكوه، دخل أحد المساجد وهم وراءه وصعد فوق المنارة وصعدت الشرطة خلفه، ومن خوفه منهم قفز من فوق المنارة نحو الأرض، وبالصدفة سقط فوق

رجل عجوز جالس تحت المنارة فمات العجوز من أثر سقوط البائع عليه، وكانوا أولاد العجوز قريبين منه وشاهدوا أبوهم قد مات والتحقوا مع بقية الناس والشرطة؛ لكي يمسكوا البائع ويأخذوه للقاضي، وأخيرًا استطاعت الشرطة إمساكه وأخذه إلى المحكمة.

فلما شاهد القاضي البائع والناس معه ضحك عرفه؛ لأنه يعرف قصة الدجاجة ولا يدري أن البائع علية ثلاث قضايا: سرقة الدجاجة، وفقع عين المسيحي، وقتل الرجل العجوز.

عرضت القضايا على القاضي وبدأ يفكر، ثم قال: نأخذ القضايا واحدة بواحدة وطلب من الحاجب ينادي على صاحب الدجاجة، فقال القاضي للمدعي الأول صاحب الدجاجة: ما هي شكواك أو دعواك على بائع الدجاج؟

فقال صاحب الدجاجة: يا قاضي، تركت دجاجتي مذبوحة عنده من أجل أن ينظّفها ويقطعها، وذهبت للسوق لشراء بعض الحاجيات وعند عودتي يقول دجاجتك طارت. سأله القاضي: هل تؤمن بالله؟ أجاب صاحب الدجاجة: نعم أؤمن بالله. قال القاضي: (ألا تعلم بأن الله يحيي العظام وهي رميم) هيا اخرج وليس لك على البائع أي حرج أو ذنب.

ثم نادي الحاجب على المدعي الثاني. دخل المسيحي ووقف أمام القاضي وقال له: هذا البائع يا قاضي فقع عيني.

بدأ القاضي يفكر للحظات، وقال القاضي للمسيحي: دية المسلم لغير المسلم النصف؛ يعنى نفقع عينك الثانية حتى تفقع عين واحدة للمسلم (البائع).

فقال المسيحي: أنا أتنازل عن دعواي ولا أريد منه شيئًا.

فقال القاضي: أدخلوا أصحاب القضية الثالثة. دخل أولاد الرجل العجوز الذي تُوفّي وعرضوا قضيتهم وشرحوا للقاضي كيف قفز البائع فوق

أبيهم من أعلى المنارة وقتله. فكر القاضي وقال: خذوا البائع وأجلسوه تحت المنارة، وواحد منكم يقفز فوق البائع، فقال أحد الأولاد للقاضي: وإذا تحرك يمينًا أو يسار يمكن القافز يسقط على الأرض ويموت. فقال القاضي: والله هذه ليست مشكلتي؛ فأبوك لماذا لم يتحرك يمين ويسار.

فطلع البائع من القضايا الثلاث (مثل الشعرة من العجين).

الحكاية التاسعة عشر

العجوز وصحن الدبس

حدثتنا جدتي: إن جارتنا أم البنات كانت باهرة الجمال كأنها القمر المكتمل في السماء، وجهها مستدير وردي اللون، وعيناها سوداء الليل الكاحل السواد، وشعرها أصفر كأنه خيوط الذهب، تغار منها نساء المحلة، ولكن مصيبتها أنها تحب شراء الحلي الذهبية وتتزين بها، وكانت تكلف أثمانها دخل العائلة المالي. أما زوجها فقد ضاقت به السبل لمنعها من شراء الحلي وطلب من جدتي أن تنصحه وترشده إلى حيلة؛ لتكف زوجته عن هذه العادة الثقيلة.

تقول جدتي: أنها حكت هذه الحكاية للزوج وأن يتعلم منها درسًا.

(الحكاية)

قرر أحد الملوك منع النساء لبس الذهب والحلي والزينة، فكانت ردة فعل النساء كبيرة؛ حيث امتنعن عن الطاعة، وبدأ التذمر والسخط والاحتجاج، وبالغت النساء في لبس الزينة والذهب والحلي، اضطرب الملك واحتار، فأمر بعمل اجتماع لمستشاريه وبدأ النقاش، واقترح أحدهم التراجع عن القرار للمصلحة العامة، وقال آخر: لا؛ لأن التراجع مؤشر ضعف وخوف ويجب أن نظهر قوتنا، وانقسم المستشارون لمؤيدين ومعارضين.

طلب الملك إحضار حكيم المدينة بعدما حضر وطرحت عليه المشكلة، قال الحكيم للملك: لن يطيعك النساء إذا كنت تفكر فيما تريد أنت لا فيما يرِدن هن، فقال له الملك: وما العمل؟ أتراجع إذن؟

قال الحكيم: لا، ولكن أصدر قرارًا بمنع لبس الذهب والحلي والزينة للجميلات لعدم حاجتهنّ للتجمل، واستثناء القبيحات وكبيرات السن بلبس الزينة والذهب لحاجتهن سترقبحهن ودمامة وجوههن.

صدر القرار وما هي إلا سويعات حتى خلعت النساء الزينة، وأخذت كل واحدة منهنّ تنظر لنفسها على أنها جميلة، لا تحتاج للزينة والحلي، عندها قال الحكيم للملك: النساء طائعين عندما فكرت بعقولهن وأدركت اهتماماتهن من نوافذ شعورهن.

سمع أبو البنات الحكاية وطار من الفرح، وأوصته جدتي أنه يتعلم صياغة الكلمات مع زوجته، لا شيء يخترق القلوب كلطف العبارة وبذل الابتسامة ولين الخطاب، امتثلت زوجته لكلامه أول يوم، وفي اليوم الثاني عادت حلمية إلى عادتها القديمة، وبدأت بالتزين بالحلي والمجوهرات، وعندما سألها زوجها: لماذا عادت لبس الحلي؟ قالت له: توقف عن شرب عرق القجغ (المهجوم) وأنا سأمتثل لطلبك، ولم تمضِ دقائق حتى ارتفع الصياح بينهما، وتدخلت جدتي لفك النزاع.

نعود يا أطفالنا المحبوبين إلى حكاية اليوم:

كان يا ما كان في غابر الأزمان، امرأة أرملة فقيرة الحال، وعندها ثلاث بنات صغار، تعمل تتعب وتشقى لإطعامهن ورعايتهن، في يوم من الأيام اقترحت البنت الصغيرة على أمها أن يساعدنها في العمل وتأمين حاجات البيت، فطلبوا من أمهم أن تأتي لهم بالصوف ليغزلوه، ويصنعوا منه ملابس تبيعها في السوق، وتشتري لهم بثمنه طعامًا، وهذا ما حصل، وتعاون البنات الثلاث على حياكة الصوف حتى صنعوا منه ملابس جميلة أخذتها الأم إلى السوق، فباعتها ببعض الدراهم واشترت لأولادها بعض الحاجيات وصحنًا من الدبس، وعادت به إلى البيت.

استمرت على هذا الحال عدّة أيام، وفي أحد الأيام بينما كانت عائدة الأم بصحن الدبس واجهت عجوزًا نحيفًا مقعدًا، جالسا على قارعة الطريق، ذقنه طويلة، مهلهل الثياب.

قال لها العجوز: "ذبي دبسكِ واحمليني، ولبيتك وديني".

فقالت له الأم: هذا تعب بناتي الصغار؛ فكيف أرميه وأحملك بدلًا منه؟ وماذا سأفعل بك؟

فقال لها العجوز: "ذبي دبسك واحمليني، ولبيتك وديني، ومثل ما أقول لك اعملي لي، أنا رزقك ما راح تندمي معي".

أخيرًا وافقت الأم ورمت صحن الدبس، وحملته على ظهرها وقالت: أمري إلى الله.

أنزلته في البيت؛ فاستغرب بناتها قصة العجوز، واستنكروا على أمهم أن تتخلى عن صحن الدبس من أجل هذا العجوز الهفتان، وسألوا أمهم: ماذا سيفعلون به؟

فقال العجوز للمرأة: " افرشي لي فرشة، وباللّحاف غطيني ".

فرشت له الفراش وغطّته باللحاف، فقال لها: " الآن جيبي عصي ودقّيني".

فرفضت المرأة في البداية لكنه ألحّ عليها، ورجاها أن تفعل ما يريد، فأتت ببعض العصي، وأخذت تدقّه مع بناتها حتى أصبح كالعجينة، فرفعوا عنه الغطاء وإذ بالعجوز تحوّل إلى كومة من الذهب. فرحت البنات والمرأة بهذا الرزق العظيم، وطلبت المرأة من ابنتها الكبيرة أن تذهب وتستعير من جارتهم الغنية (كيلة) التي يكيلون فيها الحبوب؛ فاستغربت جارتهم هذا الطلب، وأرادت أن تعرف ماذا سيكيلون فيها فوضعت في أسفلها قطعة علك، وعندما أعادوها لها وجدت فيها قطعة من الذهب ملتصقة بالعلك، فطار عقلها

وذهبت إلى جارتها، وسألتها عن مصدر الذهب فلم تجبها، فألحّت عليها حتى اعترفت لها الجارة بكل ما حدث، فغرّها الطمع وحملت في اليوم التالي صحنًا من الدبس، وجابت الشوارع حتى قابلت عجوزًا فقيرًا مريضًا، فطلبت منه أن يأمرها برمي صحن الدبس وحمله إلى البيت، فحاول التملّص منها، لكنها أرغمته على قول ذلك، فقال لها ما تريد؛ فحملته إلى البيت، وقالت له أن يطلب منها أن تمدّ له الفراش وتغطّيه باللحاف، ثم أمرته أن يقول لها أن تضربه بالعصا، فأخذ يبكي ويرجوها أن ترحمه وتتركه في حال سبيله، لكنها لم تردّ عليه وسحبت العصيّ هي وأولادها، وصاروا يضربونه وهو يصيح ويستغيث من الألم حتى همدت حركته، فرفعوا الغطاء عنه وإذا هو جثة هامدة، وكومة من اللحم المفعوس، والفراش بركة من الدم.

حضرت الشرطة فقبضت عليهم، ووضعوهم في السجن بتهمة قتل الرجل العجوز، ولقوا جزاء طمعهم وحسدهم لجيرانهم.

الحكاية العشرون

الطير الأخضر

تقول جدتي: كان في مدينتا كاهن كبير في السن ذو لحية كثة، وله صديق إمام أحد الجوامع، كذلك لحيته معتدلة مشربّة بسواد، يسكنان متجاوران، تلقاهما وقت الفراغ معًا يتسامران ويتشاركان الطعام محبوبان من أبناء المدينة، يساعدان الفقير، ولا تشعر في أي يوم أنها من دينَين مختلفين، يحبان المزح والضحك. في أحد الأمسيات طلب الإمام من الكاهن أن يعد له عدد أعياد المسيحيين، لكن الكاهن عرض عليه فكرة أن يتراهنان على شرط مقابل، كل عيد يسحب شعرة من لحية الأخر عند ذكر اسم العيد، اتفقا وبدأ الإمام يعُدّ أعياد المسلمين الواحد تلو الآخر ويسحب شعرة من لحية الكاهن مقابل كل عيد، وهكذا وصل العدد إلى عشرين أو اكثر وتوقف، وجاء دور الكاهن وبدأ يعد أعياد القديسين الذين يعدون بالمئات ويسحب شعرة من لحية الإمام مقابل كل عيد، وأخيرًا مسك الكاهن لحية الإمام بالكامل بكفه وسحبها قائلًا له: هذا عيد جميع القديسين.

هكذا كانت أيام الزمن الجميل في مدينتنا.

تحدثنا جدتي قالت: كنت عند جارتنا أم أبي البنات، والتي مقتنعة بموروث شعبي عراقي حيث نرى العجائز يقمن بهذا العمل وهو أبره وگاغد (الچكچك). فهي مازالت تشعر ان أبنها مسحور أو محسود، ولهذا خِلفَتُه كلها بنات، فقد أحضرت گاغد (ورقة) وإبرة وكتبت اسم ابنها واسمها على الگاغد وتقوم الأم بملء الگاغد بالثقوب حتى تصل إلى مائة وواحد ثقب، ومع كل ثقب تقرأ أو تذكر اسمًا ما أو دعاء معين، وبعد الانتهاء حرقت الگاغد وهي تعتقد

بدفع السحر أو الحسد أو الضرر عن ابنها المتضرر، وتبتعد عنه العين الحاسدة وترجع له الصحة والعافية والسعادة؛ لأنه مصاب بعين خبيثة حاسدة ويقدر أن يخلف ولدان، وتسمى هذه العملية (إبرة وكاغد التچكچك).

بعد هذه الحكايات القصيرة طلبنا من جدتي أن تحكي لنا حكاية اليوم، ابتسمت وقالت:

كان في قديم الزمان رجل عنده زوجة وولد وبنت، وعندهم بقرة صغيرة صفراء اللون، كان الولدان يرعيانها ويحبانها وتحبهما، وهما متعلقان بها كثيرًا، ماتت زوجة الرجل فتزوج امرأة أخرى، لكنها بدت شريرة لا تحب الأولاد، وتكره الولد والبقرة خاصة، فأخذت تكيد لهما وتفكر في طريقة للتخلّص منهما ومن البقرة.

في يوم من الأيام جعلت نفسها مريضة، وأرسلت بطلب أحد الأطباء من أصحابها ليعالجها، فطلبت منه أن يصِف لها لحم البقرة الصفراء، وأنها لا تُشفَى حتى تأكل من لحمها، وتدهن جسمها بدمها، وكان ذلك، فبعد أن فحصها الطبيب وصف لها أمام الجميع لحم البقرة ودهن جسمها بدمها، وبيّن لهم أنه لا دواء لها غيره، ورغم معارضة الأولاد وحزنهم الشديد على البقرة وافقوا مضطرين عليه، فذبح الرجل البقرة وأكلت المرأة من لحمها ودهنت من دمها، وبعد قليل ادّعت أنّها شُفيَت من المرض، وقامت مثل الغزالة ففرح الأب بشفائها.

بقي همها الوحيد الولد (حطّت برأسها: يا هو يا هي بالبيت)، لكن الأب تمسك بولده الوحيد، ولم يضحّي به من أجل زوجته، فذهبت المرأة إلى عند ساحرة شريرة، فصنعت لها سحرًا وكتبت للأب والولد، فصار الرجل يكره ابنه ولم يعد يطيق رؤيته.

وفي يوم عملت نفسها مريضة أيضًا وأخذت تتدلل على رجلها، وتتغنّج عليه ومنعته أن يقرب منها، فصار يُرضيها ويسألها عن طلباتها وينفذها لها؛ لترضى عنه، وعندما تمكنت منه طلبت منه أن يذبح ابنه ويطعمها من لحمه، فقام الرجل وذبح ولده فطبخته وأكلت من لحمة، وتركت عظامه ورمتها في الحديقة، رأتها أخته فصارت تبكي، ولمّت عظامه وهي حزينة عليه، وضعتهم داخل كيس وحفرت حفرة في الحديقة ودفنتها، وأصبحت كل يوم تسقي العظام وتبكي على أخيها، مضت سبعة أيام على هذا الحال، وإذ يخرج من الحفرة طير أخضر صغير، أحلى من كل الطيور، دار بالحديقة من شجرة لشجرة، وصار يزقزق ويناغي بألحان حزينة، وحطّ أخيرًا على شباك غرفة أخته وصار يغني:

" كوكو... كوكو، أنا الطير الأخضر والذي مزين المحضر، أبوي ذبحني وخالتي أكلت لحمي، أختي الحنونة لملمت عظامي وحطتهم بكيس خامي، بعد سبعة أيام صرتُ طيرًا أطير بالبلداني."

سمعته أخته وعرفت أنه أخوها فقربت منه، وصارت تلمس ريشه، ودموعها تنزل غزيرة من عيونها مثل المطر من حزنها عليه، طار بعيدًا عنها ورجع ومعه قلادة من ذهب ورماها على أخته، أخذتها ولبستها وصارت مثل العروس. رأت خالتها بعينيها ما حدث للبنت، فانزعجت وحسدتها وطمعت بقلادة مثلها.

في اليوم التالي وقف الطير على الشباك وصار يغني أغنيته، أتت خالته وصارت تلمس ريشه، فطار بعيدًا ورجع ومعه إبرة مسمومة، ورماها عليها فجاءت برقبتها وماتت في الحال، وبقي الطير كل يوم يقف على الشباك ويغني أغنية لأخته، ويرمي إليها الهدايا من الحلي والجواهر، وهي فرحانة وسعيدة به.

الحكاية الحادية والعشرون

أبو البنات وأبو الأولاد

حدثتنا جدتي أن أم البنات تخاصمت مع زوجها، وتركت المنزل وذهبت إلى منزل والدتها تشكو حالها، بعد ولادتها سبعة بنات، وأن زوجها لا يحترمها ويناديها (مرتي)، وترفض هذه الكلمة وتحب أن يناديها باسمها أو باسم أم ابنتها البكر، طلب زوجها من جدتي أن تتدخل وتزورها في منزل والدتها، وتقنعها بالعودة؛ لأنه لا يستطيع تربية البنات السبعة ولا يقدر أن يحضر لهن الطعام وغسل ملابسهن، وافقت جدتي وذهبت إلى منزل والدة أم البنات، وبعد السلام والكلام قالت لها جدتي: تعرفين ماذا تعني كلمة (مرتي)؟ هذه الكلمة التي تركت المنزل بسببها؟

قالت أم البنات: كلمة (مرتي) يستخدمها الرجل العراقي للتعريف عن زوجته، وكثير من النساء تعتبرها كلمة شعبية أو (سوقية)، يعني كلمة دون المستوى وفيها انتقاص من احترام المرأة، وأنا واحدة منهن لا أحب أن أسمع هذه الكلمة، وقد نبهت زوجي من أول يوم زواجنا ألا يستعملها، ولكنه أبى وأصر على الاستمرار بمناداتي (مرتي)، وهذه السنة التاسعة من زواجنا وهو ينادي بكلمة (مرتي)، مع العلم كان يعرف أنني انزعج منها.

ابتسمت جدتي وقالت لها: يا أم البنات، للأسف إن أكثر النساء لا يعرفن حقيقة هذه الكلمة، (مرتي) كلمة أرامية الأصل وغير موجودة بقواميس اللغة العربية، وتقسم إلى قسمين (مار... ويعني سيد) و(تي ضمير الإشارة القريب للمؤنث باللغة الآرامية) فتصبح كلمة مرَتي تساوي سيدتي، ولهذا كنت أفرح عندما يناديني المرحوم زوجي مرتي.

اقتنعت أم البنات وعادت مع جدتي إلى منزلها، واعتذرت لزوجها وهي سعيدة عندما يناديها مرتي.

أما حكايتنا لهذه الليلة فهي (أبو البنات وأبو الأولاد) حكاية واقعية حدثت في إحدى المدن.

كان يا مكان وعلى الله التكلان، كان في إحدى المدن صديقان أحدهما اسمه عزيز والآخر اسمه سعيد، تزوج الصديقان في ليلة واحدة من امرأتين فاضلتين، وبعد فترة رزق كل منهما بمولود في الأيام نفسها، رزق سعيد بولد فذهب إلى صديقه عزيز يسأله: ماذا ولدَت لك زوجتك؟ قال عزيز: الحمد لله؛ فإن زوجتي وضعت لي بنتًا جميلة وبصحة جيدة أسميناها نور.

قال له سعيد وبكل شماتة ضاحكًا بصوت عالٍ: أما أنا فإن زوجتي وضعت لي ولدًا وأسميته فادي، والناس تسميني الآن أبو فادي وليس أبو نور.

مضت الأيام حملت زوجة عزيز وحملت زوجة سعيد ووضعت الزوجتان في الوقت نفسه تقريبًا، رزق سعيد بولد آخر فذهب إلى صديقه عزيز يسأله: ماذا ولدت لك زوجتك هذه المرة؟ قال عزيز: الحمد لله فإن زوجتي وضعت لي بنتًا جميلة ثانية وهي وأمها ولله الحمد بصحة جيدة.

ضحك سعيد وهو يقول بكل شماتة: أما أنا فإن زوجتي قد وضعت لي ولد آخر، هل تعرف ماذا يعني هذا؟

قال عزيز: لا، لا أعرف ماذا يعني.

قال سعيد: يقول الأولون بأن من تلد له زوجته ولدين متتالين فإنها تكون قد حلّلت مهرها، يعني زوجتي (طالعة عليّ بلاش).

مضت الأيام أيضًا وحملت زوجة عزيز وحملت زوجة سعيد ووضعت الزوجتان في الوقت نفسه تقريبًا، رزق سعيد بولد ثالث، فذهب إلى صديقه عزيز يسأله: ماذا ولدت لك زوجتك في هذه المرة؟

قال عزيز: الحمد لله فإن زوجتي وضعت لي بنتًا جميلة ثالثة وهي ولله الحمد وأمها بصحة جيدة.

قهقه سعيد بصوت عالٍ ويقول بشماتة: أما أنا فإن زوجتي قد وضعت لي ولدًا ثالثًا، هل تعرف ماذا يعني هذا؟

قال عزيز: لا، لا أعرف أخبرني أنت.

قال سعيد: من يكون عنده ثلاثة أولاد فإنهم يكونون له مثل ركائز الموقد يضع عليهم قدر الأكل، أنا يجلس قدري، أما أنت يا أبو البنات فلا يمكن أن يجلس قدرك.

قال عزيز: الحمد لله على عطاياه، إنا له لشاكرون.

مرت السنين والأعوام وكبر عزيز وكبر سعيد وكبر الأولاد وتزوجوا وأسسوا بيوتًا لهم، وكبرت البنات وتزوجن وانتقلن إلى بيوت أزواجهن، وكبرت زوجة عزيز وأصبحت لا تقوى على عمل المنزل، وكبرت زوجة سعيد وكذلك هي أصبحت لا تقوى على عمل المنزل.

وفي أحد الأيام مر عزيز على صديقه سعيد فوجده جالسًا في الظل خارج المنزل وهو في حالة مزرية، جسمه منهك وضعيف جدًا وملابسه رثة ومهملة.

فسأله: ماذا أصابك يا صاحبي؟ ولماذا جسمك هزيل وثيابك متسخة إلى هذا الحد؟

أجابه سعيد: أنا الآن كبير في السن ولا أعمل، وأولادي الثلاثة قد تزوجوا وكل واحد بنى له منزلًا خاصًا وانتقلوا إليه، وزوجتي أصبحت امرأة كبيرة في السن لا تقوى على عمل المنزل من طبخ وغسيل، ولا يوجد لدينا من يخدمنا أو يطعمنا غير أهل البر والإحسان، ولكن أراك يا عزيز جسمك سمين ونظيف، وملابسك نظيفة ومكوية، وأنت مثلي بناتك تزوجوا وتعيش في البيت مع زوجتك التي لا تقوى على عمل المنزل.

قال له عزيز: يا صديقي ابنتي البكر تحضر إلى منزلنا في الصباح، وفي يدها فطورنا تطعمنا وتغسل ملابسنا ثم تعود لمنزلها، وابنتي الوسطى تحضر لنا في الظهر تجلب لنا الغداء وتكوي ملابسنا ثم تعود لمنزلها، وابنتي الصغرى تحضر إلى منزلنا في الليل وفي يدها عشاءنا تعشينا وتحممنا وتنيّمنا وتغطينا، هل تعرف ماذا يعني هذا؟

قال سعيد: لا، لا أعرف ماذا يعني.

أجابه عزيز: هذا يعني أن أبو البنات ينام وهو تعشّى، وأبو الأولاد ينام على جوع.

كثيرا ما لا نرضى باختيار الله لنا، وبعد مرور سنوات يتبين لنا أن الله قد اختار الأفضل.

المصدر: التراث الشعبي.

الحكاية الثانية والعشرون

مكر النساء

كنا على موعد مع جدتي لتحكي لنا حكايتها اليومية، وإذا باب منزلنا يطرق بقوة كأن شخصًا يحتاج إلى مساعدة، نهضَت جدتي مسرعة لفتح الباب فكان الطارق جارتنا أم البنات، لا أعلم ماذا طلبت من جدتي، لكن دخلت الجدة إلى داخل المنزل، وأخذت قنينة دواء صغيرة وأعطتها إلى أم البنات.

أخذنا الفضول وسألنا الجدة: ماذا كانت تريد أم البنات؟

قالت: طلب (ماء غريب) لأنه نفذ عندها.

في الحقيقة استغربتُ وسألتها: ما هو ماء غريب؟ ابتسمت وقالت: لو تعرف كم قنينة ماء غريب شربت.

قلت لها: لا أتذكر أنني شربت ماء غريب، قالت: لا يقل عن خمسبن قنينة ماء غريب، شربت وأكيد لا تتذكر؛ لأنك كنت طفلًا رضيعًا.

ماء غريب: اسم متعارف عليه من المنتجات التجارية التي تخص الأطفال، أول من أنتجه شركة بريطانية وهو فعال في علاج مظاهر عدم الارتياح لدى الطفل الرضيع بسبب الغازات، وهو مستحضر لحماية الطفل من الإزعاج المصاحب للمغص والانتفاخ من الرياح، وتعطيه راحة سريعة، وماء غريب دواء معروف ومنتشر في الصيدليات، ماء غريب يمكن الحصول عليه بدون وصفة طبية، وطريقة الاستعمال مطبوعة على زجاجة المنتج من عمر شهر إلى ستة أشهر ملعقة صغيرة واحدة، ومن عمر ستة أشهر إلى سنة ملعقتين صغيرتين، يمكن إعطاء هذه الجرعات خلال أو بعد كل رضعه حتى ست مرات يوميًا.

سعدنا بهذه المعلومة التي لا نعرفها واستمرت جدتي بالحديث قائلة: قبل وصول الماء غريب إلى الأسواق هناك دواء وجده العطارون عبارة عن خليط من أعشاب معينة ومن المواد المطيبة والمسكنة والمهدئة له أثر دوائي، فقد صنعوا (السفوف) كدواء طارد للريح وكعلاج لأوجاع الأطفال الرضع ومساعدتهم على النوم المريح، والسفوف مجموعة مواد عطاريه تتكون من نِسَبٍ يعرفها العطار (اليانسون، حبة البركة، كزبرة، سِعد، هيل، مع مواد أخرى)، يطحن ويوزع على أوراق صغيرة، توضع ملعقة شاي فوق الورقة ويُلفّ، وعند الاستعمال تذاب الكمية بقدح ماء مغلي ويقدم للطفل ملعقة شاي وقت الحاجة.

نكمل حكايتنا الاسبوعية.

تدور هذه الحادثة حول مديرة مدرسة عانس في الخامسة والأربعين من العمر غابت عن المدرسة يومين، وحين عادت لمدرستها قابلتها المدرّسات بالسؤال والسلامات: أين كنتِ يا مديرة؟

قالت لهم: باركوا لي تزوجت.

قالت إحدى المدرّسات: ألف مبروك، نقدر نعرف من هو سعيد الحظ؟

قالت المديرة لهم: بصراحة زوجي هو زوج واحدة منكن!

ارتبكت المدرسات وبدأن يتناقشن بينهن مخمّنين من يكون الزوج، وأصبحن أضحوكة زميلاتهن العوانس والعازبات. سألت إحدى المدرّسات باستغراب وتعجب: تقدرين تؤشرين وتقولين أي وحدة منا؟

قالت المديرة: لا أقول. ألَحّوا عليها وطلبوا منها أن تعترف أي زوج تزوجها، قالت: لا أتكلم، ومن يريد معرفة ذلك، على كل مُدرّسة عند مجيئها صباح الغد تضع خمسمائة دينار فوق المنضدة أمامي، وأنا سوف آخذ مبلغ المُدرّسة التي لم أتزوج رجلها، وافقت المدرّسات على هذه الطريقة، وفي اليوم التالي جاءت

المدرسات وكل واحدة منهن تحمل المبلغ ويضعن المبلغ فوق الطاولة أمام المديرة، وهكذا أخذت المديرة كل المبالغ التي وضعت من قبل المُدرسات العشرة، وجاء دور المُدرّسة رقم إحدى عشر دخلت تتأفف وتشك بزوجها أنه تزوج المديرة، المهم وضعت المُدرسة المبلغ فوق الطاولة، شعرت المديرة أن المُدرّسة منزعجة ومضطربة، أرادت المديرة تلعب بأعصابها قالت لها: إذا كنت منزعجة وغير مقتنعة خذي المبلغ، امتلأت عيناها بالدموع وقالت وغصة في حنجرتها: سيدتي، أعطيكِ عشرة أضعاف المبلغ أن لا يكون زوجي من المقصود، قالت المديرة: لا تشكين بزوجكِ؛ فليس هو المقصود، أخذت المديرة المبلغ وخرجت المُدرّسة من غرفة المديرة تدعي لها بالخير والبنين والبنات، وهكذا دخل جميع المدرّسات لغرفة المديرة وهي تلعب بأعصاب كل وحدة، حتى أصبح عدد المدرسات ثلاثة وعشرين وكل منهن دفعت الخمسمائة دينار. اجتمعَت المدرسات في غرفتهن وهن يفكرن من تكون المدرّسة التي تزوج زوجها المديرة، تذكرت إحدى المدرسات أن لهن زميلة مجازة، وعلى الفور اتصلوا معها وأبلغوها ما جرى معهن، وخلال دقائق جاءت المُدرّسة المجازة إلى المدرسة ووضعت المبلغ فوق طاولة المديرة وخرجت سعيدة فرحانة، أخبرت زميلاتها أن المديرة أخذت المبلغ وأن زوجها لم يكن المقصود.

وقعوا في حيرة من أمرهن من يكون زوج المديرة! وكلهن سعيدات والابتسامة لا تفارق شفاههن.

أصبح المبلغ عند المديرة اثنا عشر ألف دينار، دخلت المديرة إلى غرفة المدرّسات وهي تحمل المبلغ وضعته أمامهن وأضافت فوقه خمسمائة دينار قائلة: أقول لكُنّ أنا والله لا تزوجت ولا فكرت بالزواج، وخلال أجازتي اليومين الماضيين كنت مريضة، أذكّركم أنني طلبت من كل واحدة منكن قبل شهر مبلغ

مائة دينارلتصليح النواقص في المدرسة، رفضتم جميعًا على دفع المبلغ، لكن هذه الحيلة البسيطة استطعتُ أن أخدعكن وأجمع المبلغ خمسة أضعاف.

قالت إحدى المدرسات: بالعافية فداك كل الدنانير، وإذا تحتاجين أكثر نحن على استعداد ندفع، المهم رجالنا ما تزوجوا علينا.

الحكاية الثالثة والعشرون

الصبية والبزاز

عادت جدتي من زيارتها اليومية لمنزل جارتنا أم البنات وحدثتنا: إن لصًا دخل لمنزل جارتنا، وشعرت أم البنات بوجود اللص داخل المنزل، وقف اللص أمامها قائلًا: سآخذ هذا الغربال الخشن لوالدتي، فهي تحتاجه ولا عندي مبلغ لشرائه لها، وهرب متجهًا باتجاه سطح المنزل، ومن السطح يستطيع أن يقفز إلى سطوح المنازل المجاورة أو للزقاق، وهذا الغربال الخشن يستعمل لتنقية الحبوب أثناء موسم تحضير المؤن الشتوية (عادة أهل الموصل يخزنون الحبوب والبرغل وبقية أنواع البقوليات قبل موسم الشتاء) ابتسمت جدتي وقالت: اسمعوا هذه الحادثة، تذكرت حادثة اللص والعجوز.

تقول جدتي: في أحد الأيام دخل لصٌّ إلى منزل لسرقته، ولاحظ أن امرأة عجوز مازالت صاحية تغزل الصوف.

ارتبك اللص وتقرب منها وسألها: لماذا أنتِ صاحية لحد الآن؟

عرفت المرأة العجوز أنه لص ويمكن أن يؤذيها أو يعتدي عليها، فكرت قليلًا وقالت له: ابني، نهضت من النوم مفزوعة خائفة من حلم، ويبدو عليك أنك ابن أصول ومن عائلة محترمة وكريمة، لكن يمكن الظروف جعلتك تسرق، وأنا صاحبة ثراء ومال، خذ ابني هذه الحلي الذهبية وتصرف بها، وأدعو الله أن يوفقك وتكون صاحب ثروة ومال، لكن قبل ما تذهب أريدك تفسر لي الحلم الذي أفزعني.

أخذ اللص الحلي الذهبية وجلس بجانبيها، فكر قليلًا ثم قال مع نفسه: هذه امرأة عجوز خَرِفة وعلى نياتها، أسمع منها الحلم ثم أهرب، ورثّ سيجارته وأخذ نفسًا عميقًا، وقال لها: تفضلي احكي لي الحلم، ربما أقدر أساعدكِ.

قالت العجوز: في الحلم كنت ماشية على حافة النهر، وفجأة تعثرت رجلي وسقطتُ بالماء، وبدأت أغرق وأنا أحاول الصعود فوق الماء وأصرخ بأعلى صوتي عبود، عبود، وعلى أثرها نهضتُ من النوم، ابني، ما تفسيركَ للحلم؟

سألها اللص: من هو عبود؟

قالت العجوز وترفع صوتها: ابني عبود، عبود، الخاطر الله الْحَقني.

قال لها اللص: أعتقد أنكِ ستتزوجين، واحد من أصدقاء ابنك عبود.

صرخت العجوز بصوت عالٍ: عبود، عبود، أمك راح تتزوج عبود.

لم تمضي لحظات وإلا ابن العجوز عبود ينزل من الطابق الثاني، وبيده عصا غليظة ويمسك اللص ويشبعه ضربًا.

خافت العجوز أن اللص يصيبه مكروه نتيجة الضرب المبرح الذي تعرض له من قبل ابنها، وتعاطفت مع اللص.

قالت لابنها: ابني الله يرضى عليك، اتركه سيموت من الضرب الذي تلقاه.

صرخ اللص: اضرب عبود اضرب، أنا أستاهل الضرب، أنا جئت للسرقة أم أفسّر أحلام!

عرفتم الفرق بين ذكاء وفراسة أم عبود وأم البنات. نعود لحكايتنا الأسبوعية.

يحكى أنه كان في مدينة بغداد رجل بزَّاز (يبيع الثياب) له ثروة، في أحد الأيام وهو في حانوته أقبلت إليه صبية فالْتمَست منه شيئًا تشتريه، فبينا هي تحادثه كشفت له وجهها، فتحيَّر من جمالها وعيونها الواسعة السوداء، وقال

لها: والله تحيرتُ مما فعلتِ، وكان عيبًا كبيرًا يعدّ في ذاك الزمان إذا كشفت المرأة وجهها، فقالت: ما جئتُ لأشتري شيئًا، إنما لي أيام أتردد إلى السوق؛ ليقع بقلبي رجل أتزوجه، وقد وقعتَ أنت بقلبي، ولي مالٌ، هل ترغب بالزواج بي؟ فقال لها: لي ابنة عم وهي زوجتي، وقد عاهدتها ألا أُغيرها، ولي منها ولدٌ. فقالت: قد رضيتُ أن تجيء إليَّ في الأسبوع مرتين.

فرضي وقام معها فعقد العقد، ومضى إلى منزلها وتزوجها، وأراد المبيت ليلته الأولى معها، فقال لزوجته الأولى: إنَّ بعض أصدقائي قد سألوني أن أكون الليلة عندهم، ومضى فبات عندها، وكان يمضي كل يوم بعد الظهر إليها، ومضى على هذا الحال ثمانية أشهر. شكّت ابنة عمه أحواله، فقالت لجارية لها: إذا خرج فانظري أين يمضي؟

فتبعته الجارية فجاء إلى الدكان، فلمَّا جاء الظُّهر خرج من دكانه وتبعته الجارية وهو لا يدري، إلى أن دخل بيت تلك المرأة، فجاءت الجارية إلى الجيران فسألتهم: لمن هذه الدار؟ فقالوا: لصبيَّة قد تزوجت برجلٍ تاجر بزَّاز.

فعادت إلى سيِّدتها، فأخبرتها، فقالت لها: إياكِ أن يعلم بهذا أحدٌ. ولم تُظهِر لزوجها شيئًا.

فأقام الرجل تمام السنة، ثم مرض ومات، وخلّف ثمانية آلاف دينار، فعمدَت المرأة التي هي ابنة عمه إلى ما يستحقه الولد من التركة وهو سبعة آلاف دينار، فأفردَتها وقسّمت الألف الباقية نصفين، وتركت النصف في كيس وقالت للجارية: خذي هذا الكيس واذهبي إلى بيت الصبية وأعلميها، أنَّ الرجل مات وقد خلّف ثمانية آلاف دينار، وقد أخذ الابن سبعة آلاف بحقِّه، وبقيَت ألف فقسمتها بيني وبينها وهذا حقُّك وسلِّميه إليها، مضت الجارية فطرقت عليها الباب ودخلت وأخبرتها خبر الرجل، وحدثتها بموته وأعلمتها الحال فبكت، ثم فتحت صندوقها وأخرجت منه رقعة، وقالت للجارية: عودي إلى سيدتك

وسلِّمي عليها عنِّي، وأعلميها أن الرجل طلقني، وكتب لي براءة ورُدِّي عليها هذا المال؛ فإنِّي ما أستحق في تركته شيئًا.

مصدر القصة: صفة الصفوة، ابن الجوزي، ١/ ٣٠٠

الحكاية الرابعة والعشرون

صالح وزوجتاه

حدثتنا جدتي: كان في قديم الزمان رجل يدعى أبو صالح، أعطاه الله الحكمة والمال، هذا الرجل مشهور في قريته، وذاع صيته بكرمه وحسن أخلاقه وحكمته في الحياة، كبر ابنه صالح وصار شابًا وله أصدقاء صادقوه لأجل ماله وجاهه. وكان والده ينزعج من أصدقائه وينصحه: يا بني، احذر أصدقاء السوء! وابحث عن فتاة تحفظك في السراء والضراء، وأن يكون أهلها أهل خير، مرت الأيام وصالح يبحث عن شريكة حياته، فوجدها في إحدى القرى المجاورة وهي فتاة جميلة رائعة المنظر.

الْتقَى صالح مع شقيق الفتاة وعرّفه بنفسه أنه ابن فلان متفاخراً بما يملك من مال وجاه، طلب يد أخته أن تكون زوجة له، بعد أيام رد الأخ موافقة العائلة قائلًا له: أهلًا سهلًا بكم.

أخبر صالح والده أنه اختار زوجة صالحة بنت أصل وكرم، وافق الوالد على الفتاة، وتزوج صالح وسكن في منزل والده وأعطاه جرة مملوءة ذهب؛ لكي ينفق على نفسه ويتاجر بها، ونفس الوقت أعطى جزءًا من أمواله لتاجر ليتاجر بها فسرقها وهرب، زوجة صالح تجسّست وعلمت المكان الذي يخفي أبو صالح كنوزه. بعد فترة جاء أجل أبو صالح ووافته المنية، وصالح لا يعلم مكان ثروة والده المخزونة، وما زال صالح مصاحبًا أصدقائه خارج قريته، وينفق أمواله عليهم. وهكذا أصبح صالح بلا أموال وتخلّى عنه أصدقائه.

عاد إلى قريته وزوجته التي اختارها لتكون شريك حياته، أعلمها أنه خسر أمواله التي أعطاه له والده ولا يملك شيئًا، فقالت له: اذهب واعمل أي شيء لكي تكسب المال، وخرج باحثًا عن عمل.

أما زوجته ذهبت إلى شقيقها تقول له: إن لديها أموالًا أعطاه إياها صالح؛ فخذ بعض المال واشتري أغنامًا، وقل لأهل القرية أنك تتاجر بالأغنام، وافق الأخ واشترى أغنامًا وسلمها بيد راعي، ثم أعطته أموالًا أخرى ليشتري منزلًا ففعل. وكان في نية الزوجة وشقيقها أن يتخلصوا من صالح كونه أصبح فقيرًا وخسر أمواله، في الوقت نفسه كان صالح يجوب القرى والبلدات باحثًا عن عمل، وعن طريق الصدفة الْتقَى برجل كبير بالسن، فجلس بقربه وقال له: أعطني شربة ماء، فأعطاه الرجل وقال له: ماذا بك يا ابني، خبّرني حكايتك، حكى ما حدث معه وقال له: اذهب إلى أعز صديق لوالدك وأخبره بما حصل معك، فهو سينقذك مما أنت فيه.

ذهب صالح إلى صديق والده وأخبره بما حصل معه، فقال له صديق والده: إن والدك كان يملك من الأموال ما لا تعلمه أنت، ولا يمكن أن يكون ما أعطاك إياه والدك هو كامل المبلغ الذي يملكه، إنه أمر غريب، ابقي عندي هذه الليلة، وغدًا إن شاء الله سأخبرك ماذا تفعل؟ كان لصديق والده فتاة رائعة وهي بنت الأصل والنسب والكرم، فقال والدها لها: يا ابنتي هذا ابن صديقي ما رأيك أن تتزوجيه، صمتَت وهزت رأسها، وفي اليوم التالي قال له: يا صالح، عندي ابنة وأنا سأزوجها لك، قال صالح: يا عماه، أنا فقير الحال ولا أستطيع أن أنفق عليها، فقال له: إن الله سبحانه وتعالى هو من يرزق البشر وليس البشر، وافق صالح وكتب كتابه.

اتفق صديق والده مع صالح أن يأخذ زوجته الجديدة إلى زوجته الأولى، ويقول لها أنه شاهد هذه الفتاة وهي خرساء لا تتكلم ولا تسمع، وهي ستكشف

لكَ الأمر، وبالفعل ذهب إلى زوجته الأولى وأخبرها أنه بحث عن عمل فلم يجد عملًا، وهو في طريق العودة الْتقَى بهذه الفتاة وأشفق عليها وأحضرها لكِ؛ لكي تكون خادمتكِ.

بدأت زوجته الثانية تخدم الزوجة الأولى، وعند خروج صالح من البيت يحضر شقيق زوجته الأولى إلى المنزل يتحدثان عن الأموال التي خبأتها عن صالح، ولا يعلم مكان المال الذي خبأه والد صالح، وكذلك عن ربحهم بتجارة الأغنام. أخبرته زوجته صالح الثانية بما حصل وأشارت عليه بما يفعل، وقالت له: قُل لزوجتك الأولى: أنك لم تجد عملًا وأنك لا تريد أن تجبرها على شيء؛ فلها الخيار بأن تطلقان من بعضكما أو تبقيا معًا؛ لأن زوجتك لا تريدك أن تبقى في حياتها؛ لكي تأخذ كل الأموال. فقال لها: نعم وماذا أفعل بعد ذلك؟ قالت له: إذا أجابت أنها تريد الطلاق أخبرها أنك تريد بيع المنزل بمبلغ كبير، وهي لا ترغب أن تخسر المنزل؛ لان ثروة والدك مخزونة بداخله وسوف تطلب من أخيها بيع الأغنام والبيت الذي اشتراه لكي يشتري المنزل، وبعدها تأخذ كامل حقك منهما، ثم تأخذ أموالك وتطلقها. أخبر صالح إلى زوجته الأولى بما اتفق مع الزوجة الثانية، طلبت منه الطلاق والتريث؛ لأن أخاها سيشتري المنزل، وطلبت من أخيها أن يحضر الأموال لكي يتخلصوا من صالح، ويصبح المنزل بما فيه من ثروة كبيرة لهم بعد خروج صالح من المنزل، وبالفعل باع أخوها الأغنام والبيت واتفقا على سعر لشراء المنزل، دفع شقيقها المبلغ لصالح ثمن المنزل بالكامل، ورمى صالح يمين الطلاق على زوجته الأولى، على شرط أنه يسلم المنزل لهما في اليوم التالي.

أرشدته الزوجة الثانية مكان الأموال والذهب وأخرجاها من الصندوق، ووضعوا بداخل الصندوق حجارة وخشب وأعادوه إلى ما كان عليه، وفي اليوم التالي حضرت طليقته وشقيقها إلى المنزل، وأخذوا بإخراج الأغراض لكي

يأخذوا كنزهم الكبير فلم يجدوا سوى الحجارة والأخشاب، وعرفا أنه اكتشف أمرهم وانتهت بعودة طليقته وشقيقها لوضعهما الطبيعي وهو الفقر، وعودة صالح إلى وضعه الغني.

فالحكمة تقول من هذه الحكاية (أفضل سلاح ضد المرأة هو امرأة اخرى)، (المرأة الصالحة مثل التاج المرصع بالذهب).

الحكاية الخامسة والعشرون

ابتسامة

حدثتنا جدتي: أنه في أحد الأيام تلقت جارتنا أم أبي البنات دعوة من ابنتها لزيارتها، وعليها أن تسافر إلى بغداد؛ لأنها مقيمة هناك مع زوجها، الذي يعمل في إحدى دوائر الدولة، أوصلها ابنها أبو البنات إلى كراج النقليات الواقع في باب الطوب (الموصل)، وفي وقتها كانت الباصات خشبية، وصلت الأم إلى الكراج وتركها ابنها متجها إلى عمله، سألت واستفسرت أي سيارة تتجه من الموصل إلى بغداد، وبعد جهد وجدت ضالتها وتعرفت على السائق وقالت له: ابنيِ سيارتك تمر من مدينة بيجي. أجابها السائق: نعم تفضلي اصعدي، ولكن أنا آخذ أجرة الطريق إلى بغداد، معتقدًا أنها ستنزل في مدينة بيجي، وافقت الأم على كامل الأجرة وصعدت للباص، وجلست فوق كرسي خلف السائق، انطلق الباص وبعد دقائق سألت الأم السائق: ابني لا تنسى من نوصل بيجي أرجوك ذكرني، وبقت على هذه الحالة كل عشرة دقائق تقريبًا تسأل السائق أو أحد الركاب الجالسين بقربها، بحيث انزعج الركاب والسائق من تصرفها الغريب والمزعج، بعد مضي أكثر من ساعة ونصف غفت الأم ودخلت في نوم عميق، عبر الباص مدينة بيجي ولم يتوقف، ونسي السائق والركاب طلب الأم العجوز، قبل الوصول إلى مدينة تكريت نهضت الأم من النوم مرعوبة تصرخ: وصلنا بيجي! سكت السائق وجميع الركاب وفهمت أنهم عبروا مدينتها المطلوبة، وبدأت بالبكاء والعويل والتوسل، خجل السائق وهو ينظر إلى الركاب نظرة حزن وتحنن الجميع عليها، أخذ السائق قرار بالعودة إلى بيجي؛ لكي تسكت وتهدأ، مع

العلم أن الركاب انزعجوا وضجروا وهم يتمتمون مع أنفسهم على هذا الخطأ الذي وقع به السائق.

استدار السائق وعاد إلى مدينة بيجي ووصل إلى مدخل المدينة، وقال لها: يوم وصلنا بيجي تفضّلي وتردين تنزلين.

قالت له: مَن اللي قال لك أنا أريد أنزل! أنا بنتي سعاد قالت لي يوم من توصلين بيجي خذي حباية الضغط لا تنسي. وبلعت الأم حباية ضغط الدم، وصعد ضغط دم السائق والركاب، وكان الله في عون الجميع.

ابتسمنا جميعًا وقلت لها ماذا لديك من ابتسامات أخرى؟

قالت: رُويَ أن أحد ظرفاء أغوات الموصل فيما مضى من الزمان، كان لديه عربة يجرها حصانان، يتنقل بواسطتها داخل مدينة الموصل، وفي يوم من الأيام جاءت له فكرة، وهي أن يستبدل الحصانين برجلين يجرانها، ويمثلان دور الحصانين، وبعد البحث وجد اثنين (وكانا من الظرفاء)، وافقا أن يحلان محل الحصانين مقابل أجر معلوم، فكانا في كل يوم يخرجان بالعربة ويسحبانها كأنهما حصانين والأغا تعلوه الفرحة، وفي أحد الأيام مر الرجلان بالقرب من مجرى المياه القذرة لإحدى الحمامات الموصلية الكبيرة في ذلك الزمان، وفي غفلة من الأغا دفعوا بالعربة إلى الخلف فسقط الأغا في وسط مجرى الحمام الممتلئ بالماء الآسن والأوساخ، فعَلَته القذارة من أعلاه إلى أسفله وبدأ يسب ويشتم الرجلين بكل ما يعرفه من ألفاظ بَذِيئة، فما كان من الرجلين إلا أن التفتا نحوه وبكل برود قائلين: (خيل وعنفصت تخلي عقلك مع الخيل).

علت الابتسامة والقهقهة للحاضرين وطلبنا من جدتي أن تستمر بسرد طرائفها الممتعة.

قالت: كان يا ما كان وعلى الله التكلان، كان هناك رجل وزوجته يعيشان في سعادة وتحسدهم الناس لكونهما من أفضل الزوجين وقضيا معًا ما خمسة وثلاثون عامًا، في إحدى الأيام ذهبا إلى إحدى الساحرات لمعرفة حظهم.

قالت لهم الساحرة: سأهب لكل واحد منكما أمنية وأنا على استعداد لأحققها له.

قالت الزوجة: أنا أتمنى أن أسافر حول العالم مع زوجي العزيز دون أن نفترق.

حركت الساحرة عصاها بشكل دائري مرددة: أبرا كدابرا أبرا كدابرا، أبرا كدابرا.

فظهرت تذكرتين للسفر حول العالم وضعتها في يد الزوجة.

جاء دور الزوج الذي جلس يفكر، ثم قال: هذه لحظة مهمة في حياتي، لكن الفرصة لا تأتي إلا مرة واحدة في العمر، آسف حبيبتي، لكن أمنيتي أن أتزوج امرأة تصغرني بثلاثين عامًا.

شعرت الزوجة بغصّة في حلقها وبطعنة سيف في قلبها وبدت خيبة الأمل على وجهها (لكن الأمنية أمنية).

حركت الساحرة عصاها بشكل دائري مرددة: أبرا كدابرا أبرا كدابرا، أبرا كدابرا.

فجأة أصبح عمر الزوج تسعين عامًا!

قد يعتقد بعض الرجال أنهم أذكياء، ولكنهم ينسون أن الساحرات في النهاية هنّ نساء.

(والله أعجبتني هذه الساحرة جابتها صح).

أجل هي تتمنى تسافر معه وهو يرغب بالزواج، لا تنسون الرجال مالهم أمان.

الحكاية السادسة والعشرون

أم أصبع وأخواتها

عادت جدتي من زيارتها اليومية لجارتنا أم البنات، وقد تعرّفت على ضيفة من أقارب جارتنا وانزعجت منها ووصفتها بالمنافقة، عندما سألتها عن السبب قالت: كانت امرأة ذووجهين، يعني من قدامك يا هلا ومرحبا ومن وراك تسبك وتذمك، فكانت هذه المرأة تصف حماة جارتنا بالكلام الجميل المعسول أمام كنتها، وعندما خرجت من الغرفة لجلب القهوة سمّعتني كلام يشوه سمعتها، وتذكرت قصة لقلق الكنيسة الذي سماها العراقيين القلق المنافق.

يروى في قديم الزمان وسالف العصر والأوان، عن وجود طائر طويل الساقين نحيف البنية كان اسمه اللقلق، وكان يأتي إلى العراق في أيام الشتاء فيبني أعشاشه فوق أماكن مرتفعة مثل مأذنة جامع أو برج كنيسة، أو ربما فوق بعض المباني الخربة المرتفعة، ويروى أنه أحد الطيور المحبة للعزلة والتفرد، اختار برج كنيسة ليبني عشه فوقه؛ مما سبب إزعاجًا مستديمًا لشماس الكنيسة فاشتكى أمره للقس، إذ أنه كلما قرع ناقوس الكنيسة تساقط عليه القش والذراق المتيبس، فأوصاه القس بأن يأخذ قطعة من كبد جمل ويملحها بصورة حسنة (ولحم الجمل يسبب العطش ويستحرم اليهود أكله)، ويضع بجوارها كأس خمر معتقة، فعندما يأكل اللقلق كبد الجمل يعطش، فيضطر لشرب الخمر فيسكر ويصبح ثقيل الحركة وغير قادر على الطيران، فيصعد إليه الشماس يمسكه ويذبحه. اتبع الشماس التعليمات بحذافيرها حتى سكر اللقلق، فصعد إليه الشماس وأمسكه من رقبته، سحب

السكين وسأله: فهمني انت من يا ملة؟ إذا يهودي أشلون تأكل لحم جمل؟ أو نصراني أشلون اتذررك على الناقوس؟ أو مسلم أشلون تشرب عرك؟

هذه القصة اشتهرت أيام زمان بين الناس باسم (لكلك الكنيسة)، وهي تقال لكل المتلونين ومن لا يشبه قوله فعله.

هذه هي أوجه المنافق؛ يعطيكم من طرف اللسان حلاوة ولكنه مخادع.

نعود لحكايتنا الأسبوعية:

كان في قديم الزمان ثلاث شقيقات كبيرات في السن وقبيحات الشكل والمنظر، يعشن وحدهن في الدار وقد أصبحن عانسات، وكانت الصغرى قد تعوّدت أن تمصّ أصبعها الصغير منذ طفولتها، حتى صار أصبعها رقيق وطويل، ومن يراها يظنها أصبع فتاة صغيرة وجميلة.

في أحد الأيام تراهنت أم أصبع مع أخواتها على أنها ستجعل الأمير يحبها، ويعطيها منديله؛ فوافقوا على المراهنة، انتظرت حتى مر الأمير من تحت نافذة غرفتها، رشّته بماء الورد المعطر، فتعجب الأمير من ذلك، ونظر إلى النافذة فلم يرى سوى أصبعًا جميلًا رقيقًا، فقال في نفسه: إذا كانت الأصبع بهذا الجمال، فكيف تكون صاحبة الإصبع؟! لا بد أنها فتاة رائعة الحسن والجمال، فصاح عليها: من رشّ الماء؟ ردّت عليه بصوت رفيع ناعم: أنا يا سيدي الأمير، لقد رميت الماء الذي غسلتُ به وجهي، ولم أعرف أنك تمر من تحت النافذة في هذا الوقت، فلا تؤاخذني على فعلتي.

فكّر الأمير قليلًا وأراد أن يتعرف عليها، فدعاها إلى الحفلة التي سيقيمها في القصر؛ فأجابت دعوته وقد طار عقلها من الفرح. في المساء لبست أحسن الثياب، وتعطرت بماء الورد ووضعت قناعًا على وجهها، وباروكة شعر مستعار على رأسها، ولبست كفوفًا في يديها بحيث لا يظهر منهما سوى أصبعها الجميل، فبدت كالأميرات الشقراوات الجميلات، وفي الحفل رحب بها الأمير ورقص معها

طوال السهرة، ومشيا معًا يتسامران في الحديقة، فأرادت أن تقطف زهره فجرحت أصبعها، فأعطاها الأمير منديله فربطت به أصبعها، وعادت آخر السهرة إلى البيت، وهناك أظهرت المنديل لأخواتها، فعرفن مقدار مكرها وشطارتها، وسلّمن لها بأنها كسبت الرهان.

في اليوم التالي حضر الأمير إلى بيت الأخوات، فطلب يد الفتاة الصغيرة، فوافقت الأختان لكن اشترطوا عليه ألا يرى وجهها، وأن لا يكشف القناع عنها إلا في ليلة الزفاف، فوافق على ذلك وأقام حفلة كبيرة ورفع الزينة في المدينة، وقدم الطعام ثلاثة أيام لجميع الناس، وفي ليلة الدخلة رأى عروسه تنتظره في غرفة النوم، وقد اندسّت تحت اللحاف وتغطّت به، فجاء إليها وكشف عنها الغطاء، فوجدها في ملابسها وعلى وجهها قناع، فاستغرب من ذلك وخلع عنها القناع، فوجدها فتاة قبيحة المنظر شمطاء، فانصدم بها وغضب منها وحاولت أن تعتذر وتطلب منه الصفح والغفران، وأخبرته بحقيقة الأمر وأنها تراهنت مع أخواتها على ذلك، فزاد غضبه كثيرًا وضربها بالسوط حتى أدمى جسدها، وعلّقها من شعرها على باب القصر، وأحضر أخواتها وعلقهن بجانبها وجعلهن عبرة لباقي الناس.

المصدر: مصطفى محمد الصوفي، الراوي: عبد الرحيم العمر.

الحكاية السابعة والعشرون

فنجان صار عدنان

حدثتنا جدتي: أن جارنا أبو البنات كان يتردد لدكان حلاق لقص شعره (حلقه)، ويدفع له أربعين فلسًا لكل مرة طيلة عشرين عامًا، ولا يغيره؛ لأنه تعوّد على هذا الحلاق، في أحد الأيام ذهب أبو البنات لقص شعره، ولكنه لم يجد حلاقه الخاص، بل وجد رجلًا آخر يحلق الزبائن، سأل عن حلاقه وأعلمه أنه مريض يرقد في المستشفى نتيجة تسمم لأكله جبن قديم، جاء دوره وجلس تحت يد الحلاق الجديد وبدأ يشرح له طريقة قص شعره، ولكنه جرح رأسه عدة جروح، وبعد انتهاء القص طلب منه أن يدفع مبلغ خمسين فلسًا، امتنع أبو البنات دفع المبلغ وأصر أن يدفع الأربعين فلسًا، وتحول الحوار بينهم إلى صياح والتطاول بالكلمات، وأخيرًا تدخل بعض الرجال وانتهت الخصام بدفع خمسة وأربعين فلسًا عملًا بمبدأ خير الأمور أوسطها، وسبب الخصام هذا يدل على بخل أبو البنات.

تقول جدتي: هذه الحادثة ذكرتني يا أولادي الأعزاء حكاية هذا الحلاق وزبائنه.

كان هناك حلاق في إحدى المدن جاءه في أحد الأيام فلاح ليحلق عنده، وبعد ما قص شعره قال له الفلاح: كم حسابك؟ فرد عليه الحلاق: والله لن أخذ منك ولا فلس، وسأله الفلاح: لماذا؟ رد الحلاق: أنا أحلق للناس لكي أنفع المجتمع بشيء مفيد. ابتسم الفلاح وقال له: بصراحة أخجلتني، وفي اليوم التالي لمّا جاء الحلاق ليفتح محله وجد عند باب المحل ثلاث وردات بألوان

مختلفة، وكان مكتوب عليه (تحياتي لك)، عرف أن الورد مرسل من قبل الفلاح.

وبعد عدة أيام جاء صائغ لمحل الحلاق وطلب منه أن يقص شعره، وبعد ما انتهى قال للحلاق: كم حسابك؟

رد عليه الحلاق: والله لن آخذ منك ولا فلس! وسأله الصائغ: لماذا؟ رد الحلاق: أنا أحلق للناس لكي أنفع المجتمع بشيء مفيد، ابتسم الصائغ وقال له: بصراحة أخجلتني. وفى اليوم التالي جاء الحلاق ليفتح محله وجد عند باب المحل خاتم ذهب، وكان مكتوب عليه (تحياتي لك)، عرف أن الخاتم مرسل من الصائغ!

ذات يوم جاء لمحل الحلاق أبو داوود رجل بخيل رزيل، وطلب من الحلاق أنه يقص شعره، وبعد ما انتهى قال للحلاق: كم حسابك؟ فرد عليه الحلاق: والله لن آخذ منك ولا فلس! سأله الرجل البخيل: لماذا؟ رد الحلاق: أنا أحلق للناس لكي أنفع المجتمع ويستنفع منّي، ابتسم أبو داود البخيل وقال له: (بصراحة أخجلني، تحياتي أنا أبو داوود لا تنسى)!

وفى اليوم التالي ولمّا جاء الحلاق ليفتح محله وجد عند باب المحل مجموعة من الشباب واقفين ينتظرون الحلاق.

قالوا له: (إحنا من طرف أبو داوود اللي زيّن عندك البارحة يسلم عليك)؟

نعود لحكايتنا الاسبوعية..

كان يا ما كان وعلى الله التكلان، كان في إحدى القرى شاب اسمه فنجان أصغر أخوته بسيط أبله، ملابسه رثة تظهر عليه الوساخة في كل الأوقات، يقوم بخدمة أفراد عائلته، وينفّذ الأوامر ويُعتبر خادمًا للصغير والكبير، ويسمونه راعي البقر، أما أخوته فكانوا كسولين لا عمل لهم ولا شغل، همهم

التمتع باللباس والطعام والراحة، وجدوا لفنجان فتاة بسيطة مثله، طيبة، اسمها سلمى رضيت به وتزوجته، وتحمّلت معه بعض الأعمال، فكان فنجان يرعى البقر ويخدم والديه وأخوته وزوجاتهم، وسلمى تنظّف الإسطبل وتصنع من روث الحيوانات قطع تجفف بواسطة الشمس؛ لاستخدامها في وقود التنور والموقد.

طال هذا الحال على سلمى سنوات، وهي تعمل بجد واجتهاد دون تذمّر ولا شكوى، حتى كدّها التعب فلم تعد تتحمّل،

فقالت لفنجان: أنا سأذهب عند أهلي، وعندما سيأتي أهلك ليراضوني سأطلب منهم بعض الطلبات، وما عليك سوى أن تؤيدني، وتتمسك بي مهما كلّف الأمر إن كنت تريدني. وافق فنجان على هذه الفكرة.

نفذت سلمى ما خطّطت له وذهبت إلى أهلها زعلانة، وبعد أيام ذهب أهل فنجان لمراضاتها وإعادتها إلى البيت؛ فاشترطت عليهم أن تسكن وحدها، وأن يعطوهما بقرة ويعيشون مستقلّين عن العائلة، رفض الأهل وأصرّت هي، فطلبوا من فنجان أن يطلّقها، فأبى وأصرّ على التمسك بزوجته؛ شتموه وعنّفوه وتركوه عند أهل زوجته.

احتضنته زوجته وباعت أساورها واشترت له بقرتين، وقالت له: قم ارع بقرك بدلًا من أن ترعى بقر أهلك، فعمل هو وزوجته بكل جدٍّ ونشاط، وبعد عدّة أعوام أصبح عنده قطيعًا من البقر يدرّ عليه كمية كبيرة من الحليب، فتصنع الزوجة منه الجبن والزبد وتبيعه في السوق، وجمعت كمية من الأموال؛ فاشترت له ملابس ودشداشة وألبسته عباءة وعقالًا؛ فلبسها وأصبح يشبه الأمير، وشيدت له مضيف كبير فرشتها بالمساند والسجّاد ووضعت له منقل فحم ودلة كبيرًا وركوة وقهوة مرّة، وجلس فنجان في المضيف كأنه شيخ عرب، أرسل طلب لوالديه لزيارته ويعيشا معه ويخدمهما بنفسه، بعد أن

ساءت أحوالهم وعرف أن أخوته باعوا أبقارهم، وصرفوا أثمانها للمعيشة، عاش والداه عنده معززين مكرمين يخدمهم فنجان وزوجته ولم يتركهما يحتاجان شيئًا، وصارا يدعوان له بالتوفيق والنجاح.

وبعد مدة جاء أخوته يهنئونه ويباركون له، واجتمعوا حوله يستجدونه بعض الطعام والمال، بعدما عانوا من الفقر والجوع، فعرض عليهم أن يعملوا عنده ويرعوا البقر، ويخدمونه مقابل إعالتهم، فرفضوا بذلك.

عاش عيشة كريمة لم يحسد الشيوخ عليها، وذلك بفضل زوجته الحكيمة والكريمة وتدبيرها الحسن، فصار أفضل من إخوته وأحبه الناس واحترموه، وأصبح له قيمة كبيرة بين الناس، ومن وقتها تغير اسم فنجان وأصبح اسمه الشيخ عدنان.

الحكاية الثامنة والعشرون

ثلاث حكايات من دهاء النساء.

حدثتنا جدتي حكاية عن دهاء النساء قالت: كان تاجر متزوج من امرأة جميلة، وكان يكثر من الترحال للتجارة، وبدأ شك في سلوك زوجته أثناء غيابه، فأحضر ببغاء مدرب يستطيع النطق؛ ليخبره عن كل ما يجرى في البيت، وضعه في قفص ولم تعرف زوجته أن زوجها جلب الببغاء لمراقبتها، كانت الزوجة على علاقة بشاب يتردد عليها عند ترحال التاجر، وعندما عاد الزوج من سفره أخبره الببغاء بما رأى.

قالت المرأة لزوجها: اتقِ الله ولا تصدق كلام ببغاء مجرد طائر صغير، لا يدري شيئًا ولا يعقل، ولا تظلم نفسًا لا ذنب لها، وبعد حوار طلبت المرأة من زوجها أن يبيت الليلة عند أصدقائه، ثم يأتي صباح الغد فيستمع إلى الببغاء والمرأة ويقتل الكاذب منهما، وافق الزوج وبات الليلة عند صديقه.

أخذت المرأة قطعة جلد بالية ووضعتها فوق القفص، ثم أضاءت مصابيح قوية وسلطتها على القفص، وجعلت تصب الماء على الجلد، وتدق بطبل قرب القفص حتى طلع الفجر، فلما عاد الزوج في الصباح، سأل الببغاء: أجابه أنه لم يرى شيئًا؛ لأن المطر كان يهطل طوال الليل بغزارة مصحوبًا برعد وبرق يأخذ بالأبصار.

قال الزوج وهو غضبان: لقد علمتُ بأنك كاذب؛ لأن الدنيا لم تمطر البارحة ولم يكن هناك رعد ولا برق، وأخذ الزوج الببغاء المسكين وذبحه قربانًا لخطيئة زوجته، أما المرأة فقد صنعت من لحمه أشهى مرق تذوقَتْه وتذوقَه زوجها وتذوقَه العشيق.

حكايتنا الأسبوعية تحكي دهاء النساء..

قالت جدتي: كان يا ما كان وعلى الله التكلان، كان هناك رجل يعمل طوال حياته، وقد وَفّر كل ما لديه من أموال، ولكنه كان بخيلًا، وقبل وفاته قال لزوجته: وصيّتي عندما أموت أريد منكِ أن تأخذي كل أموالي وتضعيها في النعش معي؛ لأني أريد أن آخذ أموالي إلى الآخرة معي، وحصل على وعد من زوجته بحضور بعض الأصدقاء بذلك، عندما يتوفى فإنها ستضع كل الأموال في النعش معه.

مرت الأيام وجاءت المنية ورحل الرجل وهو ملقى في النعش، كانت زوجته تجلس بالقرب من النعش مع الجميع وصديقتها إلى جوارها.

وقبل الاستعداد لإغلاق النعش، قالت الزوجة: انتظروا لحظة، أخذَت علبة معدنية صغيرة كانت معها ووضعتها في النعش، ثم طلبت غلق النعش ورحل النعش بعيدًا، قالت صديقتها: أنا أعلم أنكِ لست مغفلة لوضع المال مع جثمان زوجك، ردت الزوجة المخلصة: اسمعي، أنا متدينة، ولذا لا يمكن أن أعود في كلمتي، وعدته أن أضع هذه الأموال في النعش معه، فسألتها صديقتها باستغراب: هل تقصدين أنك وضعتِ الأموال كلها في النعش معه؟ أنا متأكدة أنكِ لم تفعلي.

قالت الزوجة: حصلت على كل المال ووضعته في حسابي، وكتبت له شيك وضعته في العلبة التي وضعتها في النعش، وإذا كان يستطيع صرفه، يمكن أن ينفقه.

ابتسمنا كثيرًا، وقلت لجدتي ماذا عندك من دهاء النساء؟

قالت جدتي: هذه الحكاية من أغرب الحكايات التي حدثت لأحد رجال البادية، حينما تزوّج للمرة الثانية من امرأة وكان لديه قبلها زوجة وأولاد، وبعد فتره من زواجه شكّ بأن زوجته الجديدة لا تحبّه، وكان ذلك مجرّد وهم

طرأ عليه، فقد كانت المرأة لا تكلّمه إلا نادرًا، ولم يرَها تضحك أو تبتسم أمامه مطلقًا؛ لذلك اعتَقد بأنها تحب غيره، أتعبته الظنون إلى أن لجأ إلى امرأة عجوز معروفة بالحكمة، فأخبرها بأمر زوجته طالبًا منها طريقه يتأكد بها من مشاعر زوجته، فقالت له العجوز: عليك أن تصطاد أفعى وتخيط فمها وتضعها فوق صدرك أثناء نومك، وعندما تحاول زوجتك إيقاظك اصطنع الموت، وفعل مثلما أمرت به العجوز، وحينما جاءت زوجته لتوقظه من النوم لم ينهض أو حتى يتحرك، وعندما رفعت الغطاء ورأت الأفعى ظنّت بأنها لدغته ومات، فأخذت تصرخ وتبكي وبعد أن رأى الزوج حال زوجته هذه وفيه حياء لا أكثر، نهض من فراشه فرحًا؛ ليبشّرها بأنه لم يمُت، لكن الزوجة توارت حياء؛ لأنها كشفت عن مشاعرها، وعندما علمت بأن الأمر ليس سوى خدعة من الزوج ليختبر حبّها، غضبت وأقسمت لا تعود إليه إلا بشرط (أن يكلّم الحجر الحجر، وأن يكلم العود العود) وهي بذلك تقصد استحالة أن تعود إليه مرة أخرى، فأصبح في حيرة أكبر كما قال المثل (راد يكحّلها عماها)! فذهب بعد أن أعيته الحيرة إلى العجوز مرة أخرى؛ لتجد له حلًا، فقالت له العجوز: أحضر الرحى فهي عندما تدور تصدر صوتًا وكأنما يكلّم نصفها نصفها الآخر، أما العود فأحضر ربابة فإذا كان لزوجتك رغبة بك فستعود إليك، وفعلًا عادت له زوجته بهذه الطريقة.

الحكاية التاسعة والعشرون

أبو البنات السبع وأبو الأولاد السبعة

حدثتنا جدتي قائلة: كان في إحدى القرى أخوان، رُزق الكبير بسبع بنات، والصغير بسبع أولاد، وكان الصغير يعيّر ويتفاخر أن الذكور أعلى مقامًا، وذات يوم عاد أبو البنات السبع إلى بيته مهمومًا، ولاحظَت ذلك ابنته الصغرى فسألته: عمّ به؟! تنهد الأب وراح يشكو همه قائلًا: إن عمكِ يا ابنتي لا يفوّت فرصة ويتباهى أمام الناس أن الله تعالى أكرمه وأنعم عليه بسبعة أولاد، بينما ابتلاني بسبع بنات، ودفع أهل البلدة إلى السخرية مني، ولم أرغب في مبادلته الأذى فعدت إلى البيت.

قامت الابنة الصغرى، وقبّلت رأس والدها قائلة: سوف نثبت لعمّنا ولأهل البلدة كافة أن البنت صنو الولد، وأن بعض البنات أرجح عقلًا وأرفع قدرًا من بعض البنين، وإنني أتحدى أبناء عمي السبعة أن يجاروني في ركوب البحر واقتحام المخاطر، فلنبدأ من الغد صنع مركبين: واحدًا يستقلونه هم، وواحدًا أبحر به بمفردي، وسنرى من سيكون الفائز.

بنى الأولاد السبعة سفينة استقلوها واصطحبوا معهم الخدم، وصنعت البنت زورقًا أبحرت به وحدها، ووصل الجميع بعد رحلة طويلة إلى سواحل منطقة يحكمها سلطان شاب عرف بالبطش ولا ينتسب إلى أبيه! بل إلى أمه، ويدعى علي بن بدرا، عندما رست السفينتان على الشاطئ نزل الإخوة السبعة والبنت إلى البر بعد أن تنكرت بزي الرجال، دعاهم السلطان علي بن بدرا؛ ليحلوا جميعًا ضيوفًا عليه لمدة سبعة أيام.

وقبل أن يأوى الأولاد والبنت إلى مضاجعهم في تلك الليلة تحدث علي بن بدرا مع والدته بشأن الضيوف، وأعرب لها عن شكوكه في أن بينهم أنثى متنكرة بلباس رجل قائلًا: لاحظتُ من اختلاف مشيتها وشدة وسامتها، فأشارت عليه والدته بحيلة للتأكد من الأمر، وطلبت منه أن يضع إبريق ماء وصرة طعام عند وسادة كل واحد من الضيوف، والذي لا يتغير مذاق طعامه أو شكله أثناء الليل يكون هو البنت، فعل ذلك غير أن البنت أفشلت خطته بأن قامت أثناء الليل وأبدلت بريقها وصرتها دون أن تمس ما فيها، بما كان لدى واحد من أبناء عمها، فاحتار ابن بدرا وذهب يشكو همه إلى أمه.

نصحت بدرا ابنها على أن يجرب حيلة جديدة بأن يقدم لضيوفه طعامًا حارًا لا تستطيع النساء أن يتحملن لذعته. ففعل إلا أنه فوجئ بأن أحد ضيوفه يتناول طعامه في غاية اليسر والاستمتاع بينما توقف الآخرون عن الطعام وسحبوا أيديهم من الزاد بعد اللقمة الأولى.

ظل علي بد بدرا يحاول الحيلة تلو الأخرى، بمشورة من أمه، لكشف شخصية الفتاة، ولكن بدون جدوى، وكانت آخر حيلة أن دعا جميع الضيوف إلى السباحة في حوض القصر، لعله يستطيع التعرف عليهم من عري أجسادهم، غير أن البنت كانت قد أعدت العدة لإحباط خطته، فما أن دخلوا الحوض حتى سحبت بأطرافها عددًا من الحبال التي ربطت بأطرافها مجموعة من الخيول، ففزعت الخيل وأخذت تتقافز حول الحوض، تحولت إليها الأنظار ولم يستطع علي بن بدرا أن يدقق النظر في الفتاة.

اغتنمت الفتاة فرصة الانشغال بالخيل الهائج وخرجت من الحوض إلى المكان الذي كانوا يستعملونه للنوم، وكتبت على وسادتها "طلعت عذراء، ودخلت عذراء، على رغمك ورغم أمك يا علي بن بدرا! ".

صعق ابن بدرا عندما اكتشف الأمر، وأقسم أن يلحق بالبنت ويثأر لنفسه منها بأن يتزوجها ويذبحها في ليلة زفافها. أما هي فعرَجت في طريقها على السوق، ودخلت عددًا من الحوانيت ونقلت منها إلى مركبها ما خف حمله وغلا ثمنه من العطور والحليّ والثياب، ثم صعدت السفينة، ورفعت أشرعتها وأقلعت عائدةً إلى بلادها، وتبعها أولاد عمها السبعة في سفينتهم دون أن يحققوا أي مغنم.

جنّ جنون ابن بدرا عندما علم بهرب الفتاة، ولكنه قرر النيل منها، كانت البنت قد وصلت إلى بلدتها فاستقبلها والدها وجمع غفير من الناس بالتهليل والترحاب، بينما كان استقبال أبناء عمها السبعة فاترًا وعاديًّا، وبعد بضعة أيام وصل ابن بدرا وتوجه فور نزوله من سفينته في موكب عظيم إلى منزل والد البنات السبع، وطلب يد ابنته الصغرى، فوافق الأب بعد أن استشار الفتاة في الأمر، فرحبت بالزواج وهي تعلم أن ابن بدرا إنما يريد الانتقام منها لا الاقتران بها، هيأت البنت الحجرة التي ستزف فيها إلى عريسها، ووضعت قربة من العسل على مخدعها ونشرت فوقها الملاءات بحيث تبدو وكأنها هي النائمة في السرير، ودخل ابن بدرا خدِرًا للعروس بعد انتهاء مراسم الزفاف، وتوهم أن عروسه بانتظاره في السرير، فاستل خنجره في القربة فتدفق منها العسل، فغمس فيه أصابعه وتذوقه متلذذًا وهو يقول: إذا كان دمك شهيّا إلى هذا الحد، فكيف يكون لحمك؟

وفيما كان ابن بدرا يتلمظ على طعم العسل، خرجت إليه الفتاة من مخبأها تحت السرير في أبهى حلّة وأجمل زينة، وهي تقول: يا علي بن بدرا، فإنما فعلت ما فعلت لا كراهيةً لك ولا نكاية بك، وإنما لأظهر لعمّي وأبناء عمومتي أن البنت ليست دون الولد قدرًا وذكاء ومقدرة.

نظر ابن بدرا إلى الفتاة حائرًا متسائلًا عما تعنيه، فقصّت عليه حكاية عمها مع أبيها وتفاخره عليه بأبنائه السبعة، وما كان من سفرها معهم في مغامرتهم البحرية.

وما أن سمع ابن بدرا القصة حتى انقلب حقده على الفتاة إعجابًا بها وحبًا لها، فاتخذها زوجة له، وأكرم أباها وأخواتها، وعاش الجميع في طمأنينة وهناء وسلام.

الحكاية الثلاثون

اللص العنيد

حدثتنا جدتي بعد أن عادت من زيارة أبي البنات الراقد في المستشفى، وكان سبب رقاده أنه تخاصم مع صديقه بسبب خلاف وقع بينهما، هل الحدث في الرابع عشر من تموز ١٩٥٨ كانت ثورة أم انقلاب عسكري؟ وأصر أبو البنات أن الحدث كان انقلابًا عسكريًا وليس ثورة، وعلى إثرها ضُرب على رأسه بواسطة عصا، فقَد الوعي لفترة من الزمن عدا الجرح الكبير الذي خلفته ضربة العصا.

قالت تذكرت هذه الحادثة: في عام ١٩٥٨ أي بعد مجيء عبد الكريم قاسم للحكم، خرجت تظاهرة في شارع الرشيد تهتف بحياة الزعيم، وأصوات الهتافات تتعالى تحيي الثورة والأخوة العربية الكردية، والتظاهرة قادمة من ساحة الميدان نحو شارع الرشيد باتجاه باب الشرقي، انتبه بعض الشباب أن رجلًا يلبس الزي الكردي واقف مع صديقه عند حافة الرصيف يتفرج ويشاهد المسيرة الضخمة التي تمر أمامه، وبدون مقدمات حمل بعض الشباب الرجل الكردي على أكتافهم طالبين منه أن يهتف، وأثناء حمله خُلعَ كلاشه من رجله وسقط بين المتظاهرين، وكم حاول النزول من أكتاف الشباب ولم يفلح، التفت نحو صديقة يناديه بصوت عالٍ قائلًا: بين ساحة الأمين وحافظ القاضي كلاشكم، (قصده أن بين هذه المنطقتين سقطت كلاشه "الحذاء")، رد عليه المتظاهرون: كلاشكم، ويصرخ الرجل بصوت عالٍ: ها، ها بين ساحة الأمين وحافظ القاضي، كلاشكم، رد عليه المتظاهرون كلاشكم، ولا من يسمع أو يجيب له وضاع الكلاش. وبقي الرجل حافي القدمين.

(الكلاش: حذاء كردي يعود تاريخه إلى زرادشت، توارثها الأبناء عن الآباء والأجداد طوال حقب التاريخ).

بعد حادثة أبي البنات والتظاهرة قالت جدتي: تذكرت قصة السلطان والجارية التي أجابت على أسئلته، وأن البلد الأمين الذي لا يحكمه الجهلة.

قالت: سمع أحد السلاطين بأن في السوق جارية سعرها يتجاوز سعر مائة جارية! فأرسل السلطان يستقدمها؛ ليرى ما يميزها عن سواها؟ فوقفت أمامه وشموخها لم يعهده من الجواري الأخريات، فسألها: لماذا سعركِ غالي يا فتاة؟

أجابت: لأني أتميز بالذكاء! أثار كلامها فضوله، وقال: سأسألكِ، لو أجبتِ أعتقتك، ولو لم تجيبي قتلتك! ما هو أجمل ثوب وأطيب ريح وأشهى طعام وأنعم فراش وأجمل بلد؟

الْتفتت الجارية إلى الموجودين وقالت: حضروا لي متاعًا وفرسًا؛ فإني مغادرةٌ هذا القصر وأنا حُرة. أما أجمل ثوب فهو قميص الفقير الوحيد الذي لا يملك غيره؛ فإنه يراه مناسبًا للشتاء والصيف، أما أطيب ريح هي رائحة الأم حتى لو كانت نافخة النار في حمام السوق، أما أشهى طعام ما كان على جوع؛ فالجائع يرى الخبز اليابس لذيذًا. أما أنعم فراش ما نمت عليه وبالك مرتاح؛ فلو كنتَ ظالمًا لرأيت فراش الذهب شوك من تحتك. سارت نحو الباب فناداها السلطان: لَم تجيبي سؤالي الأخير!

التفتت وقالت: أجمل بلد هو الوطن الحر الذي لا يحكمه الجهلة.

قال لها: أجادَت الجواب؛ فنالت حريتها، نعم صدقتِ أجمل بلد الوطن الذي لا يحكمه الجهلة. نعود يا أولادي لحكايتنا الأسبوعية..

كان يا ما كان، يحكى أن لصًّا غضب من كلب كان يحرس أحد البيوت التي كان يحاول سرقتها، في إحدى الليالي رأى اللصُّ أحد البيوت هادئًا ساكنًا،

ويعرف صاحبه غنيًا، اقترب منه محاولًا تسلُّقَ سياجه، غير أن كلبًا ضخمًا شرسًا انطلق من فناء البيت وهجم عليه، ولم يتخلص إلا بعد أن رمى بنفسه رَمْيًا من فوق الحائط، ولحق به أذى كثير بعد اصطدامه بالأرض. في الليلة الثانية تسوّر اللصُّ البيتَ من مكان آخر، لكنّ الكلب هجم عليه أيضًا، بالقوة والشراسة نفسها، في الليلة الثالثة، وكان الكلب الشرس له بالمرصاد، مثل الليلتين السابقتين، اغتاظ اللصُّ من هذا الكلب، وأقسم أن يعاقبه عقابًا يجعل جميع الكلاب تتوب توبةً نهائيةً من التصدّي للّصوص العنيدين مثله.

فكّر اللصُّ كثيرًا في وسيلة ينتقم بها من هذا الكلب، يفرغ بها كلَّ الغضب والغيظ، وكلَّ الحقد الذي امتلأ به قلبه الشرير، ففكّر أن يضربه بعصا في رأسه، وفكّر أن يطعنه بخنجر في بطنه، وفكّر أن يقدّم له طعامًا مسمومًا.

ثم قال مع نفسه: سأجعله يتعذّب طويلًا ويتألم كثيرًا قبل أن يموت، فجلب قطعة لحمٍ شهيّة وضع فيها إبرةً طويلةً حادّة ورماها من وراء السياج، وصادف أن صاحب البيت كان مارًّا في المكان وراء سياج بيته في تلك اللحظة، ورأى قطعة اللحم والإبرة فيها، نظر باحتراس، فرأى اللصَّ، وعرف غايته، فترك قطعة اللحم، والإبرة بها في مكانها، وحبس كلبه في بيته في ركن الحديقة، لما رأى اللص العنيد الهدوء يشمل البيت، رمى حجرة ثانية وثالثة، فلم يسمع صوتًا أو نُباحًا، فعرف أن الكلب اختنق بالإبرة التي ظنَّ أنها اخترقتْ بلعومه، وهكذا أسرع يتسلق سور البيت، ويلقي بنفسه إلى الأرض بقوة، سقط اللص فوق الإبرة الموجودة في قطعة اللحم واخترقت باطن قدمه، وشعر بشلَل ساقه كلّها، وبعاصفة من الألم، ونَزَف كثيرًا من الدم، وأخذ يصيح مستنجدًا، وهنا أسرع صاحب البيت إليه يضحك ساخرًا ويقول: أردتَ أن تؤبرن كلبي الشجاع الأمين؛ فأبّرت قدمك يا شرير، لقد أخذت جزاءك، ونلتَ ما تستحق؛ لكي تتوب ولا تفكّر في إيذاء أي إنسان أو حيوان يدافع عن نفسه وحقّه.

الحكاية الحادية والثلاثون

سلمان والأخت والسعلوة

حدثتني جدتي: كان يا ما كان وعلى الله التكلان، كان أيام زمان رجل وامرأة، رزقا بعشرة أولاد، ولديهما قطيع من الأغنام، ويخرج الصبيان لرعي الأغنام يكسبون معيشتهم من حليب وجبن وصوف، وكانت المرأة تتمنى أن ترزق ببنت؛ لكي تساعدها في أعمال المنزل، وكانت تقول: أتمنى أن أُرزق ببنت حتى لو كانت سعلوة[1].

مرت الأيام وحملت المرأة وولدت بنتًا، لكنها كانت بيد واحدة ولها أنياب، تحملت الأم والعائلة هذه المصيبة واعتنت بالبنت وكبرتها أصبحت شابة.

في يوم من الأيام وأثناء عودة الأولاد من رعي الأغنام وقبل إدخالهم الحظيرة يعدون الأغنام، شعر الأولاد أن الأغنام ناقصة، بعدما أخبروا والدهم طلب منهم أن يحرسوا القطيع؛ ليكتشفوا سر النقص، في اليوم الأول قام الأخ الكبير بالحراسة، لكنه لم يقاوم النعاس فنام، وفي الصباح عدوا القطيع وجدوه ناقصًا، وهذا الحال قام الإخوة إلى رقم تسعة بالتناوب لحراسة القطيع، لكن النوم يغلبهم وتنقص الأغنام ولم يعرفوا سبب النقص.

---

[1] (تعني كلمة سعلوة أو سعلاة، شخصية شيطانية أنثوية، السعلوة شكلها غريب ومخيف، فجسمها مليء بالشعر كأنها قرد، لكن لديها قدرة على التحول في شكل امرأة جميلة حسنة الشكل طويلة القد، ومرتبة الهندام، تغري الرجال ثم تفتك بهم وتقتلهم. ويقال أيضا أنها إذا أعجبت برجل ما تخطفه تحت النهر وتتزوجه وتنجب منه أطفالًا وتعيده بعد سنين.)

جاء دور الصغير واسمه (سلمان)، وعرف أن إخوانه ينامون، أخذ دلوًا مملوءًا بالماء وعلقه على شجرة وجلس تحته، وجعل الدلو ينقط قطرة قطرة على رأسه؛ لكي يبقى صاحي، وبعد منتصف الليل شعر بحركة بين القطيع انتبه على مصدر الصوت، وإذا بأخته تأخذ الخروف وتكسر عنقه وتبدأ بأكله، ركض سلمان وأخبر والده أن شاهد أخته المعوقة تأكل الخروف وهي التي سببت بنقص القطيع، لكن الأب والأم لم يصدقوا كلامه.

وهكذا مرت الأيام والقطيع يفقد كل ليلة خروفًا إلى أن قضت على القطيع كله، وباشرت الأخت بأكل إخوانها الواحد تلو الآخر واختفى الجميع عدا سلمان الذي كان ينبّه أمه وأباه ولم يسمعوا ما يقول، ولم يكن بيده حيلة حتى ركب حصانه وهرب قبل مجيء دوره.

في الطريق مر على كوخ قديم يعيش فيه شيخ عجوز وعنده ثلاثة كلاب سوداء قوية تحرس الكوخ، استقبل العجوز سلمان ورحب به وضيفه في كوخه، وبدأ ينظف ويطبخ للعجوز ويحكي قصته مع أخته.

فرح الشيخ بوجود سلمان معه وطلب منه أن يبقى فترة من الزمن، مرت الأيام وتذكر سلمان أمه وأبوه، وماذا حل بهم؟ وما هي أخبار أخته؟ نصحه العجوز ألا يذهب، لكنه أصر على الذهاب، وعليه أعطى العجوز شعرة وقال له: متى وقت بضيق احرق هذه الشعرة.

امتطى سلمان حصانه وسافر نحو قريته وديار أهله، فلما وصل تفاجأ بأن منزلهم أصبح خرابه، ووجد أخته السعلوة جالسة داخل غرفة وسخة وشعرها طويل، وأصبحت ضخمة تخيف، شاهدت أخاها رحبت به وجلس بجانبها يسألها عن أمه وأبيه، هزت رأسها أنها لا تعرف عنهم أي شيء، بعد فترة من الزمن تركت سلمان وتوجهت نحو الإسطبل حيث يوجد حصان سلمان، أكلت إحدى أرجله وعادت إلى الغرفة التي فيها سلمان وسألته: حصانك بأربع

أرجل أم بثلاثة؟ فهم سؤالها وعرف ما قصدت، وقال لها: حصاني بثلاثة أرجل، بعد مضي بعض الوقت خرجت إلى الإسطبل وأكلت الرجل الثانية للحصان، وعادت سألته حصانك بثلاثة أرجل أم اثنتان، فقال لها: لا حصاني باثنتين، وهكذا أكلت الثالثة والرابعة وكل مرة تسأله، بعدها قالت له: حصانك بدون أرجل، عرف سلمان أن أخته أكلت أرجل الحصان، ثم أكلت رقبته وسألته: حصانك برقبة أم بدون. وأخيرًا عادت من الإسطبل وسألته: أنت جئت مشي أم راكب حصان؟ وفهم أن أخته جوعانة وأكلت الحصان بالكامل وجاء دوره، وندم؛ لأنه لم يسمع كلام الشيخ العجوز.

وقع سلمان في مأزق كبير وكيف يهرب، فكر قليلًا ثم أخذ إبريق ماء وقال لها: سأصعد للسطح أتوضأ وأصلي. صعد للسطح وجعل الإبريق ينقط قطرات نحو الداخل، وقفز للشارع وهرب باتجاه البساتين.

شعرت الأخت أن أخاها تأخر وبدأت تنادي (يا أخي ما أكثر بولك) لم يرد عليها، صعدت للسطح لم تجده؛ فعرفت أنه هرب، شمّرت عن سيقانها ولحقت خلفه.

وصل سلمان إلى البستان وكان داخلها ثلاثة شجرات تين كان يلعب بالقرب منها ويأكل التين عندما كان صغيرًا، صعد فوق الشجرة وأخفى نفسه بين أوراق الشجرة، وصلت أخته السعلوة إلى البستان تبحث عنه وصارت تنشر الأشجار الواحدة تلو الأخرى حتى نشرت الشجرة التي فوقها، ثم انتقل إلى الشجرة الثانية والثالثة ونشرتهم، وقبل أن يسقط على الأرض تذكر شعرة الشيخ العجوز، أخرج الشعرة وحرقها، وخلال لحظات حضرت الكلاب الجارحة التي كانت تحمي الكوخ وهجمت على السعلوة وافترساها وتركوها عظامًا مرمية في البراري، رجع سلمان إلى الكوخ يقدم شكره للشيخ العجوز، وعاش معه بالفرح والسعادة. وكنا عندكم وجئنا.

الحكاية الثانية والثلاثون

الملك والوزراء الثلاثة

حدثتنا جدتي أن جارنا أبا البنات، اشترى بطاقة يانصيب الرافدين الذي يقدم ريعه للمكفوفين بمبلغ مائتين وخمسين فلسًا، وكانت هذه محاولته الأولى، أبدت أم البنات انزعاجها وغضبها من تبذير سعر البطاقة، ونشب خلاف بينهما، وعلى أثرها استلمت أم البنات كفّين هدأت من صراخها، أما أبو البنات فاحتار أين يخفي البطاقة، وأخيرًا توصل إلى قناعة أن يلصقها تحت صندوق راديو كبير موديل كروندك عاطل ويحتاج مبلغًا لإصلاحه، مرت الأيام ونسي أبو البنات بطاقته.

كان في الموصل بعض الباعة الجوالين يتجولون في الأزقة وهم ينادون (اللي عنده عتيق يبدله باستكان ناري، كلاص ماي، ماعون فرفوري)، قامت أم البنات بمناداة البائع وبدلت الراديو بـ (ماعونان فرفوري وكلاص ماي) ولا علم لها بالبطاقة.

عندما عاد أبو البنات إلى المنزل بشّرته بتبديل الراديو بالزجاجيات، ولم يُعِر اهتمامًا بالموضوع، بعد ساعتين تذكر الرجل أن بطاقته مع ملصقة أسفل الراديو، ولكنه يعرف نتيجة السحبة؛ لأنه مضى أكثر من شهرين على إجراء القرعة.

لكنه قد كتب رقم البطاقة على أحد جداران غرفة نومه، في اليوم التالي أخذ الرقم وذهب لباعة البطاقات، وعلم أن الرقم الذي معه هو البطاقة الفائزة بسبعة آلاف دينار، عاد مسرعًا للمنزل، والله هو الذي خلص زوجته من يده، وبدأ البحث عن بائع العتيق عدة أيام، وأخيرًا عثر على البائع في إحدى

المحلات، وأرشده من اشترى الراديو وهو صاحب مقهى في سوق السراي، ذهب أبو البنات للمقهى وجلس مقابل الراديو الذي وضعه المشتري على الرف كزينة في المقهى. سأل أبو البنات صاحب المقهى لماذا لا يعمل الراديو، وأخبره أنه عاطل وقد اشتراه لزينة المقهى، قدم أبو البنات نفسه أنه مصلح للراديو ويمكن إصلاحه وأقنعه أن يستطيع إصلاحه، وافق الرجل وأعطاه الراديو ضمان هويته. أخذه ومازالت البطاقة ملصقة تحت الصندوق واتجه به إلى اللجنة وأخذ مبلغ الجائزة، وأول ما عمله اشترى له بدلة سوداء لا يلبسها إلا الملوك، واشترى لأم البنات قطعًا ذهبية حتى يرضيها، وأعاد الراديو إلى المقهى بعدما أصلحه عند مصلح مختص لقاء مبلغ، وأصابه من الخير ما جعله يعتقد أن الدنيا قد أصبحت ملكًا له، وأن جاهه يطغى على كل جاه وثرائه يفوق كل ثراء، وعليه تذكرت قصة هذا المثل.

إن جرذا كان يعيش في مخزن أحد القصور الكبيرة، وكان ينعم بما في ذلك المخزن من أطايب الطعام المخزونة فيه، ويرتع بأكل ما يشاء من أصنافها، ولم ينغص عليه عيشه الهنيء إلا أحد القطط، فقد كان في ذلك القصر قط كبير، وكان كثيرًا ما يتجول في ذلك المخزن، فكان الجرذ يخشى أن يصيده ذلك القط يومًا فيأكله، فكان شديد الحذر في خروجه من جحره متأنيًا في سيره، كثير التلفّت عظيم الانتباه لما يجرى حوله، وفي ذات يوم جيء ببرميل كبير مملوء بالشراب المعتق، ووُضع في زاوية ذلك المخزن، وخرج الجرذ في اليوم التالي من جحره كعادته كل يوم، فرأى ذلك البرميل الكبير فلم يدري ما هو ولا ما يحتوى عليه بداخله، فخرج عن حذره لأول مرة وأسرع في سيره نحو البرميل، فرأى الهر أمامه؛ فأصابه الخوف وتملكه الذعر والفزع، فقفز قفزة عظيمة من شدة خوفه؛ فصار في أعلى البرميل، وكان غطاء البرميل متحركًا فسقط الجرذ في البرميل، وأوشك على الغرق، وكان أثناء سبحه يشرب من النبيذ جرعة بعد

جرعة حتى ارتوى وامتلأ، فشعر بقوة في نفسه لم يعهَدْها من قبل، فقفز من البرميل قفزة عظيمة وسار وهو سكران يترنح ذات اليمين وذات الشمال، متجهًا نحو بيته فوجد القط نائمًا هناك وشاربه ممتد على الأرض، تسد عليه الطريق إلى بيته فلم يلقِ بالًا بذلك، ولم يهتم بالخطر المحدق به، وطأ شارب القط النائم في طريقه من غير خوف أو وجل فقيل في ذلك (الجريدي لو سكر يمشي على شوارب البزون)وذهب ذلك القول مثلًا، هكذا كان أبو البنات حتى صرفت مبلغ الجائزة وعاد إلى وضعه الطبيعي.

نعود يا أولادي لحكايتنا الأسبوعية..

في يوم من الأيام استدعى الملك وزراءه الثلاثة، وطلب منهم أمرًا غريبًا، طلب من كل وزير أن يأخذ كيسًا ويذهب إلى بستان القصر، وأن يملأ الكيس من مختلف طيبات الثمار والزروع، كما طلب الملك منهم أن لا يستعينوا بأحد في هذه المهمة، استغرب الوزراء من طلب الملك، وأخذ كل واحد منهم كيسه، وانطلق إلى البستان، فأما الوزير الأول فقد حرص على أن يرضي الملك؛ فجمع من كل الثمرات من أفضل وأجود المحصول، وكان يتخير الطيب والجيد من الثمار حتى ملأ الكيس، أما الوزير الثاني فقد كان مقتنع بأن الملك لا يريد الثمار ولا يحتاجها لنفسه، وأنه لن يتفحص الثمار فقام بجمع الثمار بكسل وإهمال، فلم يتحرى الطيب من الفاسد حتى ملأ الكيس بالثمار كيف ما اتفق.

أما الوزير الثالث فلم يعتقد أن الملك سوف يهتم بمحتوى الكيس أصلًا، فملأ الكيس بالحشائش والأعشاب وأوراق الأشجار وبعض الثمار الساقطة، وفي اليوم التالي أمر الملك أن يُؤتَى بالوزراء الثلاثة مع الأكياس التي جمعوها، فلما اجتمع الوزراء بالملك أمر الملك الجنود بأن يأخذوا الوزراء الثلاثة ويسجنوهم على حدة، كل واحد منهم مع الكيس الذي معه لمدة شهر، في سجن بعيد لا يصل إليهم فيه أحد كان، وأن يمنع عنهم الأكل والشرب، فأما الوزير

الأول فظلّ يأكل من طيبات الثمار التي جمعها حتى انقضى الشهر، وأما الوزير الثاني فقد عاش الشهر في ضيق وقلة حيلة معتمدًا على ما صلح فقط من الثمار التي جمعها، أما الوزير الثالث فقد مات جوعًا قبل أن ينقضي الشهر.

وهكذا يا أولادي اسألوا نفسكم من أي نوع أنتم، فأنت الآن في بستان الدنيا لك حرية الاختيار، أن تجمعوا من الأعمال الطيبة وتحبوا أصدقائكم بالمدرسة، أو تجمعوا الأعمال الخبيثة، ولكن عندما يدين الله البشر كل واحد يحاسب على أعماله، وتنفعكم أعمالكم الطيبة التي جمعتموها في حياتكم.

الحكاية الثالثة والثلاثون

الحطاب والملك

حدثتنا جدتي أنه كان هناك عجوز يعيش مع ابنه وزوجة ابنه وحفيده، أصبح العجوز متقدمًا جدًا في السن، لم يعد يقوى على الأكل بشكل طبيعي حيث أصبحت يداه ترتجفان، مما يؤدي إلى إسقاط الطعام من يده أحيانًا، وذات يوم سقط طبق الطعام من يدي العجوز وانكسر، عندها غضبت زوجة ابنه من ذلك الموقف، وطلبت من زوجها أن يجد حلًا لوالده، فكر الابن في الأمر وخطر له أن يصنع لوالده طبقًا من الخشب حتى إذا وقع لا ينكسر، وتجنبًا لسكب الطعام على المائدة تم إجبار والده العجوز على تناول طعامه وحده بعيدًا عن العائلة، كان العجوز يشعر بالحزن؛ لإحساسه بأنه بات منبوذًا من ابنه وزوجته في أيامه الأخيرة حين أجبر على الأكل وحده، بينما يستمتع بقية أفراد الأسرة بتناول الطعام على المائدة مجتمعين.

مع مرور الأيام أصبحت المزيد من ظروف العزل تفرض على العجوز المسكين، من قِبَل ابنه وزوجته اللذين لم يطيقاه وأساءا معاملته، وبعد مرور عدة أشهر على هذا الحال توفي العجوز، وأقيمت مراسم التشييع والدفن.

وبعد الانتهاء من تلك المراسم أراد الابن وزوجته التخلص من متعلقات وأغراض العجوز، بإعطائها للفقراء أو إتلافها، فجأة حفيد العجوز الراحل راكضًا وأخذ الطبق الخشبي، فسأله أبوه: لماذا أخذت هذا الطبق وماذا تريد أن تصنع به؟ عندها أجابه الطفل الصغير قائلًا: أريد أن أحتفظ به؛ كي أطعمك أنت أو أمي به عندما تكبران مثل جدي.

إنها حكمة بليغة تناقلها الناس قديمًا، فالجزاء من جنس العمل، والحصاد من جنس البذرة، واعمل ما شئت فكما تدين تدان، تعلموا كيف تحترمون الآباء والأمهات، فقد أوصى الله بهما.

نعود لحكايتنا الأسبوعية يا أولادي: كان في أحد الأزمان رجل يعمل حطابًا، متزوج، يخرج إلى عمله كل صباح حاملًا الشبكة والفأس، وذات يوم صاد طيرًا ريشه مطعم بالذهب، ففرح به وعزم على تقديمه هدية للسلطان؛ لينال هدية منه، وقبل أن يدخل على الملك شاهده الوزير فطلب الطير منه، لكن الحطاب لم يعطه الطير، وقال له: إنه هدية للملك، فامتعض الوزير لذلك، وحينما دخل الحطاب على الملك فرح الملك بالهدية، وأمر وزيره بتقديم هدية للحطاب كيسًا من فضة وكيسًا من ذهب، لكن الوزير أبدل كيس الذهب بكيس مملوء بالحنطة، وكيس الفضة بكيس مملوء بالشعير، ومع هذا فإن الحطاب فرح كثيرًا لهذه الهدية، أعجب ابن السلطان بالطير كثيرًا، فقال الوزير للملك: إن الطير وحيد وربما سيموت من حسرته؛ لهذا لنطلب من الحطاب أن يجلب أنثاه، فوافق الملك على ذلك وكلف الوزير أن يتصل مع الحطاب ويطلب منه جلب أنثى الطير خلال يومين، فتألم الحطاب لذلك وهام على وجهه في الصحراء، وصدفة شاهد شبكة منصوبة وتأتي أنثى الطير وتقع في الفخ، فأمسك بالعصفورة وعاد مسرعًا، لكن الوزير حاول أن يقتل الحطاب بتهمة عدم تلبية أوامر الملك، سمع الملك صرخات الحطاب، وعرف أن الحطاب جاء بأنثى الطير؛ فأطلق سراحه وفرح الملك لذلك، وأمر وزيره بأن يعطي الحطاب عشرة أكياس ذهب وعشرة أكياس فضة، لكن الوزير همس في آذان الملك، وقال له: إن من له طيور نادرة لابد أن يحصل على أقفاصها، أمر الملك الحطاب من جديد بأن يجلب قفص الطير خلال ثلاثة أيام، فظل الحطاب يبكي مع زوجته فترة طويلة حتى انشق الحائط شقين، وخرج منه عبد

أسود الذي رق لحال الحطاب، وجلب القفص إلى الحطاب وأعطاه ثلاث شعرات، يقدح واحدة كلما شعر بحاجة أو خطر، لكن الوزير استطاع أن يقنع الملك، بأن يطلب من الحطاب أن يجلب له (حصان الهواء)، فلم يجد الحطاب أمامه إلا أن يقدح شعرة فيأتيه العبد الأسود وهو يقول (لبيك لبيك، أنا عبد بين يديك اطلب وتمنى) فيخبره الحطاب بطلبه، طلب العبد من الحطاب أن يشتري سرج ومقود، ذهب الحطاب للسوق واشترى ما طلبه العبد، بعدها قدح الشعرة الثانية جاء العبد وأخذ الحطاب إلى غابة كثيفة حيث استطاع أن يمسك الحصان ويعود به إلى المدينة، وقدمه للملك وحصل على رضاه وحاشيته، أما الوزير فما زال يحقد عليه. وحينما أراد الملك أن يزوج ابنه استشار وزيره عن المرأة التي تكون مناسبة لابنه، قال الوزير له: إنها (سعاد) ابنة ملك الجان، سأل الملك: ولكن كيف الوصول إلى ابنة ملك الجان؟ أجاب الوزير: بأن الحطاب هو الذي يقدر، بلغ الخطاب ما يريد الملك فما عليه إلا أن يقدح الشعرة الثالثة، وحضر العبد وطلب الحطاب منه ابنة الجان (سعاد)، غاب العبد وبعد بطولات كثيرة مع العمالقة السبعة يعود الحطاب بابنة ملك الجان(سعاد)، ثم أخذها للملك.

يتزوج ابن الملك سعاد ابنة ملك الجن، وعرف الملك أن الوزير حاك ضده كثيرًا من المكائد وأراد الإيقاع بالحطاب، فأمر عملاقه المصارع أن يضعه في مقلاعه ويقذفه نحو الجبل، فتحطمت أضلاعه ومات، نصب الملك الحطاب كبيرًا لوزرائه وسكن في قصر الوزير الخائن.

الحكاية الرابعة والثلاثون

حكاية حديدان والسعلوة

اليوم كانت جدتي سعيدة جدًا؛ فقد جاء مبيّض القدور لمحلتنا، وهو رجل يتجول في الأزقة والطرقات وينادي بصوت عالٍ (بيّاض المويعين مْبَيضْ)، (جمع ماعون باللهجة الموصلية)، والقصد أدوات الطبخ من القدور وأواني صغيرة والمصافي والطاوات (مقلاة) أي المقلاة، والصينية والطِّشت، وأخذ مواعيننا النحاسية؛ لكي يبيّضها وجدتي تثق بهذا الرجل كل الثقة، وبعد أن يعيدها مطلية نظيفة يستلم منها أجوره، هذا الرجل يقوم بجلي وتبييض الأواني النحاسية بواسطة مسحوق (النشادر) ومادة القلاي (القصدير)، هذه العملية تجدد الأواني المنزلية وتغطيها بطبقة برّاقة عازلة تمنع تفاعل النحاس مع الحوامض التي تؤدي إلى التسمم، علمًا أن جميع أدوات المطبخ المستعملة في المنزل، بل البيوت العراقية كلها، كانت مصنوعة من الصفر (النحاس).

حدثتنا جدتي أن هذه الحكاية سمعتها من جدها، يعني عمر الحكاية أكثر من خمسة وتسعين عامًا.

قالت: كان يا ما كان وعلى الله التكلان، كل من عنده ذنب يقول التوبة وأستغفرالله، في قديم الزمان كان هنالك ثلاثة إخوة، الكبيراسمه (حديدان)، والأخ الوسط اسمه (كعيبان)، والصغيراسمه (نخيلان).

كان بيت حديدان من حديد، وبيت كعيبان مبني من كعيب، وبيت نخيلان مبني من نخالة، وهذه البيوت كانت مبنية في الصحراء، بعيدة عن المدينة لا يوجد حارس عليها، ولهذا كان أصحابها يغلقون الأبواب من قدوم الليل حتى الصباح. في يوم من أيام الشتاء طلعت السعلوة (الدامي) بالليل

تتجول، وتبحث عن أكل لها ولأولادها، شاهدت بيت نخيلان وطرقت الباب، أجاب نخيلان: من الطارق؟ وماذا تريد؟

أجابت: أنا السعلوة افتح الباب، جئتُ حتى آكلك.

أجاب نخيلان: اذهبي وابتعدي عني، ما عندي أكل، وليس لكِ عندي شيء.

تعصبت السعلوة وغضبت كثيرًا، ونفخت على بيت نخيلان نفخة واحدة طار البيت، وأصبح غير موجود؛ لأنه كان مبنيًا من النخالة الخفيفة، ومسكت نخيلان وقطعته قطعًا صغيرة وأكلته وأخذت جزءًا منه لأولادها.

وفي الليلة التالية جاءت السعلوة لبيت كعيبان وطرقت الباب، أجاب كعيبان: من أنتِ وماذا تريدين؟

أجابت السعلوة بصوتها الغليظ الذي يخافه الجميع: أنا السعلوة افتح الباب جئتُ لآكلك.

أجاب كعيبان: اذهبي وابتعدي عني، ما عندي أكل، وليس لكِ عندي شيء.

غضبت وتعصبت السعلوة وركلت باب المنزل بقوة، تهدم المنزل؛ لأنه كان مبنيًا من كعيب خفيفة، وأمسكت كعيبان وقطّعته قطعًا صغيرة وأكلته وأخذت جزءًا منه لأولادها.

وفي إحدى الليالي جاءت إلى بيت حديدان وطرقت الباب، لم يرد عليها. صرخت بصوت عالٍ: حديدان، حديدان افتح الباب جئت لآكلك. لم يرد حديدان، تعصبت وغضبت السعلوة كثيرًا، وبدأت بالتهديد والوعيد؛ لكي يخاف، وأنها جاءت لتأكله وتصرخ: افتح الباب وإلا سأهدم المنزل على رأسك.

رد عليها حديدان: أنتِ يا سعلوة، أنا بيتي من حديد ولا تقدرين أن تحركيه من مكانه.

حاولت السعلوة كسر الباب لم تقدر، وحاولت، وحاولت فتح الباب حتى جرحت يديها، وجرى الدم منها فلم تقدر.

تركت منزل حديدان وذهبت إلى الاسكافي حتى يخيط الجروح في يديها، ثم رجعت لبيتها تعبانة، وظلت تراقب حديدان وتتربص له وتنتظر الفرصة السانحة لها حتى تأكله.

في أحد الأيام ذهب حديدان لحافة النهر مكانٌ فيه أشجار، حتى يرفّه على نفسه؛ لأنه كان مقهورًا وحزينًا، عرفت السعلوة أنه خرج من بيته فتبعته ولحقت آثار قدميه، عرف حديدان أنها تتبعه فخاف كثيرًا وبدأ يفتش عن مكان يختفي فيه، عثر عند حافة النهر على بطيخة كبيرة، حفرها ودخل بداخلها، لكن أذنتيه بقيت خارج البطيخة،

شاهدت السعلوة حديدان وهو يدخل داخل البطيخة، فرحت كثيرًا وتقربت منه، وأمسكت أذنتاه وبدأت تغني:

(شردان... بردان.. كنا أذان حديدان)، بعدها كسرت البطيخة وأخرجت حديدان وأمسكته وشدته بالحبل وحملته على ظهرها، وذهبت إلى منزلها فرحانة سعيدة بصيدها حديدان، دخلت المنزل وقالت لابنتها (شرنته): ابنتي، أحرقي التنور وحضريه حتى نشوي حديدان، وأنا سأذهب إلى الحداد لكي يحدّ أسناني حتى آكل وأتهنأ بحديدان.

خرجت السعلوة من المنزل وبدأ حديدان بالغناء حتى يستطيع أن يخدع (شرنته)، وكان صوته عذبًا، سمعت شرنته صوت حديدان وتعجبت منه وأعجبها صوته كثيرًا، قالت له: صوتك جميل جدًا، غني لي أكثر.

فجاوبها حديدان: تعالي فكي الحبل وسوف تشاهدين كيف أغني أحلى من هذا الغناء وأرقص.

صدقت شرنته بكلامه، فكّت الحبل عن حديدان، وبدأ يغني وشرنته تضع الأخشاب بالتنور وتشعله، أصبح التنور حارًا، غافل حديدان شرنته وحملها ورماها داخل التنور، وبدأت تحترق، وتركها وهرب قبل عودة أمها السعلوة.

وصل حديدان منزله وصعد فوق السطح، رجعت السعلوة لمنزلها اشتمت رائحة لحم مشوي، توقعت أن ابنتها شوَت حديدان بالتنور فبدأت تأكل من لحم ابنتها حتى شبعت، تذكرت السعلوة ابنتها، وبدأت تناديها: شرنته، شرنته، لا جواب ولا من يرد عليها، فتّشت منزلها لم تجد أي أحد في غرف المنزل، لكنها عثرت على ملابس ابنتها قرب التنور محروقة، عرفت أن هي أكلت لحم بنتها، مزقت ملابسها من الغضب وصرخت وضربت نفسها ونتفت شعر رأسها، واتجهت مسرعة إلى بيت حديدان، شاهدته واقفٌ فوق السطح يغني: شرنته، برنته أكالي لحم بنتا، على رغيف الحنطة. وظل يضحك ويستهزئ عليها، حتى انفجرت وماتت من الحزن.

كنا عندكم وجينا، لو كان البيت قريب كان جبنا لكم قصب زبيب.

حكاية من تراث الموصل الشعبي.

الحكاية الخامسة والثلاثون

كثرة اللقم تطرد النقم

حدثتنا جدتي في إحدى الليالي الباردة بأن هذه القصة الحقيقية حدثت في مديرية الألبان العامة في سبعينيات القرن الماضي، عندما قررت الحكومة إنشاء مديرية عامة لبيع الألبان، فتمّ شراء الأبقار من الذين يرغبون لبيعها إلى الحكومة وبأثمان مجزية، ولغرض توسيع وازدياد عدد الأبقار في المديرية، قرروا استئجار ثور يقوم بمهمته التناسلية من امرأة تمتلك هذا الثور.

فقام الثور بمهمته على أحسن ما يكون لقاء مبلغ يدفع لصاحبة الثور في كل مرة، ويرجعون الثور إلى صاحبته، وتمت هذه الموافقة بينهما ولا توجد أي مشكلة، ففي يوم من الأيام فكر السيد مدير عام (مديرية الألبان العامة) بشراء ذلك الثور من تلك المرأة لقاء مبلغ مغري لا تستطيع أن ترفضه، فاجتمع مجلس إدارة المديرية باجتماع فوق العادة، وقرروا بالإجماع شراء ذلك الثور.

وتم تأليف وفد من ثلاثة موظفين؛ للذهاب إلى مقابلة هذه المرأة وإقناعها ببيع ثورها إليهم، فوافقت على ذلك ودفعوا المبلغ السخي لها، وجاءوا به فرحين والمدير العام لازال في انتظارهم، وتم الاحتفاء به وذلك بتقديم عشاء له ومن أطيب الأكل؛ لكي يقوم بواجبه على أتم وجه، وبذلك سوف يوفر مبالغ طائلة للمديرية وانتظروا، وانتظروا يومًا بعد يوم وهُم في فارغ الصبر، ولكن لا يوجد أي (عمل)، وهذا الثور لا يحرك ساكنًا.

وقرروا اتخاذ اجتماع عاجل (وفوق العاهد) لتدارس الموقف وإرسال وفد لمقابلة تلك المرأة والاستفسار منها، لماذا الثور لا يقوم بعمله؟ وجاءوا إليها وشرحوا لها الموقف، وما نوع الأكل الذي يأكله عندما كان معها؟ فأجابتهم بأنها

كان توكّله ما تبقى من طعامها وما تقع يدها عليه من حشائش الأرض، فردوا عليها بأنهم يعطوه أحسن الطعام وكل ما يشتهيه، ولكن لا يقوم بعمله الموكل إليه! فردت عليهم :(تدرون ليش هذا الثور ما يشتغل).

قالوا: لا! فردت عليهم: هذا الثور صار موظفًا حكوميًا... بعد ما يشتغل! نعود لحكايتنا الأسبوعية يا أحبائي...

كان يا ما كان في قديم الزمان، يحكى أن امرأةً رأت في الرؤيا أثناء نومها أنَّ رجلًا من أقاربها قد لدغته أفعى سامة فقتلته ومات على الفور، وقد أفزعتها هذه الرؤيا وأخافتها جدًا، وفي صبيحة اليوم التالي توجهت إلى بيت ذلك الرجل وقصّت عليه رؤياها وعَبَّرَت له عن مخاوفها، وطلبت منه أن ينتبه لما يدور حوله، ويأخذ لنفسه الحيطة والحذر.

فنذر الرجلُ على نفسه أن يذبح كبشين كبيرين من الضأن نذرًا لوجه الله تعالى، عسى أن ينقذه ويكتب له السلامة من هذه الرؤيا المفزعة. وهكذا فعل، ففي مساء ذلك اليوم ذبح رأسين كبيرين من الضأن، ودعا أقاربه والناس المجاورين له، وقدم لهم عشاءً دسمًا، ووزَّعَ باقي اللحم حتى لم يبقَ منه إلا ساقًا واحدة.

وكان صاحب البيت لم يذُق طعم الأكل ولا اللحم؛ بسبب القلق الذي يساوره ويملأ نفسه، والهموم التي تنغّص عليه عيشه وتقضّ مضجعه، فهو وإن كان يبتسم ويبشّ في وجوه الحاضرين، إلا أنه كان يعيش في دوامة من القلق والخوف من المجهول.

لَفَّ الرجلُ الساقَ في رغيفٍ من الخبز ورفعها نحو فمه ليأكل منها، ولكنه تذكّر عجوزًا من جيرانه لا تستطيع القدوم بسبب ضعفها وهرمها، فلام نفسه قائلًا: لقد نسيتَ تلك العجوز وستكون الساق من نصيبها، فذهب إليها بنفسه

وقدّم لها تلك الساق، واعتذر لها؛ لأنه لم يبقَ عنده شيء من اللحم غير هذه القطعة.

سُرَّت المرأةُ العجوز بذلك وأكلت اللحم ورمت عظمة الساق، وفي ساعات الليل جاءت حيّة تدبّ على رائحة اللحم والزَّفَر، وأخذت تمصّ العظم وما تبقى من الدهنيات وبقايا اللحم عن تلك العظمة وتصدر صوتها عند كسرها، فدخلت الجهة المعقوفة منه عظم الساق في حلقها ولم تستطع الحيّة التخلّص منه، فأخذت ترفع رأسها وتخبط العظمة على الأرض وتجرّ نفسها إلى الوراء وتزحف محاولة تخليص نفسها، ولكنها عبثًا حاولت ذلك، فلم تُجْدِ محاولاتها شيئًا ولم تستطع تخليص نفسها.

وفي ساعات الصباح الباكر سمع أبناء الرجل المذكور حركة وخَبْطًا وراء بيتهم؛ فأخبروا أباهم بذلك، وعندما خرج لمعرفة حقيقة الأمر وجد الحيّة على تلك الحال، وقد الْتصَقَت عظمة الساق في فكّها وأوصلها زحفها إلى بيته، فقتلها وحمد الله على خلاصه ونجاته منها، وأخبر أهله بالحادثة فتحدث الناس بالقصة زمنًا، وانتشر خبرها في كلّ مكان، وهم يرددون المثل القائل: "كثرة اللُّقَم تطرد النِّقَم".

الحكاية السادسة والثلاثون

فراسة فتاة

كانت جدتي تحتفظ بماعون من الخزف عليه صورة للملك فيصل الأول، وشاء القدر أن ينكسر الماعون إلى نصفين. يبدو على جدتي الضجر والقهر فهي تعتز بهذا الماعون، ولكنها كانت تترقب خياط الفرفوري أو فخفوري قدومه إلى المحلة وهو ينادي (خياط فرفوري). بالإضافة إلى الماعون؛ فقد احتفظت جدتي ببعض المواعين والكاسات الخزفية المكسورة، يتم تصلحيها؛ فهي من مظاهر الاعتزاز بالشيء والاقتصاد بالنفقات البيتية.

خياط فرفوري: مهنة قديمة عفا عنها الزمن فاندثرت منذ زمن بعيد، حيث كان يتم إصلاح قطع الخزف الصيني عندما تكسر. يقوم خياط الفرفوري بمثقب خاص لديه بعمل ثقوب في قطع الخزف المكسورة ويربطها بسلك معدني ويلحمها بمادة النورة المخلوطة بصفار البيض، ويتركها إلى أن تجف القطعة وتكون صالحة للاستخدام مرة أخرى.

في هذا اليوم جاء إلى زقاقنا خياط الفرفوري وهو ينادي، وخرجت جدتي تنادي عليه، وبعد أن اتفقا على سعر التصليح جلس فوق عتبة باب الدار ليصلح القطع الخزفية ويعيدها صالحة للاستعمال لقاء أجر ضئيل.

نعود لحكايتنا الأسبوعية....

حدثتني جدتي: يُحكى أن شيخًا طاعنًا في السنّ راودته فكرة الزواج بعد وفاة زوجته، فطلب من أبنائه أن يبحثوا له عن فتاة علَّهم يجدوا مَنْ توافق على الزواج منه، واستغرب الأبناء لهذا الطلب الذي جاء في غير أوانه، خاصة وأن أباهم رجل شيخ وفي مثل هذه العمر المتقدمة، غير أن إصرار أبيهم، وعدم

رغبتهم في إغضابه جعلهم ينزلون عند طلبه، ويحاولون تلبية رغبته. بعد فترة قصيرة من البحث وجدوا فتاة في مقتبل العمر توافق على الزواج من أبيهم الشيخ؛ فخطبوها إليه، وبعد عدة أيام زفُّوها إليه، ودخل الشيخ على عروسه الشابّة وقضى ليلته عندها، ولكنه في صبيحة اليوم التالي لم يخرج، وعندما استبطأه ذهبوا أبناؤه إلى خيمته الصغيرة، التي تزوّج فيها فوجدوه على فراشه وقد فارق الحياة.

شعروا الأبناء والدهم هذه قسمته، فجهزوه ودفنوه، وعادت العروس بعد ذلك إلى بيت أهلها بعد هذا الزواج القصير الذي استغرق عدة ساعات.

أما العروس جاءها من أقاربها خطبها فزوّجوها إليه أهلها قبل انقضاء العدّة الشرعية، وبعد فترة الحمل أنجبت لزوجها الجديد ابنًا ذكرًا، ثم أنجبت له بعد ذلك أولادًا آخرين.

كان الابن الأكبر يساعد أباه في أعماله ويعينه في شؤونه، غير أن الأب كان لا يمنحه أي شعور بالمحبة، ولا يجعله يشعر بأي شيءٍ من حنان الأبوة، بعكس إخوانه الآخرين، الذين كان يعاملهم بكلّ رفق، ولا يضنّ عليهم بشيء، بل إن الأب كان يضرب ذلك الابن دائمًا، ويعامله بكل فظاظة وقسوة، ولا يجد له رحمة في قلبه.

كبر الصبي مع إخوانه وعاش ظروفًا قاسية، كان دائمًا عونًا لأبيه في أعماله، برغم كلّ هذه المعاملة القاسية التي يعامله والده بها، وفي أحد الأيام ذهب الوالد؛ ليعمل في حرث الأرض ومعه الصبي هذا، ولأسباب تافهة ثارت أعصاب الأب وقام بضربه ضربًا مبرحًا آلمه كثيرًا مما جعله يهرب من بين يديه، ويهيم على وجهه، وظلَّ الصبيّ يعدو حتى وصل إلى خيمة يقيم بها بعض الأخوة وحولهم أغنامهم ومواشيهم، فاستجار بهم من ظلم أبيه، وقال لهم: أنقذوني من أبي؛ فقد ضربني حتى كاد يقتلني، فَهَدَّأَ أصحاب البيت من روعه وأعطوه

ماءً ليشرب ويهدأ قليلًا، وبعد أن استراح بعض الشيء حدثهم عن معاملة أبيه القاسية له بعكس إخوانه الذين يعاملهم معاملة طيبة رقيقة، أما هو فمحروم من كل شيء، وهو يشغله معه في الحراثة ورعي الأغنام ونَشْل الماء لهم من البئر، وغير ذلك من الأعمال الشاقة التي لا يطلبها من أبنائه الآخرين، شعر صاحب البيت بميلٍ شديد نحو الصبي فسأله: ومن هو أبوك؟ فقال: أنا ابن فلان، وسأله أيضًا: ومن هي أمك؟ فقال: أمي فلانة بنت فلان. فقال صاحب البيت: أنت لست ابنًا لهذا الرجل، بل أنت أخي، فقال له الصبي: وكيف أصبحتُ أخًا لك وأنا لم أشاهدك في حياتي قبل هذه المرة، فقال الرجل: لا تستعجل فسأخبرك بذلك في حينه، وبعد ساعة من الزمن جاء أبو الصبي يريد أخذ ابنه من عندهم؛ لأنه كان يتبعه وهو يهرب منه، ولكن الأخ الأكبر قال له: هذا ليس ابنك أيها الرجل، بل هو أخي. فقال الرجل: كيف أصبح أخوك خلال هذه الساعة، إنه ابني ولكن يبدو أنه جرى لعقلكَ شيء، أو تكون قد جننت حقًا.

فقال الأخ الأكبر: لن أتركه لك إلا بعد أن نتقاضى ونحتكم عند أحد الشيوخ، فإن كان ابنك فخذه، وإن كان أخي سآخذه أنا، وقال له سنلتقي غدًا في بيت الشيخ فلان، فهل ترضى به حَكَمًا بيننا؟ فقال الرجل: ونعم الشيخ، واتفقا أن يجتمعا عنده في اليوم التالي؛ ليفصل بينهما في هذه القضية المعقدة، وفي اليوم التالي ذهب الأخوة ومعهم الصبي إلى بيت الشيخ المذكور، ثم جاء غريمهم أبو الصبي، وكان بيت الشيخ بعيدًا، فما وصلوه إلا في ساعات العصر، فرحب بهم الشيخ واستقبلهم استقبالًا حسنًا، وبعد أن استراحوا، شرح كل واحد منهم حجته لذلك الشيخ، فقال لهم: لن أحكم بينكم قبل أن أقدّم لكم واجب الضيافة، ولكنني أريد من هذا الصبي أن يساعدني في بعض الأمور، ودعا الشيخ الصبي ليفهمه ما يريد منه فخرج معه إلى جانب البيت،

فقال له الشيخ: أنت ترى يا ابني أنكم ضيوف عندي، ولا بد من عمل ما يُقَدَّم إلى الضَّيْف لكم، وأغنامي بعيدة، وأريد منك أن تذهب إليها فهي ترعى قرب الوادي الفلاني ومعها ابنتي، فغافِل ابنتي واسرق منها خروفًا واحمله وأحضره إليّ؛ لكي أعمله عشاءً لكم، ولا تدع الفتاة تراك أو تحسّ بك.

فذهب الصبي وغافل الفتاة، ثم حمل خروفًا كبيرًا وسار يعدو به حتى أحضره إلى الشيخ الذي ذبحه وأعدّ منه عشاءً لهم. وفي ساعات المساء وبعد أن تناول المختصمون عشاءهم عند ذلك الشيخ عادت الفتاة ومعها أغنامها إلى البيت، فجاءت إلى أبيها وعلى وجهها ملامح الحزن، وقالت لأبيها وعلى مسمع من الضيوف: لقد ضاع مني اليوم خروف يا أبي، سألها: وكيف ضاع منك؟ هل أكله الذئب؟ أجابت: لا، بل سُرِق.

سألها والدها: وهل رأيت الذي سرقه؟ أجابت: لا، ولكنني عرفته. استغرب الوالد وسألها: كيف عرفتِه ولم تبصره عيناكِ؟ قالت: وجدتُ أثر أقدامه فعرفته من أثره، فهو صبي أمّه شابّة وأبوه شيخ هَرِم. قال لها أبوها: وكيف تثبتِّي لي ذلك؟ قالت: إن أثره صغير كأَثَرِ صبي لم يبلغ بعد. قال أبوها: حسنًا ولكن كيف عرفت أنه ابن شيخ هرم؟

قالت: عرفته من أثره أيضًا، فوجدت خطواته مرة تكون طويلة ومتباعدة ومرةً تكون قصيرة ومتقاربة، فعرفت أنه عندما كان يأتيه العزم والقوة من ناحية أمه، فكان يعدو فتبعد خطواته عن بعضها البعض، وعندما تأتيه القوة من عند أبيه فكان يتعب فتقصر خطواته، فعرفت أن أمه شابّة وأن أباه شيخ هرم. فقال لها الشيخ: اذهبي الآن يا ابنتي وسنبحث عن الخروف فيما بعد. ثم نظر إلى ضيوفه وقال لهم: هل سمعتم ما قالته الفتاة؟ قالوا: نعم سمعنا.

قال الشيخ: وبذلك تكون قد حُلّت القضية، فأما أنتَ أيها الرجل فالصبي ليس ابنًا لك، وأما أنت أيها الصبي فالْحَق بإخوانك وعد إلى أهلك. وبهذا أكون قد حكمتُ بينكم.

بذلك تكون فراسة الفتاة البدوية حكمًا فطريًا أنقذ الصبي من ظلم أبيه المزعوم، وأعاده إلى حضن إخوانه الذين فرحوا كثيرًا بعودته إليهم.

المصدر: التراث الشعبي

الحكاية السابعة والثلاثون

أربع حكايات لبهاء الدين قراقوش

كانت جدتي مشغولة بتحضير طعام الغداء، سمعت صوت جراخ سكاكين ينادي بصوته العالي (چراخ سكاكين چراخ)، يعلن قدومه للزقاق حملت معها سكاكين وساطور المطبخ وخرجت مسرعة تنادي عليه، وطلبت منه أن يحدها أي يجعلها قاطعة. چراخ السكاكين يحمل على ظهره دولابًا من الخشب ركب عليه قرص من حجر المسن وهو مصنوع من مادة تسمى الكوربراندم، يدور بواسطة قايش من الجلد خلال حركة الدولاب الكبير الخشبي، عندما يضغط الچراخ على خشبة صغيرة بإحدى قدميه، يضع السكين على القرص الحجري من الجهة القاطعة فيتطاير الشرر نتيجة احتكاك السكين بالقرص الحجري الدوار، وبذلك تصبح السكين بتارة.

في المساء حدثتنا جدتي عن طرائف الأمير بهاء الدين قراقوش، وهو أحد قواد صلاح الدين الأيوبي، نال ثقته فولّاه حكم مصر، فأنشأ فيها القلعة وهو الذي أنشأ سور القاهرة.

تقول الحكاية الأولى: في أحد الأيام جاء فلاح إلى قراقوش يشكو لصًا سرق من داره دجاجة، وقدَّم شاهدًا، وعند استجواب اللص واعترافه، أعلن قراقوش الحكم التالي: يغرم اللص دينارًا، وصاحب الدجاجة يغرم دينارًا، والشاهد يغرم دينارًا أيضًا، وعندما سُئل عن حيثيات هذا الحكم البهلواني قال: حكمت على اللص؛ لأنه معتد على مال غيره، وعلى صاحب الدجاجة لأنه قصَّرَ في حفظها، ولما سُئل ما ذنب الشاهد يا مولانا؟!

أجاب قراقوش: لأنه تدخَّلَ فيما لا يعنيه.

أما الحكاية الثانية تقول: في ليلة مظلمة خرج حرامي من بيته؛ ليسرق من عباد الله النائمين، فقفز لشباك بيت التاجر؛ فانكسر الشباك وسقط الحرامي، وانكسرت رجله فغضب الحرامي من التاجر، وذهب برجله المكسورة لعند قراقوش يبكي ويشتكي، فسأله قراقوش: ماذا بك؟ من كسر لك رجلك؟

فأصبح الحرامي يبكي ويحكي القصة قائلًا: أنا قفزت لبيت التاجر؛ لأسرقه ولكن الشبَك انكسر ووقعت وانكسرت رجلي، وأريد أن تأخذ حقي من التاجر، ففكر قراقوش وقال للحرامي: لا تخَف يا ابني، حقك راح تأخذه بعون الله، نادى قراقوش على مساعده وأمره بأخذ الرجال والذهاب؛ لإحضار التاجر.

أتى التاجر وهو واثق من نفسه أنه لم يفعل شيئًا يغضب قراقوش، فأراه رِجلَ الحرامي وعاتبه أنه السبب في كسرها؛ لأنه قفز لشباك البيت وانكسر الشباك، ووقع فانكسرت رجله وحكم قراقوش بالإعدام على التاجر.

استغرب التاجر على هذه القصة والحكم بالإعدام، فكر بهدوء قائلًا: لست أنا السبب يا قراقوش، بل النجار الذي صنع الشباك ولم يركبه جيدًا.

فكر قراقوش وقال: معك حق، وأمر رجاله أن يأتوا له بالنجار حالًا، أتى النجار وهو يتظلم ويحلف بأنه لم يعمل شيئًا.

فأخرسه قراقوش وهدده بأنه سيعدمه حالًا؛ لأنه لو كان أجاد عمل الشباك لمَا سقط الحرامي المسكين وانكسرت رجله، فدافع النجار عن نفسه بأنه ليس له ذنب، بل الذنب ذنب بنت تلبس فستانًا أحمر، مرت أمامه وهو يُرَكبْ الشباك فلم يضبطه جيدًا، وترجى قراقوش بقوله: إن السبب البنت ذات الفستان الأحمر.

فكر قراقوش ثم أمر رجاله بإحضار البنت ذات الفستان الأحمر، فأحضروها له ودافعت عن نفسها بعد تهديد قراقوش لها بالإعدام، وقالت:

ان السبب هو الصباغ الذي صبغ الفستان باللون الأحمر، فأمر قراقوش رجاله بإحضار الصباغ، الذي لم يعرف كيف يدافع عن نفسه حين قص عليه قراقوش القصة، وواجهة بالتهمة فسلم الصباغ أمره لله ولم يعرف ما يقول؛ فحكم عليه قراقوش بالإعدام.

ولكن الصباغ كان طويلًا ولم يستطيعوا إعدامه، حيث أنه أطول من أعمدة الإعدام وليس عندهم أعمدة بطوله لتناسب إعدامه؛ فأخبروا قراقوش فأمرهم بإحضار أي صباغ قصير، فكلهم سواسية بالصبغ وتنفيذ الإعدام به بدلًا من الصباغ الطويل؛ فأتوا بصباغ قصير وأعدموه وهكذا طبقوا عدالة قراقوش.

أما الحكاية الثالثة: أنه كان بمصر تاجر غني بخيل، وكان له ولد يقترض باسمه، واستمر الاقتراض حتى زاد عليه الدين ولم يمُت أبوه، فاتفق مع الدائنين على أن يدفن والده بالحياة؛ لكي يستطيع من الورثة تعويض ديونهم، وانقضوا عليه بالفعل ذات يوم فغسلوه وكفنوه ووضعوه في النعش وهو يصيح ولا يُغاث، فلما وصلوا إلى المسجد للصلاة عليه، صادف أن قراقوش كان مارًا فنزل وصلى عليه مع المصلين وسمع الميت المزعوم ذلك، فصاح مستغيثًا وهو يقول: يا مولاي أنقذني من ولدي؛ فهو يريد دفني وأنا حي. فقال قراقوش للولد: كيف تفعل ذلك بوالدك؟ فقال: هو كاذب يا مولاي، فإني لم أغسّله ولم أحمله في التابوت إلا وهو ميت، وهؤلاء الحاضرون يشهدون بذلك، فقال قراقوش للحاضرين، أتشهدون بصحة ما قال؟ فقالوا: بلى نشهد. فالْتفَتَ قراقوش للميت وقال: كيف أصدقك وحدك وأكذب هؤلاء الحاضرين؟ روح اندفن لئَلّا تطمّع فينا الموتى، ولا يبقى أحد يدفن بعد هذا اليوم. فحُمل الرجل ودفن وهو حي.

أما الحكاية الرابعة: قيل إن امرأة أتت بولدها إلى قراقوش، فقالت: يا سيدي بهاء الدين، إن ولدي يشتمني. فأمر بحبسه سنة، فلم تذق أمه تلك الليلة طعم النوم، فلما أصبحت راحت إلى السجانين وقالت: ما الحيلة في خلاص ولدي من هذا الحبس؟ فقالوا لها: أعطيني حلاوتنا ونعرفك ماذا تفعلين وتقولين للأمير بهاء الدين قراقوش.

فدفعت إليهم النقود وقالوا لها: اذهبي الآن إلى الأمير وقولي له: يا سيدي أنا امرأة حبست لي ولدي سنة كاملة وقد انقضَت السنة، فأخرج لي ولدي من الحبس. فأتت المرأة إلى الأمير قراقوش وقالت له ذلك، فقال لها: اذهبي الآن فلا جدال في أنه قد بقي له من السنة سبعة أيام سوى أمس وغد. فمضت المرأة وأعلمت السجانين فقالوا لها: هذه نعمة.

فإذا كان الغد اذهبي إليه وقولي له: قد انقضت سبعة أيام. فأصبحت المرأة وجاءت إلى قراقوش فلما نظر إليها قال: يا امرأة حتى تغرب الشمس! ثم نادى خادمه قائلًا: يا غلام: إذا غربت الشمس فأطلق لها ولدها من الحبس، ثم قال للمرأة ولا ترجعي أو تجيبيه، سوف يحبسونه سنتين.

الحكاية الثامنة والثلاثون

أربع رغبات

في هذا اليوم كانت جدتي مرتبكة ومتعجّلة في تحضير بقجتها، هي قطعة قماش مربعة الشكل منها المطرز والمبطن، وتوضع بداخلها مستلزماتها من المناشف والصابون والكيس والمعدسي والحكاكي والطاسة والمقعد والقبقاب ورأس گيل التي ستأخذها إلى الحمام، وتنتظر "نقالة البقج" وهي المرأة التي تنقل من الدور السكنية إلى الحمام البقج لقاء مبالغ مالية محددة، وكانت المناسبة مشاركتها نسوة المحلة في الاحتفال داخل الحمام بجارتنا أم البنات بعد سبعة أيام من ولادتها البنت الثامنة، وتسمى المرأة عندئذ بـ (الأمفيس)، والمناسبة يطلق عليها (حمام السبعة). وداخل الحمام عادات وطقوس لابد من مراعاتها، وكثيرًا ما توزع المأكولات في الحمام ويشرب الجميع الشاي والدارسين، ثم ترجع النسوة إلى بيوتهن بعد صلاة العصر.

في المساء تجمعنا حول جدتي بعدما حدثتنا عن الحمام وطقوسها بدأت تحكي حكايتها اليومية.

كان يا ما كان وعلى الله التكلان، عاش في قديم الزمان فلاح عجوز وكان عنده أربعة أبناء، ذات مرة استدعى أبناءه وقال لهم: سمعت أن في الكون عجائبًا كثيرة، اذهبوا واعرفوا هل صحيح ما يقوله الناس وارجعوا إلى البيت بعد ثلاث سنوات، ودع الإخوة الأربعة والدهم باحترام وتفرقوا في جهات مختلفة؛ الأول إلى الشمال، الثاني إلى الجنوب، الثالث إلى الشرق، أما الرابع فذهب إلى الغرب، عند انقضاء المدة المحددة رجع الأبناء واحدًا بعد الآخر إلى البيت، وراح والدهم يسألهم عما رأوه وتعلموه، قال الولد الأول: في الشمال

يوجد أناس مدهشون يرون ما هو مخفي عن عين الإنسان، يستطيعون الحصول على كل شيء يريدونه، عشتُ ثلاث سنوات بين هؤلاء الناس وتعلمت كل شيء يعرفونه.

اقترب الولد الثاني من والده وقال: في الجنوب يعيش بشر مدهشون على بعد بضعة كيلومترات يستطيعون تمييز حبة الرمل. وأنا الآن أيضًا أستطيع أن أرى كل ما أريده.

ضحك الابن الثالث ضحكة ساخرة، انحنى أمام أبيه وحياه قائلًا: في الشرق علموني فن الرماية بدون خطأ، أما العجائب فلم أرَ منها شيئًا، وأنا أيضًا لم أرَ عجائب، قال الابن الأصغر: في الغرب علموني خياطة كل شيء بشكل ماهر؛ بحيث لا تستطيع عين الإنسان أن ترى غرز الخياطة، وبهذه المعرفة رجعت إلى البيت.

أصغى الأب لأبنائه وقرر أن يجري اختبارًا لهم.

على مسافة مائة من هنا تنتصب صخرة نبتت عليها شجرة، ماذا يختبئ بين أغصان هذه الشجرة، نظر الابن الثاني في البعد وقال: هناك بين الأغصان عش رمادي اللون، وفي العش ثلاث بيضات، قال الأب للابن الأكبر: أحضر لي تلك البيضات. مد الابن الأكبر يده وفي لحظة صارت البيضات الثلاث في يده.

ابتسم الأب ونظر إلى ابنه الثالث: الآن دورك يا ولدي. خذ سلاحك وصوب باتجاه البيضات بحيث تقسم كل واحدة إلى نصفين متساويين، تناول الأخ الثالث القوس، وصوّب وبسهم واحد اخترق البيضات الثلاث؛ فانقسمت كل واحدة إلى قسمين متساويين، أما الابن الأصغر فكان يقف جاهزًا حاملًا الإبرة والخيط كي يخيط البيضات بلحظة خاط الأخ الأصغر القشرة، أخذ الأب البيضات وقلبها بين يديه فلم يرى أي أثر للخياطة، فابتسم وقال: حسنًا، عرفتم وتعلمتم الكثير، الآن لا أخاف من الموت لن تضيعوا في هذه الحياة.

انحنى الأبناء لوالدهم، وخرجوا من البيت؛ ليشاهدوا الناس وأثناء تجوالهم في القرية شاهدوا إعلانًا كبيرًا ملصقًا على حائط مكتوب عليه: (فقد الملك كنوزًا لا تعد ولا تحصى، هي عزة الوطن من يجد هذه الكنوز له ما يطلب ويتمنى كل رغبة له سيحققها الملك العظيم).

قرأ الإخوة الإعلان ثم عادوا إلى البيت وقصوا على والدهم كل شيء، أصغى لهم حتى النهاية وقال: ابحثوا عن الكنزيا أبنائي وأحضروها؛ فهي ليست للملك بل لبلادنا ولشعبنا، صار الأخ الثاني ينظر في كل الاتجاهات نظر إلى الشمال والغرب، أما في الجنوب وفي جزيرة تبعد حوالي بضعة كيلومترات، رأى كنوزًا لا تعد ولا تحصى مخبأة في صخرة عالية يحرسها تنين هائل، قال العجوز لابنه الأكبر: يا بني أحضر هذه الكنوز، هز الابن رأسه وقال: لا أستطيع لوحدي أن أرفع هذه الكنوز؛ إنها ثقيلة جدًا، يظهر أن علينا جميعًا أن نبحر من أجلها، صنع الإخوة قاربًا كبيرًا وانطلقوا إلى الجزيرة النائية، وأثناء ذلك كان الأخ الثاني ينظر ويراقب التنين وتصرفاته وعندما وصلوا إلى الجزيرة قال لإخوته: لا تسرعوا في تخليص الكنوز؛ لأن التنين يبقى أيامًا كاملة يحرس الثروة، لا يشرب ولا يأكل إلا مرة واحدة كل عشرة أيام، يغيب قليلًا ليسبح في البحر ويأكل، غدًا موعده وعندها ننطلق لنستعيد الكنوز.

في اليوم الثاني نزل التنين العملاق إلى البحر، أما الإخوة فتسلّلوا إلى الصخرة وأخرجوا الكنوز الضخمة وحملوها على القارب وبدأوا طريق العودة، وعندما رجع التنين إلى الصخرة اكتشف ضياع الكنوز نظر نحو البحر؛ فلاحظ في المدى قاربًا فأطلق صوتًا رهيبًا وهب للحاق بهم.

رأى الإخوة التنين يلحق بهم، فقالوا: لأخيهم الثالث أنقذنا، تناول الأخ الثالث القوس، شد الوتر وأطلق السهم مباشرة في قلب التنين، زأر التنين المخيف ضرب بذنبه الضخم، وغاص في قاع البحر وفي تلك الدقيقة أرعدت

السماء فجأة وهبت في البحر أمواج عاتية، وضربت موجة كبيرة القارب فكسرت لوحًا خشبيًا، وبدأ القارب يغوص أما الأخ الأصغر فصاح: لا تخافوا يا إخوتي، ساعدوني في إصلاح قاربنا، أمسك احدهم باللوح الخشبي وأدخل الآخر الخيط في الإبرة، وأصلح الأخ الأصغر القارب بمهارة فائقة لدرجة أن لا أحد يصدق أن الخشبة كانت مكسورة.

وصل الإخوة إلى الوطن، سلموا الكنوز إلى الملك فقال لهم: لأنكم أنقذتم الكنوز التي لا تُعدّ ولا تحصى سأحقق لكم الرغبات التي تطلبونها، تقدم الأخ الأكبر من الملك وقال: ليست لي من رغبة سوى أن تعطي الأرض الفلاحين، انحنى الأخ الثاني بعده وقال: ليست لي من رغبة سوى أن تقدم لكل فلاح ثوبًا جديدًا.

خرج إلى الأمام الأخ الثالث وطلب من الملك إطلاق حرية الفلاحين المسجونين بسبب الديون، أما الرابع فطلب من الملك تعيين قضاة عادلين، ولم يكن أمام الملك إلا أن يحقق رغبات الإخوة الشجعان، فرح الفلاحون وصاروا يشكرون الفتيان، أما هم فكانوا يجيبون: يجب ألا تشكروننا نحن، بل اشكروا والدنا الذي علمنا، وإلى الإعمال الصالحة أرشدنا.

الحكاية التاسعة والثلاثون

حكاية القطاية والغزالة والحمار

في هذا اليوم كانت جدتي مشغولة بتحضير طاسة الحنة (الحناء)، فخلطت الحنة والوسمة (نص بنص) وعجنتها بماء الشاي الخدران؛ حتى يكون اللون غامقًا وثابتًا، وهذه الخلطة للمتقدمات بالعمر، وتنتظر جدتي جارتنا التي ستقوم بصبغ شعرها بهذه الخلطة، والعادة تجلس جدتي امام جارتنا التي تقوم بوضع الحنة على شعرها وتلبس دشداشة قديمة لا يهمها صبغها أو تلوثها بالحناء، فتبدأ الجارة بوضع الحناء على شعر جدتي (خصلة.. خصلة) وبعد الانتهاء من صبغ الشعر كله تعصبه بقطعة قماش من الملابس القديمة التي احتفظت بها جدتي لمثل هذه المناسبة، وكلما ظلت الحنة على الشعر مدة أطول تعطي لونًا أجمل، ومرات تبات جدتي والحنة على شعرها، وفي صباح اليوم التالي تذهب إلى الحمام. والغاية من صبغ شعرها في هذا اليوم؛ لأنها سترافق جارتنا للذهاب لخطوبة صبية لابنها، ولكي تكسب شعرها اللون الأحمر المرغوب عندها، ومرات تستعمل الحنة لتقوية شعرها حيث تخلط الحناء بقشور الرمان أو الدباغ، أو تخلط الحناء بصفار البيض مع مسحوق الكزبرة وورق التفاح اليابس، أما جارتنا لها وصفة خاصة؛ تخلط الكركم مع الحناء حتى يميل لون شعرها إلى الاصفرار؛ لإشباع رغبتها في اختيار اللون الذي تميل إليه، ومرات إذا أرادت أن يكون شعرها (بني طوخ) خلطت الحناء بالقهوة المطحونة، أو عجنها بماء الشاي (الخدران).

في المساء تجمعنا حول جدتي وحدثتنا:

كان يا ما كان وعلى الله التكلان، كل من عنده ذنب يقول التوبة وأستغفر الله، يُحكى أن قطاية (قطا) وغزالة وحمارًا قد اجتمعوا في البرية، وبعد أن تم التعارف بينهم، وأخذ كل واحد منهم يشكو ظلم ابن الإنسان وقوته على الحيوانات خصوصًا عليهم الثلاثة. فقالت القطاية: كلما رآني صادني وذبحني وأكلني من دون أن يرحم أطفالي.

وقالت الغزالة: أما أنا فلا يكتفي بأكل لحمي، بل بسلخ جلدي ويستعمله بسطًا.

وقال الحمار: أما أنا يشغلني من الصبح إلى المساء حتى إذا أنهكت قواي شدني ووضع أمامي قبضة من الحشيش والتبن لاتسمن ولا تغني من جوع، آكل منه الضرب الموجع ويخزني أحيانًا بالعصي فيخرج الدم مني، وأنا صابر على هذا الجور، فأي حياة هذه التي نحياها مع الإنسان؟

وبعد أخذ ورد وشرح وبكاء وتوجع قرروا أن لا عيشة لهم مع بني البشر بعد الآن، وأن عليهم أن يجدوا محلًا بعيدًا لا تصلهم يده؛ ليعيشوا، حتى يأتيهم هادم اللذات ومفرق الجماعات، وقرروا أن يختاروا محلًا بعيدًا يزرعون فيه ويفلحون ويأكلون على ما يشتهون، فتطير القطاية إلى القرى تلتقط الحب من بيدرها حنطة أم شعيرًا، وتأتي بها إلى أرضهم لتنثرها.

أما الغزالة فتولى مهمة بذر الحبوب لسرعتها وكثرة جريها، أما الحمار فيقوم بحرث الأرض وهي مهنته بالأصل، وبعد أن تم العهد والميثاق على ذلك ذهبوا إلى المحل الموعود، واختاروا لهم بقعة خالية بعيدة عن العمران بمسافة شهر، فقام الأخير وهو الحمار يحرث الأرض وعزقها، وطارت القطاية إلى القرى والبلدان والحقول لجلب البذور، وقامت الغزالة بالبذر، وانتهت أعمالهم خلال شهرين من الزمان وسقطت الأمطار الغزيرة على مزرعتهم وطلع الزرع وكبرت السنابل، وكانوا يجتمعون كل يوم في المزرعة للسمر والحديث

حتى إذا تأخر الوقت بهم قام الكل، فأوت القطاية إلى عشها والغزالة إلى كنها والحمار إلى أخوره.

وفي أحد الأيام تمارض الحمار واستلقى ووضع جنبه بالأرض ويتلوى ويتألم متحايلًا، وبعد أن غادرت القطاية والغزالة الحقل انتصب على رجليه ودخل الحقل وأخذ يلتهم الزرع، دخل فيه من رأس وخرج من رأس ولم يبقِ شيئًا وعاد إلى محله الأول، كما هي عادته غط في نوم عميق ويصدر عَنْهُ صَوْتٌ فِي نَوْمِهِ مِنْ حَلْقِهِ وَأَنْفِهِ، حتى أقبل الصباح جاءت الغزالة والقطاية إلى الحقل كعادتهما؛ فوجدتا لم يبقَ من الزرع شيء، وقد خلا من كل السنابل، فأخذهما العجب وقصدا الحمار وأيقظاه وأخبراه بالموضوع كله؛ فقال:

إني مريض ولم أقم من مكاني، ولم أعرف ماذا جرى منذ تركتماني البارحة.

وبعد جدال وعراك أخذ الواحد منهم يتهم الآخر، وأخيرًا اتفقوا فيما بينهم أن يحلفوا يمينًا على عدم أكله الزرع أمام بئر، فتوجهوا إليه يحثون الخطى، وكان أول من تقدم إلى البئر لأداء القسم القطاية، فبعد أن استغفرت الله على ما تقدم من ذنوبها وما تأخر، قالت بصوت رقيق: قط... قط... أنا القطيط، قط...قط... أكلي اللقيط، قط... قط... يا بير، قط... قط... إن كان أكلت، اطمس ما اطلع. قالت هذا وقفزت إلى البئر من جانب وطلعت من الجانب الثاني، وبعدها تقدمت الغزالة من البئر واستغفرت الله على ما تقدم من ذنوبها وما تأخر، ثم قالت بصوت رخيم: غز... غز... أنا الغزيل، غز غز... أكلي الزرير، غز... غز... يا بير، غز... غز... إن كان أكلت، أطمس ما أطلع.

ثم قفزت من جهة من البئر وغطست وخرجت من الجهة الثانية، ثم تقدم الحمار إلى البئر وصلى واستغفر على ما تقدم من ذنوبه وما تأخر، ثم قال بصوت غليظ: حم ... حم أنا الحمير، حم... حم أكلي الشعير، حم... حم... يا

بير، حم... حم، إن كان أكلت، حم... حم... أطمس ما أطلع. قال هذا وقفز إلى البئر قفزة عظيمة فسقط في الأسفل ومات.

(كنا عندكم وجينا، لو كان عندي حمل زبيب لوزعته على المستمعين)

المصدر: من التراث الشعبي العراقي.

الحكاية الأربعون

الرجل الفقير والعجوز والقطع الذهبية

عادت جدتي منزعجة من منزل جارنا أبي البنات، وعندما سألتاها عن السبب قالت: نقلا عن زوجته أم البنات أن زوجها أراد أن يدق مسمارًا على الحائط، وطلب من ابنته أن تذهب إلى منزل جارهم أبو تغريد، وتطلب منهم جاكوج (مطرقة)، عادت البنت وأعلمته أن أبو تغريد لا يعرف أين وضعه، طلب من ابنته للمرة الثانية أن تذهب إلى جارتهم أم مشتاق، وعندما عادت أعلمته بنته أن أبو مشتاق أخذه معه، وطلب للمرة الثالثة من ابنته أن تذهب إلى أبو فريال جارهم الثالث، عادت البنت وأعلمته أن جاكوجهم مكسور، هز رأسه أبو البنات منزعجًا وغضب غضبًا شديدًا، وشتم وسبّ جيرانه؛ لأنهم لم يقدموا له أي مساعدة واتهمهم بالبخل والغيرة وأنهم يحسدونه، وقال لابنته بعصبية: (بنتي جاكوجنا بالصندوق جيبه).

بعدها حدثتنا جدتي حكايتها اليومية قائلة: كان هناك رجل فقير تزوج من امرأة وأنجبا طفلًا، فقرر الرجل السفر لطلب العيش، فاتفق مع امرأته على عشرين عامًا من السفر، وإذا زادت يومًا واحدًا فإن المرأة حرة طليقة تفعل ما تشاء، وعدَته زوجته بذلك؛ فسافر وتركها وولده الذي لم يبلغ شهرًا واحدًا، سافر الرجل إلى إحدى البلدان حيث عمل في طاحونة قمح لدى رجل طيب وسُرّ منه صاحب الطاحونة لنشاطه.

بعد عشرين عامًا قال لصاحب الطاحونة: لقد قررت العودة إلى البيت؛ لأن امرأتي وعدتني بأن تنتظرني عشرين عامًا، وأريد أن أرى ما الذي يجري هناك.

قال له صاحب الطاحونة: اشتغل عندي عامًا آخر أرجوك؛ فقد تعودت عليك كما يتعود الأب على ابنه، لكن الرجل قال: لا أستطيع، لقد طلبَت الدار أهلها وحان الوقت كي أعود، فقد مضى على غيابي عشرون سنة، وإذا لم أعد إلى البيت هذا العام ستتركه زوجتي.

ودّعه صاحب الطاحونة وأعطاه ثلاث قطع ذهبية، وقال له: هذا كل ما أملك من الذهب، خذها فهي ليست بكثيرة عليك، أخذ الرجل القطع الذهبية الثلاث واتجه نحو قريته، وفي طريقه إلى القرية الْتقَى به ثلاثة من المارة، كان اثنان من الشباب والثالث رجل عجوز.

تعارفوا وبدأوا بالحديث، بينما الرجل العجوز لم يتكلم ولا كلمة، بل كان ينظر إلى العصافير ويضحك، فسأل الرجل: من هذا الرجل العجوز؟ أجاب الشابان: إنه والدنا، قال الرجل: لماذا يضحك هكذا؟ أجاب الشابان: إنه يعرف لغة الطيور وينصت إلى نقاشها المسلي والمرح، فسأل الرجل: لماذا لا يتكلم أبدًا؟ أجاب الشابان: لأن كل كلمة من كلامه لها قيمة ثمينة وحكمة، قال الرجل: وكم يأخذ؟ أجاب الشابان: يأخذ قطعة ذهبية مقابل كل جملة.

تساءل الرجل في نفسه: إنني إنسان فقير، هل سأصبح أشد فقرًا؟ إذا ما أعطيت هذا العجوز قطعة ذهبية واحدة كفاني أسمع ما يقول، فأخرج من جيبه قطعة ذهبية ومدها إلى العجوز؛ فقال العجوز: لا تدخل في النهر العاصف. وصمتَ وتابعوا مسيرتهم.

قال الرجل في نفسه: عجوز فظيع يعرف لغة الطيور ومقابل كلمتين أو ثلاثة يأخذ قطعة ذهبية، ترى ماذا سيقول لي لو أعطيته القطعة الثانية؟

مرة أخرى تسلّلَت يده إلى جيبه وأخرج القطعة الذهبية الثانية وأعطاها للعجوز، قال العجوز عندها: في الوقت الذي ترى فيه نسورًا تحوم اذهب واعرف ما الذي يجري، وصمت وتابعوا مسيرتهم.

قال الرجل في نفسه: أتعجب بماذا يقول، كم من مرة رأيتُ نسورًا تحوم ولم أتوقف ولو لمرة واحدة لأعرف ما المشكلة! سأعطي لهذا العجوز القطعة الثالثة، بهذه القطعة ومن دونها لن تتغير الأحوال.

للمرة الثالثة تسللت يده إلى جيبه وأمسك بالقطعة الأخيرة وأعطاها للعجوز، أخذ العجوز القطعة الذهبية وقال: قبل أن تقدم على فعل أي شيء، عدّ في عقلك حتى خمسة وعشرين، وصمت، وتابع الجميع المسير ثم ودّعوا بعضهم وافترقوا، اتجه الرجل إلى قريته، وفي الطريق وصل إلى حافة نهر، وكان النهر يعصف ويجرف تياره الأغصان والأشجار، تذكر الرجل أول نصيحة أعطاها العجوز له (لا تحاول دخول النهر)، جلس على ضفة النهر وأخرج من حقيبته خبزًا وبدأ يأكل، في هذه اللحظات سمع صوتًا وإذ به يرى فارسًا وحصانًا أبيضًا، سأله الفارس: لماذا لا تعبر النهر؟ أجاب الرجل: لا أستطيع أن أعبر هذا النهر الهائج، فرد عليه الفارس: انظر إليّ كيف أعبر هذا النهر البسيط، وما إن دخل الحصان النهر حتى جرفه التيار مع فارسه، كانت الدوامات تدور بهم وغرق الفارس، أما الحصان فقد تابع السباحة من حيث نزل وعاد إلى جهة الرجل، أمسك الرجل الحصان وركبه وبدأ البحث عن جسر للعبور، ولما وجده عبر إلى الضفة المقابلة ثم اتجه نحو قريته، في طريقه يمر بالقرب من شجيرات كثيفة رأى ثلاثة نسور كبيرة تحوم.

كلمَ الرجل نفسه: سأرى ماذا هناك، ترجل عن الحصان واختفى بين الأشجار، وهناك رأى ثلاث جثث هامدة وبالقرب منها حقيبة من الجلد، تقرب من الجثث وأخذ الحقيبة، ولما فتحها وجدها مليئة بالقطع الذهبية، وعرف أن الجثث كانت لقطاع طرق سرقوا في أثناء الليل أحد المارة ثم جاؤوا إلى هنا؛ ليتقاسموا الغنيمة فيما بينهم، ولكنهم اختلفوا في الأمر وقتلوا بعضهم بعضًا بالمسدسات، أخذ الرجل النقود ووضع على جنبه مسدس وتابع سيره، وفي

المساء وصل إلى بيته وفتح الباب الخارجي، ووصل إلى ساحة الدار وقال في نفسه: سأنظر من النافذة؛ لأرى ماذا تفعل زوجتي.

كانت النافذة مفتوحة والغرفة مضاءة، نظر من الشباك فرأى طاولة وسط الغرفة وقد غطّتها المأكولات وجلس إليها اثنان؛ الزوجة ورجل لم يعرفه كان ظهره للشباك، فارتعد من هول المفاجأة، وقال في نفسه: أيتها الخائنة، لقد أقسمتِ لي بأن لا تتزوجين غيري وتنتظرينني حتى أعود، والآن تعيشين في بيتي وتخونيني مع رجل آخر!

أمسك على قبضة مسدسه وصوب لداخل البيت، ولكنه تذكر نصيحة العجوز الثالثة أن يعد حتى الخمسة والعشرين،

قال الرجل في نفسه: سأعد حتى الخمسة والعشرين وبعد ذلك سأطلق النار، وبدأ بالعد، في هذه الأثناء كان الفتى يتحدث مع الزوجة ويقول: يا والدتي، سأذهب غدًا في هذا العالم الواسع لأبحث عن والدي، يصعب أن أعيش بدونه يا أمي. ثم سأل: كم سنة مرت على ذهابه؟ أجابت الأم: عشرون سنة يا ولدي، عندما سافر أبوك كان عمرك شهرًا واحدًا فقط. ندم الرجل وقال في نفسه: لو لم أعدّ لارتكبت مصيبة وتعذبت عليها أبد الدهر، وصاح من النافذة: يا ولدي، يا زوجتي، خرجا واستقبلا الضيف الذي طال انتظاره.

وختمت جدتي حديثها قائلة: قد تكون القصة حقيقية أو من محض الخيال، لكن المهم هو علينا أن نفكر قبل عمل أي شيء نريده؛ لكي لا نندم في النهاية.

المصدر: من التراث الشعبي العراقي

الحكاية الحادية والأربعون

حكاية الغولة والأخوة

حكت لنا جدتي حادثة لرجل موصلي، كان هذا الرجل يملك ديكًا، ومن كثرة صياحه أزعج المحلة، وبالأخص عندما يقف فوق الجدار المشترك مع منزل جاره، والديك يصيح عدة مرات في اليوم وخاصة في الليل، ينهض الجار من النوم منزعجًا من صياحه. في أحد الأيام ذهب الجار إلى صاحب الديك وطلب منه أن يبعده أو يبعه؛ لأنه ديك مزعج ولا يستطيع النوم من صياحه، اعتذر الرجل صاحب الديك من جاره، وقال له: حق الجار على جاره، غدًا أنتَ مدعوّ عندي على غداء، وسيكون الديك على رأس المائدة.

في اليوم التالي ذهب الجار إلى منزل صاحب الديك وتناول طعام الغداء معه حتى امتلأت معدته، وشرب الشاي وأكل الحلويات، وعاد إلى منزله ليأخذ قيلولة بعد هذا الغداء الدسم، ولم تمضي لحظات من وضع رأسه فوق المخدة حتى سمع صياح الديك، وهذه المرة أصوات متعددة، خرج مسرعًا ليعرف ما سبب الصياح، ولكنه شاهد فوق سياج المنزل عدد كبير من الديوك، طرق باب الرجل صاحب الديك بقوة، وخرج الرجل مسرعًا ليعرف ماذا جرى؟ تفاجأ عندما رأى جاره وسأله هل عندك مشكلة، قال الجار: أرى على السياج واقف سبعون ديك، أجابه صاحب الديك: جاري العزيز ذاك الديك الذي أكلته اليوم كان يشعل أبو أبوهم هذولة السبعين ديك ومسكتهم كلهم.

نعود إلى حكايتنا الأسبوعية....

كان في قديم الزمان عائلة ذات ثمانية أفراد، تتكون هذه العائلة من سبعة أولاد ذكور ووالدتهم الوالدة حامل في الشهر الأخير، اشترط عليها

أولادها أن تنجب لهم ولدًا، وإلا فإنهم سيرحلون بعيدًا إن كان المولود بنتًا، أنجبت الأم بنتًا، فرحل عنها أولادها، بقيت الأم وحيدة مع ابنتها؛ لأن زوجها توفي قبل ثلاثة أشهر من حملها، مرت الأيام وكبرت البنت، وهي لا تعلم أن لديها سبعة إخوة، علمَت بذلك عندما كانت مع صديقاتها في الحي؛ حيث تشاجرت مع إحداهن فسمعت منها كلامًا جارحًا: اذهبي وابحثي عن إخوتك السبعة الذين رحلوا بسببك، سمعت الفتاة هذا الكلام وذهبت إلى البيت مسرعة تنادي أمها: أمي أمي، هل ما سمعتُه الآن صحيح؟ سألت الأم : وماذا سمعتِ؟

أجابت البنت: تقول صديقتي بأن لدي سبعة إخوة رحلوا بسببي. بدأت الأم بالإنكار، ولكن البنت أصرّت على معرفة الحقيقة؛ فاعترفت الأم بأن إخوتها تركوا المدينة؛ لأنها ولدت بنتًا.

قررت الفتاة أن تبحث عن إخوتها، لكن أمها لم تدعها؛ لصغر سنها، ولما كبرت البنت وأصبحت فتاة قوية قررت البحث عن إخوتها السبعة.

استعدت الفتاة للرحيل، هيأت حصانًا وكلبًا ليحرسها، وحضّرت طعامًا يكفيها لمسيرة سبعة أيام وانطلقت، كانت تسأل عن إخوتها في كل مكان، إلى أن وصلت إلى قرية سألت سكانها عنهم؛ فأخبروها بوجود سبعة إخوة يعيشون هنا منذ سنين، فدلوها عليهم.

وصلت الفتاة إليهم وتعرفت على إخوتها، وقصت عليهم قصتها وأخبرتهم بأنها تبحث عنهم؛ ففرحوا بها لما رأوها، تعاطفوا معها ولانت قلوبهم تجاهها وفرحوا بها وعاشت معهم، كانت هذه الفتاة تتلقى معاملة جيدة من طرف إخوتها، أكرموها واهتموا بها كما يجب، وأصبحَت هي السيدة التي تأمر وتجد كل ما تشتهيه وتريده أمامها، أبلغها الإخوة أختهم بأن تتنزه في أي مكان شاءت، وحذروها إلا أن تذهب للجبل؛ فإن هناك غولة خطيرة.

وكان لهم خادمة سوداء، هذه الخادمة غيورة وماكرة، شعرت ذات يوم بأنها مُهانة، وأنهم وجب عليهم أن يقدّروا تعبها، فكرت هذه الخادمة في حيلة تعيد لها كرامتها، كان في تلك القرية عين ماء لا تصلح للشرب؛ لأنها تتسبب في تحول لون البشرة إلى الأسود، ذهبت هذه الخادمة إلى العين وملأت منها الماء وأحضرته إلى البيت، ولما طلبت منها الأخت بعض الماء لكي تشرب أحضرت لها منه، فشربت الأخت وتحولت إلى امرأة سوداء مثل خادمتها.

أما الخادمة الماكرة فبحثت عن عين ماء تسمى بالعين الحرة، التي تجعل الأسود أبيضًا، فشربت منها وأصبحت بيضاء، فذهبت إلى البيت، ارتدت ملابس سيدتها وانتظرت قدوم الإخوة السبعة من عملهم وتظاهرت بأنها أختهم، أما هم فلم يلاحظوا شيئًا مما حصل، وأرسلوا أختهم معتقدين أنها الخادمة إلى البئر لتملأ الماء كالعادة، لكن الأخت لم تستطع أن تقول الحقيقة خوفًا من أن لا يصدقوها؛ فاستسلمت لما حدث لها، وأخذت مكان الخادمة السوداء حيث كانت تعمل في البيت وتملأ الماء من البئر وترعى الإبل، وكانت كلما خرجت للرعي تبدأ بالغناء وتقول: ارتفع يا حجر عاليًا، الخادمة جعلوها سيدة، وأنا جعلوني راعية للإبل، وكانت تردد هذا الكلام كل يوم إلى أن انتبه إليها أحد المقيمين بتلك القرية؛ فاستغرب من كلامها وذهب إلى إخوتها وأخبرهم بما سمعه من خادمتهم، وفي اليوم التالي ذهب الإخوة إلى مكان الرعي وانتظروا مجيئها وبدأوا بمراقبتها والاستماع إلى ما تقوله، بدأت الفتاة تردد كلماتها التي اعتادت قولها؛ فسمعها إخوتها فعرفوها بأنها ليست الخادمة وأنها أختهم؛ فأعادوها إلى البيت، وسألوا كل من يعرف طريقة التخلص من هذا السواد الذي في بشرتها فدلوهم على عين ماء تشرب منها فيخلصها من السواد، جلبوا لها ماء العين شربت منه وعادت إلى ما كانت عليه سابقًا، أما الخادمة فقد أَسرُوها، وقدموها إلى أختهم وطلبوا منها أن تفعل بها ما تشاء،

طلبت الفتاة من إخوتها ذبح الخادمة والتخلص من جسدها، إلا رأسها فقد جعلته مع الحجر الذي يوضع في حفرة النار التي يوقدون عليها النار لتحضير الطعام، بقي هذا الرأس في هذا المكان وكان يذوب شيئًا فشيئًا من تأثير النار عليه إلى أن أصبح صغيرًا جدًا؛ فأخذه القط ليلعب به.

ذات يوم أثار هذا القط إزعاج الأخت بلعبه بالرأس؛ فانتزعته منه فهددها القط قائلًا: أعطيني إياه وإلا تبولت داخل حفرة النار فأطفئها لك، وكانت تخاف من أن يفعلها وترده إليه ساخطة من فعله هذا، وذات يوم انتزعته منه وهددها كعادته، ولكنها هذه المرة اشتد غضبها منه فقالت له: افعلها إذن، ففعلها القط وتبول داخل حفرة النار وأطفأها. احتاجت الفتاة إلى النار لتحضر الطعام لإخوتها فلم تجد وسيلة لإشعالها، خرجت ورأت ضوء النار في الجبل، قررت الذهاب لتأتي ببعض منه ناسية تحذير إخوتها لها، اتجهت الفتاة نحو الجبل. ها هي الغولة تراها من بعيد، تتميز الغولة بذكائها الخارق وعرفت أنها قادمة نحوها، بدأت الغولة بتثبيت مسامير أمام بيتها موجهة القسم المدبب من المسامير إلى الأعلى، ولما وصلت الفتاة إلى بيت الغولة، طرقت الباب ونادت: جدتي، أريد بعض النار، كانت الغولة تتعمد عدم سماعها جيدًا؛ كي تتمكن من الانتهاء مما تفعله، سألتها: ماذا؟ أتريدين غربالًا؟

أجابت الفتاة: لا، أنا أريد بعض النار، وهكذا إلى أن فتحت لها الباب بعد انتهاءها من تثبيت كل المسامير، فدخلت الفتاة فوجدت نفسها تمشي على مسامير وكانت تتألم والدماء تنزف من رجليها، رحبت الغولة بها، ولما عرفت مقصد الفتاة إليها أعطتها ما تحتاجه من جمر وضعتها في طبق، وعادت الفتاة إلى البيت ولم تنتبه لما وقعت فيه؛ فقد جعلت خلفها طريقًا من الدم يدل الغولة على مكانها هي وإخوتها، عرف إخوتها بذهابها هناك أنّبوها وقالوا لها:

ألم نحذركِ من الذهاب إلى هناك؟ الآن ستبحث عنكِ وتأتي وتأكلنا جميعًا، قرر الإخوة أن يتخلصوا من الغولة إذا ما جاءت إليهم حيث صبّوا كمية من البنزين في غرفة الجلوس، وحفروا حفرة من الخلف أسفل الجدار، جاءت الغولة وهي تستدل بآثار الدم عن مكانهم وصلت وهي متظاهرة بالبراءة وحسن النية وتقول: أين أولاد أختي؟ أنا خالتكم،

رحب بها الإخوة وأدخلوها لغرفة الجلوس وأغلقوا الباب واتجهوا خلف الغرفة إلى تلك الحفرة وأشعلوا النار؛ فارتفع لهيبها إلى السماء وماتت الغولة حرقًا وتخلص منها أهل القرية، بعد مرور أيام من هذه الحادثة، بدأت تظهر نباتات برية في مكان الحريق، نباتات يانعة خضراء تجذب كل من ينظر إليها، ولكن الإخوة حذروا أختهم من أن تقطف منها لتحضير الطعام لأنها قد تكون سامة، لكن الفتاة أبهرها منظرها، وقالت في نفسها : كيف لهذه النباتات اليانعة أن تكون سامة، إنها نفسها التي كانت تحضر لي منها والدتي، فأصرت على قطفها وحضرت بها طعاما لإخوتها.

لما جاء الإخوة مساءا من عملهم، تناولوا العشاء وبدأوا يتحولون إلى طيور الواحد تلو الآخر والفتاة تنظر إليهم مندهشة ودون وعي، إلى أن أدركت أخاها الأصغر فمنعته من الأكل، احتارت ماذا تفعل وكيف تسترجع إخوتها ولم تكن تجيد إلا البكاء، لكن أخاها الأصغر ذهب بحثًا عن حل لإخوته إلى أن توصل إلى عين ماء تجعلهم يرجعون إلى طبيعتهم؛ فأخذهم إليها وشربوا منها وعادوا بشرًا كما كانوا، وعادوا إلى أمهم وعاش الجميع بسلام.

المصدر: من التراث الشعبي.

الحكاية الثانية والأربعون

الغولة والبنات

منذ الصباح الباكر نهضت جدتي من نومها مرتبكة وتكلم نفسها؛ لأنها لا تجد من يساعدها في هذا اليوم، فقد اعتادت على تحضير البسطرمة كل عام، إنه بداية فصل الشتاء وأواخر فصل الخريف، تنتظر الحمال قادمًا من عند القصاب؛ فقد اتفقت معه قبل يوم أن يرسل لها كمية من لحم العجل الطازج الذي يفرمه جيدًا باليد أو بماكينة فرم اللحم، وقد حضّرت جدتي كمية من الملح وخليط من البهارات الخاصة للبسطرمة (كزبرة، كمون، فلفل أسود، كبابة، جوزة الطيب، مسمار أسود) مع كمية من الثوم الذي هرسته بالهاون.

وصل الحمال وأنزل اللحم في المطبخ، وضعت جدتي اللحم في الطشت وعجنته مع الثوم والبهارات، وبدأت تحشي اللحم بمصارين العجل أو البقر المتوفرة في سوق العطارين بعد غسلها جيدًا بالماء الحار، وتدعى بـ(الشردانة)، ومرات تحشي اللحم بأكياس نايلون شفافة في حالة عدم توفر المصارين، يكون عرضها بحدود ٥ سم وطولها بحدود ٣٠ سم، بعد ما تنتهي من تعبئتها تقوم إغلاقها، وربطها جيدًا بالخيط لمنع تسرب الهواء إليها، خشية أن تفسد، ثم تعلقها على الحبل، وتعرض في الهواء الطلق لبضعة أيام حتى تجف، وعندئذ تصبح جاهزة للأكل. ولجدتي طقس خاص لتحضير (البسطرمة)، فهي تقدمها في الصباح الباكر مقلية بالطاوة مع البيض (بسطرمة وبيض) وتقدم معها خبز التنور. ومرات في المساء تحضرها مقلية مع الطماطم، كخليط من (البسطرمة) والطماطم، وتصبح لذيذة جدًا.

أما حكايتا لهذه الليلة؛ حدثتنا جدتي:

كان في قديم الزمان رجل حطّاب فقير الحال، مرضت زوجته وماتت وتركت له ثلاث بنات، بقي يعيلهن ويرعاهن، حتى كبرن وكبر هو أيضًا وشاخ وأصبح عاجزًا عن العمل، ولتأمين لقمة الطعام لبناته قرّر أن يبيع البنت الكبرى بخمسمائة دينار، تقدم واشترتها غولة كانت تسكن في الجوار، فدفعت له ثمنها ألف دينار ففرح، وقبض المبلغ وبقي يصرف منه حتى انتهى، فعرض بيع البنت الوسطى؛ فجاءت الغولة واشترتها، ودفعت له ثمنها ألف وخمسمائة دينار، فطار عقله فرحًا وأعطاها البنت، واستمر يصرف منه حتى انتهى، وجاء دور الصغيرة فباعها للغولة بألفي دينار، فأخذتها الغولة إلى بيتها، ولم ترَ أخواتها؛ فسألتها عنهن فلم تجبها الغولة، ونامت عندها إلى الصباح فأيقظتها باكرًا، وطلبت منها أن تنظف البيت وتشطفه وترتبه وتنتظرها حتى تعود، ففعلت البنت بكل جد ونشاط، وجلست تنتظر الغولة في المساء، عادت الغولة ومعها أقسام الباجة (المعدة، الكرشة، والأمعاء الدقيقة)، وسلّمتها إلى البنت وقالت لها: خذي هذه الباجة ونظفيها وأنتِ تضحكين، واحشِيها وأنت تضحكين، واطبخيها وأنت تضحكين، وأكليها وأنت تضحكين، إن نجحت بذلك سلّمتك مفاتيح القصر وأصبحتِ سيدة القصر، وإن فشلت سأعلقكِ في الغرفة السرية بجانب أخواتك، ففعلت البنت كما أمرتها الغولة إلى أن حان وقت الطعام، فتذكّرت أباها وأخواتها، تماسكت نفسها وصبرت حتى تفوز وتنقذ أخواتها. فرحت الغولة منها وسلّمتها مفاتيح غرف القصر جميعهم،

وقالت لها: الآن أنتِ سيدة القصر، وكل ما فيه تحت تصرفك، وبإمكانك أن تفعلي ما تريدين، وتحصلي على ما تريدين، ولكن أحذّرك من أن تفتحي هذه الغرفة فتخربين سعادتك بنفسك.

كانت الغولة تخرج كل يوم من الصباح وتعود وقت المساء، بينما البنت الصغيرة كانت تفتح غرف القصر واحدة بعد أخرى، فترى فيها أشياء غريبة وعجيبة لم تحلم بها في حياتها من أجمل الثياب، وأنفس المفروشات، وأندر الجواهر واللؤلؤ والحلي والألماس وأدوات الزينة، وأشهى المأكولات مما لذّ وطاب؛ فتمتعت ولبست وأكلت وتزينت وعاشت أسعد الأوقات، وبقيت على هذه الحال أيامًا طويلة.

في أحد الأيام تذكرت والدها وأختاها، فحزنت وشعرت بالانقباض والاكتئاب، وتذكّرت أمر الغرفة التي منعتها الغولة من فتحها، فقامت في الحال وفتحتها، فذهلت عندما رأت أختاها معلّقتان في سقف الغرفة، وقد هدّهما الجوع والعطش، ونحل جسمهما وشحب لونهما، فأنزلتهما وأطعمتهما وسقتهما وعالجتهما، حتى صحّتا قليلًا وحكت الأخت الكبرى لها كيف أتت بهما الغولة، وقدمت لهما الباجة واشترطت عليهما مثلما اشترطت عليها، ولكن عندما جلستا لتأكلا تذكرتا والدهما فبكتا، ففعلَت بهن الغولة ما رأت، وعدَتْهُما الصغيرة بأنها ستجد وسيلة لإنقاذهما، وقبل أن يحين وقت عودة الغولة أعادتهما كما كانتا، وجلست تفكر بطريقة للتخلص من الغولة.

جلست تراقب الغولة فرأتها تحمل صينية طعام إلى برج القصر، وتدخل وتغلق الباب لساعة من الزمن، وتعود إلى غرفتها وتنام، أثارت فضول الفتاة لمعرفة ما تفعل الغولة في البرج، فانتظرت بعد أن نام الجميع، أشعلت شمعة وتسللت إلى البرج، فرأت صالة كبيرة مفروشة بأحسن الأثاث، وفي إحدى الزوايا رأت شابًا جميل الطلعة وسيم الملامح، مقيدًا من يديه ورجليه، ومعلقًا على الجدار وكان نائمًا وقد أنهكه التعب، فاستغربت الأمر وأيقظته، وسألته عن قصته؛ فأخبرها أنه ابن ملك أحبّته الغولة وخطفته، وأرادت الزواج منه لكنه رفض فقيّدته وعذّبته، وهي تدخل عليه كل يوم بالطعام وتراوده عن

نفسه وتطلب الزواج منه فيرفض، فتعذبه وتضربه حتى يغمى عليه، وسألها الشاب عن سبب وجودها في قصر الغولة، فأخبرته بحكايتها وحكاية أخواتها، واتفقا على التعاون والخلاص من الغولة، فأخبرها أن روح الغولة موجودة في عصفور، وضعته في قفص في غرفة نومها، وعليها أن تتسلّل إلى غرفتها في غيابها، وتجلب العصفور المطلوب، وتبدله بعصفور آخر وتترك له الباقي، ثم عادت الفتاة بهدوء ونامت في غرفتها.

في اليوم التالي خرجت الغولة إلى عملها، فأمسكت الفتاة بعصفور، ودخلت غرفة الغولة فأخذت العصفور من القفص، ووضعت الآخر مكانه، وحملته إلى الأمير ففرح به، وفكّت قيوده وجلسا معًا يتسامران إلى أن اقترب موعد عودة الغولة، عاد الأمير مكانه ولفّ الحبل حول يديه ورجليه، وأخفى العصفور بيده، وعادت الفتاة إلى غرفتها وكأن شيئًا لم يحدث.

بعد الغداء حملت الغولة صينية الطعام إلى البرج ودخلت على الأمير، فأطعمته وسألته أن يتزوجها فرفض، فغضبت منه وقالت له: إنها صبرت عليه كثيرًا وأن صبرها نفد، فإن لم يوافق فستقتله وتتخلص منه، ورفعت قضيبًا لتضربه وتعذبه، ففك قيوده وضربها ضربة قوية أوقعتها على الأرض، وأمسك العصفور بيده، وضغط عليه فتألمت الغولة وأحست بالاختناق، ورجَته أن يبقي على حياتها وله كل ما يطلب ويريد، وكانت الفتاة تراقب ما يحدث فدخلت وصرخت بالأمير أن يتخلص منها ولا يصدق وعودها، فضغط بقوة على العصفور فخرجت روح الغولة وماتت في الحال. فرح الجميع بخلاصهم، وحررت الفتاة أخواتها وهنأتهم بالسلامة، وحمل الجميع ما غلا ثمنه وخفّ حمله من القصر، وعادوا إلى ديارهم، وأقاموا الاحتفالات والأعراس وتزوج الأمير من الفتاة، وله أخوان تزوج كل منهما فتاة، وعاشوا جميعًا بالهناء وسلام مع والدهن.

الحكاية الثالثة والأربعون

ست الحسن وعلاء الدين

حدثتنا جدتي نقلًا عن جارنا أبي شاكر الذي تزوج مرتان، أنه يبيت في منزل أخيه ولا يفضل الرجوع للمنزل بعد ما اشتد الخلاف بين الزوجتان، وأنه ينطبق المثل القائل عليه (أم حسين جنَّتي بوحَّدَه صرتي باثنين). سألنا جدتي عن قصة المثل قالت: في أحد الأيام صادف أحد الرجال الفقراء المتعففين وهو في طريق عودته إلى المنزل، طفل ملفوف بقطعة قماش موضوع على حافة الطريق، والطفل يصرخ ويبكي، تحنن قلبه وحمله وأخذه إلى زوجته، كانت هذه الزوجة المسيطرة في البيت وزوجها يخاف منها وبيدها الحل والربط، وعندما أعلمها بأنه عثر على طفل لقيط في الشارع، جن جنونها وصرخت وطلبت منه أن يعيد الطفل إلى مكانه، وإلا ستترك المنزل وتهجره، توكّل الرجل على الله وحمل الطفل وخرج من منزله؛ لكي يعيده إلى مكانه، وفي الطريق مر الرجل من أمام حمام نسوان، فكر قليلًا وتوقف ينظر إلى بناية الحمام، جاءته فكرة، طرق باب الحمام عدة مرات حتى خرجت صاحبة الحمام، قال لها: خذي هذا الطفل وأعطيه إلى أمه؛ لأنه وقت رضاعته، وأنا سوف أنتظر عند الباب، أخذت صاحبة الحمام الطفل منه، وسألته ما اسم أم الطفل؟ قال لها: اسمها أم حسين، دخلت صاحبة الحمام للداخل، وسألت النساء: من هي أم حسين؟ أجابت إحدى النساء وهي في العقد السادس: أنا أم حسين، قالت لها صاحبة الحمام: خذي ابنك أرضعيه وأبوه ينتظره خارجًا أمام باب الحمام، أجابت أم حسين بعصبية وانفعال: زوجي مات من عشر سنوات، وعمري ستون سنة، ولا أعرف هذا الطفل، ولا عندي طفل، خرجت صاحبة الحمام وأم حسين

يبحثون على الرجل، لم يجدا الرجل لأنه هرب. أخذت أم حسين الطفل وهي محتارة أين ستأخذه؟ وماذا تقول للذين يعرفونها، وأخيرًا قررت الذهاب إلى أحد المساجد وتركه عند الباب وتهرب، ربما يجده أحد المصلين ويأخذه. في ساعة متأخرة من الليل خرجت أم حسين متوجهة نحو المسجد القريب لمنزلها، وصلت بناية المسجد، وعند وضعها الطفل فوق عتبة الباب، بدأ الطفل يبكي ويصرخ، سمعها خادم المسجد الذي كان قريبًا من الباب، بدأ يصرخ وأمسك أم حسين وقال لها: ألا تخجلين يا امرأة، كل يوم تتركين طفل عند باب المسجد، نادى على ابنه وقال له :(امشي بسرعة جيب الطفل اللكيناه البارحة)، دخل مسرعًا وجلب الطفل الثاني وأعطاه لأم حسين، وهددوها وطردوها من باب المسجد، رجعت أم حسين محتارة مهمومة وهي تردد: أم حسين جنتي بواحد صرتي بثنيين.

نعود لحكايتنا اليومية...

كان يا مكان في قديم الزمان، كان فلاح مع زوجته يعيشان سعيدان بدون أولاد أي (لا صبيان ولا بنات)، وفي يوم من الأيام سمعت زوجة الفلاّح منادي ينادي: (تفاح الجبل للحبل، تفاح الجبل للحبل). طارعقلها من الفرحة وحنّت للأولاد، خرجت مسرعة من منزلها ونادت على المنادي واشترت من البائع تفاحة جميلة خد أحمر وخد أصفر، ودفعت ثمنها مما جمعته في حياتها من المال، وضعت التفاحة في الشباك حتى يعود زوجها من البستان، لتأكل التفاحة معه مساءً قبل أن ينام.

جاء الزوج تعبًا وجائعًا فوضع عدّة الفلاحة في الإسطبل ودخل إلى البيت، رأى التفاحة فأعجبته واشتهاها وظن أن زوجته احتفظت له بها، فأكلها بلقمتين ووجد طعمها لذيذًا لم يذق مثله في حياته وجلس يحمد الله، في المساء بحثت المرأة عن التفاحة فلم تجدها، فسألت زوجها عنها فأخبرها أنه

أكلها وشكرها عليها، فصاحت وناحت وقالت له: إنها تفاحة الجبل للحَبَل، وقد أكلتها لوحدك يا ويلي، ماذا سيحدث معك؟ فضحك على عقلها وقال: عقلك صغير حتى تصدقي هذه الأمور.

مضت الأيام والشهور وقد نسيا موضوع التفاحة، لكن الرجل بدأ يشعر أن رجله تكبر، وأخذت تؤلمه؛ فذهب إلى الطبيب، فتعجب من أمره وقال له: الغريب أن رجلك حامل وفيها ولد، وهذا لم يحدث من قبل. خاف الرجل وفزع من هذا الأمر، واستحى أن يقول لزوجته الحقيقة، فلمّ أغراضه بحجّة أنه مسافر سفرة بعيدة، وذهب وسكن في الغابة وحده حتى جاءه المخاض تحت شجرة كبيرة، وكان على الشجرة طاووس وقاق (طائر أسود الرأس والجناحين)، فساعداه حتى خرجت من رجله بنت حلوة مثل القمر، لفّها في بعض الملابس ووضعها على غصن شجرة، وعاد إلى بيته، وكأن شيئًا لم يحدث.

تقاتل الطاووس والقاق على الطفلة حتى تغلّبت القاق عليه، وأخذت الطفلة إلى عشها فأطعمتها، ورعتها، وسمتها ست الحسن حتى كبرت الصبية، وصارت سبحان الذي خلقها، وكانت تلعب مع الغزلان في البرية وتأكل من ثمار الغابة. في يوم من الأيام خرج الأمير علاء الدين للصيد والقنص، فرأى الصبية سارحة مع الغزلان، فقال لرفاقه كل الصيد لكم إلا هذا الصيد لي، ولاحق الصبية حتى صادها بالشبكة، فتعجب من حسنها وجمالها كأنها البدر التمام، فأخذها إلى البيت وألبسها أحسن لباس وفرش لها أحسن غرفة في القصر، وأوصى أمه وبنت خاله التي تسكن معهم في القصر الاعتناء بها، لكنهما كانا بغياب علاء الدين يعاملاها معاملة الخادمة ويقسوان عليها.

أما علاء الدين فقد عشق الصبية ولم يعد يصبر عليها، فقال لأمه أنه يريد أن يتزوجها، فحاولت أمه منعه من الزواج منها، ولكنه أصرّ على الزواج منها وعمل فرحًا كبيرًا وتزوجها، فوجدها مليحة وبنت ناس وصاحبة نخوة

وناموس، وصارت ترعى البيت وتنظفه وتكنسه، وتطبخ الطعام وعاشا حياة سعيدة وفي أحسن حال.

بعد فترة من الزمن أراد علاء الدين أن يسافر في رحلة تجارة بعيدة، فأوصى أمه وبنت خاله أن يعتنيا بزوجته في غيابه، لكنهما بعد أن سافر علاء جعلتا الصبية تخلع ملابسها، وألبستاها ثيابًا عتيقة وسخة، وضربتاها حتى وَرِم جسمها، وأعطياها كسرة خبز يابسة وطرداها من البيت، وهدّداها إن عادت سيقتلانها.

بعد رحيل الصبية ألبست الأم ثياب ست الحسن لبنت أخيها، وزينتها حتى صارت مثل زوجة علاء الدين، وعملَت قبرًا على أنه قبر بنت خاله، ولما عاد أخبرته أن بنت خالك ماتت، فحزن عليها حزنًا شديدًا، ورأى بنت خاله التي تنكرت على أنها زوجته حالتها متغيّرة، فسأل أمه عن هذا الأمر فقالت له: حالها تغيّر من الحزن على بنت خالك ومن غيابكَ عنها.أما الصبية ست الحسن فقد مشت في البرية، حتى وصلت إلى شجرة كبيرة جلست تحتها تستريح من التعب والمشي، نعسَت ست الحسن ونامت، مرّت القاق ورأتها على هذه الحال تذكرتها فأخذتها إلى البيت، واعتنت بها وعرفت قصتها فطيّبت خاطرها وقالت لها: اصبري سيأتيك الفرج إن شاء الله، وتأخذين بثأرك من أعدائك.

في الصباح شيّد القاق قصرًا أحسن من قصر علاء الدين، وفيه حديقة وبستان فيها من كل الفواكه والثماروما لذّ وطاب، وعيّنت لها حراسًا وحاشية وخدّامًا فعاشت في القصر كالأميرات.

في يوم من الأيام مرّت بنت خال علاء الدين المتنكرة زوجته المزيفة من قرب سور القصر، فشاهدت العنب في البستان، فعادت إلى علاء الدين، وطلبت منه أن يجلب لها عنقودًا من العنب؛ لأنها تتوحم، أرسل الخادم إلى القصر، وطرق الباب فأطلّت عليه صاحبة القصر ست الحسن من الشرفة

وسألته: ماذا يريد؟ فقال لها: يا سيدتي أريد عنقود عنب لزوجة الأمير علاء الدين؛ لأنها تتوحم، فردت عليه: (أمي اشتهت التفاحة وأبي أكلها وحبل فيّ، والطاووس والقاق تقاتلوا عليّ، حملت بنت خال الأمير وحامها عليّ، روح يا مقص قص لسانه حتى لا يفسد عليّ). فقصّ المقص لسانه، وعاد الخادم (يلغلغ) في الكلام فلم يفهم عليه سيّده شيئًا، وتعجّب علاء الدين مما حصل للخادم، فأرسل الثاني فعاد يلغلغ مثل الأول، فغضب علاء الدين وصمّم أن يعرف حقيقة الأمر، فذهب إلى القصر ودقّ الباب، فعرفته ست الحسن، أرسلت له الخادم ليسأله ما يريد، فقال للخادم: لقد أرسلت خادمي ليطلبا عنقودًا من العنب، فعادا ولسانهما مقطوع، فقصّ عليه الخادم القصة وكيف طلبا، وماذا ردّت عليهما ست الحسن، وكيف أن المقص قطع لسانهما، ولما سمع علاء الدين القصة شكّ بالأمر وأن سرًا خطيرًا وراءه، فطلب مقابلة صاحبة القصر، فأمرت الخادم أن يدخله فرآها مثل الأميرات جالسة على عرش من الذهب سبحان الذي خلقها، فعرفها وعرفته وسألها عن قصتها، فحكت له ما جرى معها منذ أن تركها وسافر وحتى الآن وما فعلت بها أمه وبنت خاله، غضب من أمه وبنت خاله لأنهما خدعتاه، وصمم أن ينتقم منهما، فطلبت منه ست الحسن أن يحضرهما إلى القصر، فذهب الخادم ودعاهما إلى القصر، ولما دخلا إلى الحديقة هفّت نفسهما على الفواكه الشهية، فأكلا منها بنهم، وأمرت سيدة القصر الخادم أن يطلق الكلاب الجائعة عليهما، فهجمت عليهما ونهشت لحمهما ولم يبق منهما إلاّ العظام، وأمر علاء الدين الخدم أن يجمعوا العظام ويدفنوها، وبينما كانت ست الحسن تمشي في الحديقة داست على عظمة منها، فصدر عن العظمة صوتًا (زيق) فقالت: ست الحسن زيق زقّك، حزن دقّك، أنتِ متّي وأنا استوفيت. وعاشا في لذّة ونعيم وطيب وكنا عندكم وجئنا. المصدر: التراث الشعبي.

الحكاية الرابعة وأربعين

قصه القاضي والثلاثة أخوة

حدثتنا جدتي عن صديقتها أم فلاح عندما سافرت إلى لندن لزيارة ابنها، وقبل الحديث عن قصتها مع ابنها، مدحتها لفراستها وهدوءها؛ فهي تعرف أخلاق وطبائع الناس من النظر إلى أحوالهم الظاهرة كالألوان والأشكال.

وصلت أم فلاح لندن، واستقبلها ابنها بالمطار واتجها نحو شقته، وكانت مفاجئة لها عندما عرفها على زميلته (جيجي) في الدراسة تسكن معه في الشقة، ولاحظت الأم أن جيجي تشاركه في كل شيء وهي جميلة وجذابة وفاتنة، توقعت وعرفت أم فلاح أن بين ابنها فلاح وجيجي علاقتهم أكثر من زمالة. قرأ فلاح حركات شفاه أمه وانفعالاتها، وتصرف بسرعة قائلًا لها: أنا أعرف أنتِ تفكرين بموضوع البنت التي معي بالشقة، اطمئني وأحلف برأس المرحوم بابا، نحن مجرد زمالة ومتشاركين بالشقة؛ لأن الإيجار غالي، ولا يوجد بيننا زائد ناقص، بعد أسبوعين عادت أم فلاح إلى الوطن حزينة مقهورة على تصرف ابنها، في أحد الأيام سألت جيجي فلاح: من يوم سفر أمك وأنا فاقدة كوب الشاي الذي تعودت الشرب به، تعتقد أمك أخذته معها؟

أجاب فلاح: أشك، ربما أعجبها وأخذته معها، لكن سأتصل معها وأتأكد.

اتصل فلاح مع أمه وبعد السلام والسؤال عن صحتها سألها: أمي الحبيبة أنا ما أقول إنك (أخذتي) كوب الشاي ولا أقول إنك (ما أخذتيه) لكن الحقيقة إن كوب الشاي ضاع من أول يوم رجعتِ للوطن.

أجابت بهدوء: عزيزي فلاح، أنا ما أقول إنك (تنام) مع جيجي، ولا أقول إنك (ما تنام) معها، لكن الحقيقة تقول لو أن جيجي تنام بفراشها الخاص كان وجدت كوب شاي تحت مخدتها.

تلعثم فلاح بالكلام وقال لها: الله على أم فلاح، أم عراقية.

نعود لحكايتنا اليومية...

كان يا ما كان، كان في قبيلة من العرب رجل حكيم وعنده ثلاثة أولاد، الأول اسمه عبد الله والثاني عبد الله، والثالث عبد الله، وفى يوم من الأيام مرض الأب الحكيم وقبل موته أعطى وصية لابنه عبد الله الأكبر سنًا، وبعد وفاته فتح الإخوة الثلاثة الوصية فوجدوا: عبد الله يورث، عبد الله لا يورث، عبد الله يورث.

فاحتاروا الإخوة في هذا الأمر، فمن فيهم الذي يورث ومن فيهم الذي لا يورث؟!

أخبروا أهل القرية بشأنهم مع الوصية فقالوا لهم: يوجد قاضي يتميز بالذكاء وبالحكمة في قرية بجوارهم، اتفق الأخوة على الذهاب إلى القاضي، وهُم في طريقهم إلى القاضي قابلهم أعرابي فقال لهم: ألم تشاهدوا جَملًا مر عليكم؟

فقال الأول: هل هذا الجمل أعور (أي يرى بعين واحدة)؟ قال نعم إنه أعور، وقال الثاني: هل الجمل أعرج (أي يمشي على ثلاثة أرجل فقط والأخرى يجرها)؟ قال: نعم إنه كذلك، وقال الثالث هل الجمل أقطب (أي بدون ذيل)؟ قال: نعم إنه كذلك، سأل الأعرابي أنتم رأيتموه؟ أجابوا: لا والله لم نره.

اتهمهم وقال: أنتم لصوص ولن تغادروا البلدة حتى تقولوا أين ذهبتم به، والآن آخذكم إلى القاضي؛ لكي يحكم بيني وبينكم، فقالوا ونحن موافقون، فنحن ذاهبون إلى القاضي لمشكلة ما.

عندما دخلوا إلى القاضي الإخوة الثلاثة والأعرابي، قال القاضي استريحوا حتى نأتي لكم بالغداء، فجلسوا في غرفة استراحة، وأمر القاضي واحدًا من الخدم بالذهاب إلى السوق حتى يأتي لهم بالطعام، وأمر خادمًا ثانيًا أيضًا بالتجسس على الإخوة لثلاثة حتى يعرف ما قصتهم.

بعد ما انتهى الإخوة من الغداء، قال الأول: هل تعلموا أن من قام بإعداد الخبز امرأة حامل؟ وقال الثاني: هل تعلموا أن اللحم الذي أكلتموه لحم كلب؟ وقال الثالث: هل تعلموا أن القاضي ابن حرام (أي أمه زانية في حمله)؟

تنصت عليهم الخادم وعرف ماذا يقولون، وتوجه على الفور إلى القاضي ليخبره ما جرى، عندما ذهب إلى القاضي قال له: سيدي، الأول يقول إن من قام بإعداد الخبز امرأة حامل، والثاني يقول إن اللحم لحم كلب، ثم سكت الخادم وهو متوتر، قال القاضي: وماذا قال الثالث؟ قال لا شيء سيدي، قال له: سأقوم بسجنك إذا لم تتحدث، قال: سيدي إنه يقول إنك ابن حرام.

قال: أدخلوهم إلى الديوان مع الأعرابي، سأل القاضي ما قصتكم مع جمل الأعرابي، حكى الأخ الكبير كيف الْتقوا مع الإعرابي؟ وكيف عرفوا مواصفات الجمل؟ واتهمهم الأعرابي بسرقته وهم أبرياء من سرقة الجمل.

سأل القاضي الأول: كيف عرفت أن الجمل أعور؟

أجاب: سيدي القاضي رأيت المكان الذي كان يأكل فيه الجمل؛ فوجدتُ أن الجمل أكل طعامه من جهة وأخرى لا؛ فاستنتجت أنه كان أعورًا، سأل القاضي الثاني: كيف عرفت أنه أعرج؟ أجاب: سيدي، رأيتُ مكان أرجل الجمل فلم أرى غير ثلاثة أرجل على الأرض فاستنتجت أنه كان أعرج.

سأل القاضي الثالث: كيف عرفتَ أنه أقطب؟ أجاب: سيدي الجمل الحيوان الوحيد الذي عندما يتبرز يهز ذيله؛ فيكون برازه في كل مكان حوله ولكن هذا الجمل كان يتبرز في مكان واحد، فعرفت أنه أقطب. قال القاضي

وأنا أصدّقكم، اذهب يا أعرابي ابحث عن الجمل بعيدًا عن هنا، ثم قال القاضي: الآن أريد أن أعرف منكم قصه الطعام.

سأل الأول: ما أدراك أن من قام بإعداد الخبز امرأة حامل، قال: سيدي الخبز يكون مستوي من الجنب، ولكن هذا الخبز سميك من جهة ونحيف من جهة، إذا كان يوجد عائق للخباز حتى لا يستطيع الوصول للطرف البعيد عنه فهو أكيد بطن امرأة حامل، قال القاضي: نعم معك حق، سأل الثاني: ما أدراك أن اللحم لحم كلب، أجاب: سيدي لحم المواشي الأبقار والأغنام والماعز والجاموس يكون ترتيب اللحم كالتالي، عظام فوقها لحوم فوقها دهون، ولكن هذا اللحم الذي أكلناه كان كالتالي عظام فوقها دهون فوقها لحوم وهذا ترتيب لحم الكلب، قال: نعم عندك حق، سأل القاضي الثالث: وأنتَ ما أدراك أني ابن حرام، قال: لأنك قمتَ بإرسال جاسوس علينا ونحن في بيتك، ولا يرسل جاسوسًا على ضيوفه غير ابن الحرام.

قال القاضي: هل تعلم أن لا يعرف ابن الحرام غير ابن الحرام مثله، قال: نعم هذه مقولة عندنا.

قال القاضي: فأنت عرفتني أني ابن حرام فأنت ابن حرام (إذًا أنت عبد الله الذي لا يرث).

الحكاية الخامسة والأربعون

صانع المعروف

تقول جدتي أن في أحد الأيام خرج جارنا أبو البنات إلى البرية يمشي بين بساتين وأدغال، وكان سعيدًا جدًا حيث الطبيعة الجميلة والخلابة التي تحيطها الأشجار العالية، وكان جارنا يسير مستمتعا بمنظر الأغصان وهي تحجب عنه أشعة الشمس من شدة كثافتها، ويستمع إلى زقزقة العصافير، ويستنشق عبير الزهور التي تفوح منها أزكى وأطيب الروائح الطيبة، بينما هو يمشي مستمتعًا بكل تلك الطبيعة الرائعة سمع صوت عدوّ سريع وكان الصوت يقرب منه، فالْتفَتَ جارنا إلى الخلف، يرى أسدًا ضخمًا ينطلق بسرعة خيالية نحوه، ومن شدة جوع الأسد كان خصرُه ضامرًا بشكل واضح وجليّ، فأخذ جارنا يجري مسرعًا حتى رأى بئرًا قديمة قفز بداخلها قفزة قوية، فإذا هو في داخل البئر ممسكًا الحبل الذي يسحب به دلو الماء، بدأ يتأرجح داخل البئر حتى هدأ الوضع وسكن زئير الأسد، انتبه وهو يسمع صوت قادم من أسفل البئر، عرف أنه فحيح أفعى، نظر لأسفل البئر يشاهد أفعى ضخم الرأس وطويل جدًا يرقد بجوف البئر، وبينما هو يفكر بطريقة يتخلص من الأسد والثعبان إذا بفأرين يصعدان إلى أعلى الحبل المتعلق به وبدءا يقرضان الحبل بسرعة عجيبة، فهلع جارنا وخاف خوفًا شديدًا من انقطاع الحبل وسقوطه في فم الأفعى الضخم، فأخذ يهز الحبل بيديه بهدف أن يخاف الفأران ويذهبا بعيدًا، ومن شدة الاهتزاز أصبح جارنا يتأرجح يمينًا ويسارًا في البئر حتى ارتطم جسده بشيء رطب ولزج ضرب بمرفقه؛ فإذا هو عسل نحل، والنحل تبني خلاياها في الجبال وعلى الأشجار، وكذلك بالكهوف والآبار، فقام جارنا بالتذوق منه وكرر

ذلك، ومن شدة حلاوة العسل نسي جارنا الموقف الذي هو فيه تمامًا، وفجأة استيقظ جارنا من النوم فقد كان حلمًا مزعجًا!

وفي اليوم التالي قرر جارنا أن يذهب إلى أحد شيوخ تفسير الأحلام؛ حتى يفسر له حلمه، وبالفعل ذهب جارنا إلى شيخ فاهم ذو خبرة بالتفسير الصحيح، وعندما أخبره بالحلم ضحك الشيخ كثيرًا، وسأله: ألم تعرف تفسيره؟ أجاب جارنا: لا والله لم أعرف. قال له الشيخ: إنما الأسد الذي يجري ورائك فهو ملك الموت، والبئر الذي به الثعبان هو قبرك، والحبل الذي تتعلق به هو عمرك، والفأرين الأسود والأبيض الذين يقرضان الحبل هما الليل والنهار ينقصان من عمرك. قال جارنا: والعسل يا شيخ؟ قال الشيخ: هو الدنيا من حلاوتها أنستك أن أمامك موت وحساب.

نعود لحكايتنا اليومية....

تقول جدتي: كان يا ما كان في قديم الزمان، رجلًا يدعى معروف، فلاح يعيش على شاطئ إحدى البحيرات في مزرعته الصغيرة، كان عمله الذي أخذه عن والده الاعتناء بالأرض من حرث الأرض وزراعتها وريها.

يعتبر هذا العمل خدمة لعائلته التي أعطته الكثير ولا يبخل عليها بأي شيء. كان معروف بجلوسه مقابل البحيرة يتسلى بمظهر البحيرة التي تعيش فيها مجموعة مختلفة من طيور الأوز والبط، وكانت أشكالها رائعة جميلة وبالأخص عند سباحتها في البحيرة، مما تعوّد أن يراها يوميًا، حيث كانت هذه هي تسليته الوحيدة. معروف لا يعرف الكسل، فهو بعد الفجر مباشرة يستيقظ نشطًا متفائلًا، ولما كان عمله بدنيا فقد ازدادت صحته قوة وصلابة، وأصبح يضاعف العمل في مزرعته، فعرف أن زيادة الإنتاج دائمًا تأتي بالعزيمة والإيمان.

ذات يوم وهو في مزرعته أثناء قيامه بحرث الأرض وزراعتها، إذا بصوت خافت يأتي من خلفه، فاستدار ليرى ما سبب هذا الصوت، فإذا هو ثعبان ضخم البنية، فتخوف معروف وأراد الهرب، لكن الثعبان قال له:

قِف أيها الفلاح واسمع حديثي؛ لعلك تشفق عليّ، وإن لم تقتنع، اتركني ومصيري.

فصعد الفلاح على ربوة وبسرعة حتى جعل مسافة بينه وبين الثعبان من بعيد، قال الثعبان:

إنني لم أضر أحدًا في هذه القرية وقد عشتُ فيها فترة طويلة، وانظر حيث ستجد أبنائي خلف الشجرة ينتظرون قدومي بفارغ الصبر، وانظر إلى ذلك الراعي يريد أن يقضي عليّ بفأسه؛ فخبئني حتى يذهب، وسوف لا تندم على عملك، فنزل معروف وخبأه في مكان لا يراه ذلك الراعي الذي ظل يبحث عنه هنا وهناك ولم يجده، بعدما غاب الراعي عن الأنظار وكأنه لم يجد فائدة من البحث عن الثعبان، ولما أحسّ الثعبان بالأمان والاطمئنان، أخذ يلتفّ على معروف الذي أمّنه على نفسه، وجد معروف نفسه في ورطة كبيرة، فالثعبان السّام يلتف حول عنقه، وحتى الصراخ لو فكر فيه لن يفيده؛ فالمكان لا يوجد فيه أحد وخاصة أن خيوط الليل بدأت تظهر في السماء، وأهالي القرية بعيدون عن كوخه ومزرعته تعوّدوا أن يناموا مبكرين، ومن يغيثه من هذا الثعبان الذي يضغط على رقبته ويقضي عليه؟ وهل ممكن لشخص ما أن يقترب؟ المنظر رهيب جدًا، وهل يصدق أحد أن إنسانًا ما يسمع كلام الثعبان مثل معروف ويؤمنه ويقربه إليه؟ وهنا قال معروف للثعبان:

أمهلني حتى أصلّي ثم أعود إليك، وافق الثعبان وتركه حتى يصلي، توضأ معروف وصلى ركعتين وطلب من الله سبحانه وتعالى أن يخلصه من هذا الثعبان المخيف الرهيب بضخامته وسمومه القاتلة، وبينما هو يدعو إذ

بشجرة نبتت وارتفعت أغصانها وصارت لها فروع، فتدلى غصن، تحبب الثعابين أكله، فاقترب الغصن إلى فم الثعبان، فأخذ الثعبان يلتهم الغصن وبعد دقائق انهار الثعبان وفقد قوته، وكانت تلك الشجرة عبارة عن سم، فقتل ذلك الثعبان الذي لم يُوفِ بعهده مع من حماه، وفجأة اختفت الشجرة المسمومة، وعلم معروف أن الله قريب من الإنسان، وأنه لابد أن يعمل المعروف مع كل الناس، ومع من يطلب منه ذلك.

المصدر التراث الشعبي

الحكاية السادسة والأربعين

البنت والغول

حدثتنا جدتي أن جارنا أبو البنات مشهور بالبخل، وفي أحد الأيام تقول جدتي: أنها حكت له هذه الحكاية ربما يتعلم منها ويأخذها درسًا له: تقول إن رجلًا مشهور ومعروف بالبخل، وفي أحد الأيام دعا صديقًا له لتناول الغذاء معه في المنزل، حضر الضيف ووضع أمامه طبقًا من البرغل مع بعض قطع البصل، قال البخيل: تفضل عمي بسم الله، بدأ الاثنان بتناول البرغل مع البصل، وبعد دقيقة دخل عليهما الابن الكبير للبخيل يسأل أبوه: (بابا بابا...أجيب الدجاجة)! أجابه الأب: لا يا ابني لا الضيف خلص نص الماعون. وبعد دقائق دخل الابن مرة ثانية: بابا بابا...أجيب الدجاجة؟ أجابه الأب: لا بابا لا.... بعد وكت (وقت). تعجب الضيف، المهم الضيف خلص الأكل وشبع من البرغل.

دخل الابن للمرة الثالثة يسأل والده: بابا بابا أجيب الدجاجة؟ أجاب الأب بثقة وغرور: أي بابا جيبها، فما كان من الابن يصيح: (كش كش ودخلت الدجاجة حية تأكل البرغل اللي وگع على الگاع).

نعود لحكايتنا اليومية: يُحكى أنّ فتاةً اسمها جميلة كانت تعيش مع جدّيها بعد وفاة والديها. وكانت جدّتها تحبّها كثيرًا ولا تسمح لها باللّعب مع الفتيات حتى لا يصيبها مكروه، كانت جميلة فتاة باهرة الجمال كأنها القمر المكتمل في السماء، وعيناها خضراوان بلون أعشاب البحر، وشعرها أصفر كأنه خيوط الذهب، وعندما كبرت خطبها ابن عمها جميل. كان في القرية التي تعيش فيها جميلة ستّ فتيات، غير جميلات مثلها، ويكرهنها، كانت الغيرة تأكل

قلوبهن، وكُن يحسدنها لأنّها على وشك الزواج، ولم يتقدّم أحد لخطبتهن. في أحد الأيام ذهبت الفتيات الحسودات إلى جدّة جميلة ورجونها أن تسمح لها بالخروج معهنّ لجمع الحطب، فسمحت لها وخرجن للغابة وجمعن الحطب.

في طريق العودة توقّفن عند نخلةٍ تحمل بلحًا، بعضه أحمر وبعضه أخضر، لا يصلح للأكل، وتمنّت الفتيات الحسودات أن يجمعن شيئًا منه، لكنّهن لم يستطعن، فتسلقت جميلة النخلة وألقَت بالبلح والرُّطَب إلى صديقاتها، فملأن سلالهن من التّمر الجيد، وعندما نزلت جميلة من أعلى الشجرة وجدَت فقط البلح الأخضر الذي لا يُؤكَل تركته الحسودات لها، انزعجت كثيرًا فلم تقدر أن ترد عليهم وعليه ملأت سلّتها منه.

في الطريق وصلن إلى بئر، قالت أحدهن إنّ رميَ الحُلي في هذه البئر يجلب الحظ الحَسن، وتظاهرن الحسودات بإلقاء حليهن داخل البئر، ورمين أحجارًا بدل الحلي. أمّا جميلة فألقت عقدها وقرطها وخلخالها.

في طريق العودة أكلن بعض التّمر، أمّا جميلة فلم تأكل لأنّ بلحها لا يؤكل. ثم أخرجن حليهن وتزينّ بها. فعرفَت جميلة أنّهن خدعنها، فطلبن منها العودة إلى البئر لإخراج حليها منها، وكان الوقت مساء، وهُنّ يعرفن أن غولًا شريرًا يذهب إلى البئر في اللّيل ولا يرحم من يجده عند البئر.

جاء الغول فوجد جميلة قرب البئر تحاول إخراج الحلي، فرجته ألا يأكلها، وأخبرته أنّها تريد حليّها، فوعدها بإعادتها إليها إذا وافقت على الذهاب معه غدًا في رحلةٍ على حصانه الأسود. وافقت شرب الغول ماء البئر وأخرج الحلي وسلّمها لها، وأعطاها جريدة نخل لتضعها على باب بيتها ليعرفها.

في اليوم التالي حضر الغول وخرجت جميلة معه على حصانه، والغول على شكل أمير، وكان جدّاها نائمان. بعد عدة ساعات جاء خطيبها جميل ليبدأ بتحضير عرسهما وبحثَ عن جميلة فلم يجدها في كل مكان داخل القرية،

وأمضى سنةً يبحث عنها، وأخيرًا أخبرته سيدةٌ عجوز أنّها رأت مع الغول فتاةً ذو وجه جميل، فعرف جميل أنّها جميلة، ورجا العجوز أن تساعده لينقذها.

أخبرته العجوز أنّ الغول يستيقظ شهرًا وينام شهرًا، وموعد نومه بعد ثلاثة أيّامٍ. وقالت إنّ جميلة الآن نائمة نومًا مسحورًا، وقد طال شعرها وأظفارها، فعليه أن يقصّ شعرها ويقلّم أظفارها، وعندها يزول عنها السّحر. كما أخبرته أنّ للغول كلبًا عليه أن يقتله، فالغول إذا نام لا يستيقظ، ولكن كلبه قد يطارده، وقالت: ولكن لأنّك تحبّ جميلة، وجميلة طيّبة القلب، فسأعطيك ثلاثة أشياء: قطعةً صغيرةً من الحجر ووعاءً صغيرًا فيه ماء وقطعة من الخشب. فإذا تبعك الغول فاقذف قطعة الخشب بينك وبينه، ثم قطعة الحجر، ثم آنية الماء، واهرب منه بأسرع ما تستطيع. فشكرها جميل.

بعد ثلاثة أيامٍ ركب جميل حصانه قاصدًا بيت الغول، وكان نائمًا، وكذلك جميلة، فقصّ شعرها وقلّم أظفارها، وفتحت عينيها، وصاحت فرحةً: جميل. أخيرًا جئت لتنقذني. ونَسِيَ أن يقتل الكلب، فلمّا أركب جميلة فوق حصانه وشعر بهما الكلب، عضّ الغول وأيقظه من نومه، وتبعهما الغول والكلب.

رأت جميلة من بعيد شيئًا أسود ولكنّه يقترب بسرعةٍ، وبعد قليلٍ عرفت أنّه الغول وكلبه يجري بجواره، فرمت قطعة الخشب فتحوّلت إلى غابةٍ كثيفةٍ. وتقدّم الغول وصار يقطع الأشجار بسيفه ويلقيها على الجانبين يساعده كلبه حتّى شق لنفسه طريقًا بين الأشجار.

اقترب الغول والكلب بسرعة السّهم، فرمى جميل قطعة الحجر الصغيرة، فتحولت في الحال إلى سورٍ ضخمٍ ارتفع بينهما وبين الغول. لم يستطع الغول أن يقفز فوق السور، فأخذ ينزع أحجار السور حجرًا حجرًا

وكلبه يساعده، إلى أن أحدث ثغرةً استطاع أن ينفذ منها ويواصل مطاردته لجميل وجميلة.

وفي المرّة الثالثة، صاحت جميلة: أرى الغول وكلبه يسرع بجواره وسرعتهما تزداد وكأنّهما الريح.

عندئذٍ ألقى جميل خلفه بإناء الماء، وفي الحال ظهر بحر عظيم بينهما وبين الغول، توقف الغول عند الشاطئ وقال: إذا كنتُ لا أستطيع عبور هذا البحر فإنّني أستطيع أن أشربه، وبدأ هو وكلبه يشربان ماء البحر.

أخذا يشربان الماء وانتفخ بطن الغول وظلّ ينتفخ، وانتفخت بطن الكلب وظلّ ينتفخ، وفجأةً دوّى صوت انفجار عظيم. لقد انفجر بطن الكلب، ثم انفجر بطن الغول أيضًا.

عاد جميل وجميلة إلى قريتهما سالمين، وعرف الناس جميعًا ما فعلته الفتيات الشّريرات لجميلة، فلم يتقدّم أحد لخطبتهن، وأخيرًا تركن القرية ليعشن في قريةٍ أخرى.

أمّا جميلة فقد تزوّجت جميلًا، وظلّت تزداد جمالًا على جمالها..

الحكاية السابعة والأربعون

الشاطر حسن

تقول جدتي: أن جارنا أبو البنات تخاصم مع زوجته ووصل الخصام بينهما إلى التطأول بكلام جارح وخشن، تدخلت جدتي لحل المشكلة والتصالح بين الزوج والزوجة، لكن عناد أم البنات وكلامها الغير منضبط جعلها تستلم من أبو البنات كفين أعادها إلى رشدها. بعدها ما هدأت الفوضى حكت جدتي هذه القصة عن سلامة الإنسان في حلاوة اللسان، تقول: كان رجلا يعيش في بيت قديم البنيان مع زوجه وولده، وكان في البيت حيّة تعيش في جحر في أحد حيطانه منذ أمد بعيد، وكان الرجل يكره أن تعيش الحيّة في بيته، ويخشى منها على ولده، وفي ذات يوم رأى الرجل الحيّة تهمّ بدخول جحرها، فأسرع إليها ليقتلها، ولكنها استطاعت أن تفلت منه، وأن تدخل جحرها فتنجو بحياتها، ومنذ ذلك اليوم أضمرت الحيّة للرجل وأهل بيته شرا، وفي صباح ذات يوم، رأت الحيّة ربة البيت تعدّ الفطور لزوجها وولدها، فتضع اللبن في أواني، ثم تصفّ تلك الأواني على منضدة الطعام، فرأت الفرصة مواتية للانتقام من الرجل وأهل بيته فجاءت إلى اللبن وذرفت فيه من السم الزعاف ما يكفي لقتل أناس كثيرين، ثم عادت إلى جحرها فدخلت فيه. وبعد مدة وجيزة استيقظ الرجل من نومه، فسمعت الحيّة زوجته تلومه على كراهيته للحيّة ومحأولة قتله لها، وقالت له (أنتَ هواية غلطان، هاذي الحيّة ساكنة ويانا من سنين، وصارت واحدة من أهل البيت، وأني أحبها مثل ما أحب ولدي) فأجابها : (والله يا زوجتي أني هم متندم على عملي، ومن الآن فصاعدا راح أعامل الحيّة مثل ما تعامليها أنتِ،وأحبها مثل ما تحبيها)، وفي هذا الأثناء كانت الحيّة تنصت لما

قاله الرجل وزوجته، فلقي ذلك القول منها قبولا حسنا، وندمت على ما فعلت من ذرف السم في أواني الحليب، فأسرعت خارجة من جحرها، وذهبت إلى حيث يوجد بعض الرماد، فتمرغت فيه، ثم راحت إلى أواني الحليب فجعلت تغطس في الأواني آنية بعد آنية حتى لوّثت الحليب كله بالرماد، فصار غير قابل للشرب، وأنقذت تلك العائلة من موت محتّم، ثم علمت الزوجة بأمر الحية مع الحليب، وخروجها من جحرها لتلوّثه، كما علمت أن الحيّة إنما فعلت ذلك بعد استماعها لكلامها وكلام زوجها، فقالت في ذلك(اللسان الحلو أيطلع الحية من الزاغور). وهكذا الشخص الذي ينال بحلو لسانه ما لا يناله بقوة.

نعود لحكايتنا اليومية، كان يا مكان في قديم الزمان، كان شاب وسيم الطلعة اسمه الشاطر حسن، كثير الحركة، يعيش على الشطارة والحيلة وخفة الدم، يحبه الناس جميعًا لحسن أخلاقه، وكانت أمه امرأة عجوز صاحبة دين لا تترك وقتًا من الصلاة، تحب ابنها وتدعو له دومًا بالرضى، وكانت تطلب من ابنها أن يتزوج بنت حلال، وصاحبة أصل تساعدهما في أعمال البيت، وتنجب لهما الأولاد من الصبيان والبنات وتفرح به على حياتها، فكان يضحك ويقول: لا أتزوج حتى أجد بنت أحلى من القمر، وطبخها أطيب من طبخك، فكانت أمه تدعو له أن ينال مراده.

في يوم من الأيام وهو يتجول بين الحقول والبساتين، لمح صبية مثل البدر التمام، تضع نقابًا على وجهها وتحمل صينية على رأسها، فاعترضها وسلّم عليها وسألها: ماذا تحملين على رأسك؟ فأجابته: أحمل الغداء إلى والدي في الحقل، فطلب منها أن يذوق طعامها، فوضعت الصينية أمامه، فأكل لقيمات فوجده شهي الطعم لم يذق مثله في حياته، فسألها عن
بيتها، فدلّته عليه ومضت في حال سبيلها.

عاد حسن إلى أمه ملهوفًا، وقال لها: البشارة عندك، لقد وجدت أحلى عروس في البلد، وطعامها أطيب طعام ذقته في حياتي، وطلب منها أن تذهب بسرعة وتخطبها له.

حاولت أمه أن تؤخّره أيامًا حتى تسأل عن أصلها وفصلها قبل أن تخطبها، لكنه أصرّ على رأيه.

ذهبت الأم وخطبت الفتاة، وبعد أيام أقام العرس وتزوجها فسرّ بها، وقضى معها أجمل الأوقات وطبخت له أشهى المأكولات، وبعد فترة من الزمن بدأت الفتاة تسيء معاملة أمه، وتشكو عليها كلّ يوم، وهو يحاول أن يرضيها ويطيّب خاطرها دون جدوى.

في يوم عاد من الصيد ومعه إوزّة كبيرة، وطلب من أمه وزوجته أن يطبخوها بالرز والصنوبر، وخرج إلى عمله، أمرت العجوز كنتها أن تنقّي الرز ولا تضيع منه حبة واحدة، فأخذته وصارت تنقيه فسقطت منها حبة وجاء الديك وأكلها، فأمسكت به وذبحته وأخرجت الحبة منه، فغضبت العجوز منها وبهدلتها وضربتها، فانزعجت الكنّة ودخلت غرفتها وأغلقت عليها الباب.

عاد حسن إلى البيت فوضعت له أمه الطعام، أكل منه فلم يعجبه، سأل أمه: من طبخ الإوزة. فحكت له القصة، فدخل على زوجته فوجدها زعلانة وحزينة، حاول إرضاءها فلم ترضى، قالت له لقد طفح الكيل ولم أعد أتحمّل أكثر من ذلك، إما أنا وإما أمك في البيت.

فكّر حسن قليلًا فلم يجد حلًا سوى أن يأخذ أمه إلى مغارة في سفح الجبل يضعها هناك، ويجلب لها الطعام كل يوم، وبما أنها أصبحت عجوزًا يمكن أن تقضي بقية حياتها هناك وتريح وترتاح.

في الصباح حمل أمه فوق الحمار مع بعض الزاد والماء، وأوصلها إلى المغارة وعاد، وعاشت العجوز في المغارة حزينة وحيدة تصلي وتصوم، وتدعو

الله أن يهدي ابنها ويحفظه ويسعده، وكان حسن يحضر لأمه الطعام والماء كل أسبوع، ويتفقّد أحوالها وحاجاتها ويعود.

في أحد الأيام أتى إلى المغارة شابان جميلان يشعّ النور من عينيهما، فسلّما على العجوز فردّت عليهما أحلى السلام، ودعتهما ليرتاحا ويتناولان الطعام معها، ويسلّيانها فشكراها على كرمها وأخلاقها، وسألها الأول: ما رأيك في الصيف؟ فأجابت: الصيف جميل، ليله مقمر، ونهاره دافئ، وخيره كثير من الفواكه والثمار والخضار الله يبارك فيه.

سألها الثاني: ما رأيك في الشتاء؟ فقالت: الشتاء كله خير، تنزل فيه الأمطار ويزرع فيه الناس ويسهرون حول النار، ولولا الشتاء ما جاء الصيف، ولولا الصيف ما جاء الشتاء.

أعجبهما جواب العجوز، فدعا لها الأول أن يخرج من فمها جوهرة كلما نطقت بكلمة، وأشار الثاني إلى الأرض فتفجّر نبعًا ماؤه كالزلال، ونمت حوله الأشجار وحملت من كل أنواع الثمار، ثم ودّعاها وغابا عن الأنظار، فرحت العجوز وأخذت تشرب من الماء وتتوضأ لكل صلاة، وتأكل من الفواكه اللذيذة، وتحمد الله على هذه النعمة العظيمة.

عندما جاء ابنها يتفقدها شاهد الأرض غير الأرض، والخير كثير والماء وفير، وأمه تعيش في جنة، فتعجّب وسألها عن القصة فحكت له حكاية الشابين، وكلما كانت تنطق بكلمة يخرج من فمها جوهرة، فزاد عجبه وفرحه، واعتذر من أمه، وطلب منها السماح فرضيت عليه، وحملها فوق الحمار وعادا إلى البيت، فاستقبلها الناس والجيران وفرحوا

بالجواهر التي تخرج من فمها، وصاروا يجمعونها ويأخذونها إلى بيوتهم.

لما رأت زوجته ذلك ذهب غضبها وانزعاجها ورحبت بحماتها وصارت تجمع الجواهر منها، ثم اختلت بزوجها وطلبت منه أن يأخذ أمها إلى المغارة التي وضع أمه فيها، فوعدها بذلك.

في الصباح حمل أم زوجته (حماته) ووضعها في المغارة وعاد، وبعد أيام حضر الشابان إلى العجوز الثانية فسلما عليها، فلم ترد عليهم السلام وقالت لهما بلهجة منزعجة: ماذا تريدان، ولماذا أتيتما؟ فسألاها عن بعض الطعام والشراب، فقالت بغضب: ليس عندي لا طعام ولا شراب، فسألها الأول: ما رأيك في الصيف؟ فقالت: كله حرّ وجفاف وتعب وغبار الله لا يعيده علينا، وسألها الثاني: ما رأيك في الشتاء؟ فأجابت: أرذل من الصيف ليس فيه سوى البرد، والثلج

والوحل الله يبعدنا عنه.

غضب الشابان من كلامها وأشار الأول إلى الأرض، فجفّ النبع ويبست الأشجار، واختفت الخضرة وأصبحت الأرض قاحلة جرداء، ودعا لها الثاني أنها كلما قالت كلمة تخرج من فمها حصاة، فشتمتهم وسبّتهم، فتركوها ومضوا في حال سبيلهم.

بعد أسبوع أتى الشاطر حسن ليعيد أم زوجته، بينما جمعت زوجته الناس لاستقبالها بالزينة والطبول والأفراح، ولما وصل حسن إلى حماته العجوز، وجد الأرض قاحلة ليس فيها عرق أخضر ولا نقطة ماء، ورأى حماته تكاد تموت من العطش، والجوع فسألها عن حكايتها؟ فأخذت تسبّه وتلعن الساعة التي تعرّفت بها عليه، وكلما نطقت بكلمة خرجت من فمها حصاة تصيب وجهه، فتعوذ بالله من الشيطان ولعن الطمع وسوء الأخلاق، وحملها فوق الحمار وعاد إلى البيت.

وفي القرية استقبلها الناس لكي يرحبون بعودتها، وينتظرون الجواهر منها، فأخذت تسبّهم وتلعنهم ويخرج من فمها الحصى، يضرب وجوه الناس، فهربوا من أمامها وتركوها وحدها.

لما رأت ابنتها هذا الحال أخذت تبكي وتنتحب على أمها، فوضعها الشاطر حسن وراء أمها فوق الحماروطردها من البيت، وعاد إلى أمه وقبل يدها وطلب منها الرضى والغفران، فدعت له بالتوفيق والسعادة والهناء، وخطبت له بنت الجيران، وعاشوا في هناء وسبات ونبات وخلفوا الصبيان والبنات.

الحكاية الثامنة والأربعين

سوسن والخاتم السحري

في إحدى الليالي اتفقنا أن نمتحن جدتي ونسألها عن جحا الذي كان له موضوع في كتاب المطالعة والنصوص أيام زمان وجحا شخصية خيالية كوميدية في الأدب العربي. هو أبو الغصن دُجين الفزاري الذي عاش نصف حياته في القرن الأول الهجري ونصفها الآخر في القرن الثاني الهجري، فعاصر الدولة الأموية وبقي حيًا حتى حكم الخليفة المهدي، وقضى أكثر سنوات حياته التي تزيد على التسعين عامًا في الكوفة. سألت جدتي هل تعرفين شيئا عن جحا: ابتسمت وأجابت، اعرف الكثير عن نوادر وطرائف جحا واشتهرت حكاياته الظريفة على كل لسان، اسمعوا هذه الحكاية. ذات يوم كان جحا يتسوق، فجاء رجل من الخلف وضربه كفا على خده، فالتفت إليه جحا وأراد أن يتعارك معه، ولكن الرجل اعتذر بشدة قائلا: إني آسف يا سيدي فقد ظننتك فلانا.

فلم يقبل جحا هذا العذر وأصر على محاكمته ولما علا الصياح بينهما اقترح الناس المتجمعين حولهما أن يذهبا إلى القاضي ليحكم بينهما، فذهبا إلى القاضي، وصادف أن ذلك القاضي يكون قريبا للجاني، ولما سمع القاضي القصة غمز لقريبه بعينه (يعني لا تقلق فسأخلصك من هذه الورطة). ثم أصدر القاضي حكمه بأن يدفع الرجل لجحا مبلغ عشرون دينارا عقوبة على ضربه. قال الرجل: ولكن يا سيدي القاضي ليس معي شيئا الآن. قال القاضي وهو يغمز له: أذهب واحضرها حالا وسينتظرك جحا عندي حتى تحضرها. ذهب الرجل وجلس جحا في مجلس القاضي ينتظر غريمه يحضر المال، ولكن

طال الانتظار ومرت الساعات ولم يحضر الرجل، ففهم جحا الخدعة، خصوصا أنه كان يبحث عن تفسيرا لإحدى الغمزات التي وجهها القاضي لغريمه، فماذا فعل جحا؟ قام وتوجه إلى القاضي وصفعه على خده صفعة طارت منه عمامته، وقال له: إذا أحضر غريمي العشرين دينارا فخذها لك حلالا طيبا، وانصرف جحا!

نعود لحكايتنا اليومية كان يا ما كان، يحكى أنه في قديم الزمان كان هناك فتاة جميلة تدعى سوسن، كانت سوسن تعيش وحيدة مع أباها وأمها ترعاهما وتسهر على راحتهما، مرت أيام طويلة ولم يأت أي أحد لخطبة سوسن التي بدأت تكبر في السن شيئًا فشيئًا، بدأت سوسن تشعر بالحزن وتفكر كل ليلة في عيش حياة سعيدة مليئة بالحب والأطفال الصغار

حزن والدها كثيرًا لموت زوجته وأصبح مشغولًا بابنته الوحيدة ولا يكف عن التفكير ليل نهار في مستقبلها، ولمن

سيتركها أن لحق بزوجته هو الآخر، وقد أصابه المرض وأصبح عاجزا عن الحركة وأيامه أصبحت معدودة. وفي يوم تذكر الأب الطيب أن له خاتمًا من الذهب تركه عند صديق له يدعى سلمان، فعندما حس أن ساعته قد اقتربت، دعا سوسن وأخبرها أن تتصل بهذا الصديق لتأخذ الخاتم الذهبي منه وتستعمله في وقت الشدة، فهذا الخاتم سحري!

بكت سوسن عندما فهمت ما يفكر فيه الأب وقالت له: ولكن بقاءك بجانبي يا أبي أفضل من ألف خاتم ذهبي،

وفي يوم من الأيام ماتت والدتها فجأة، فأصاب سوسن حزنًا شديدًا لفراقها وأخذت تبكي كل ليلة وحيدة في غرفتها،

بعد فترة أخذت سوسن تبحث عن صديق والدها لتنفذ وصيته ولكنها لم تعثر عليه، حتى ملت من البحث عنه ويئست أن تجده، وبينما هي تتنزه يومًا

في الغابة وحيدة سمعت صهيل حصان، أخذت تلتفت حولها حتى وجدت شابا وسيما يركب على حصان أبيض جميل جدًا، تقدمت سوسن نحوه وسألته: من أنت يا سيدي؟ فرد الشاب: أنا ابن سلمان، ماذا تفعلين وحدك في الغابة وعمن تبحثين، قالت له سوسن: أبحث عن صديق والدي الذي يدعى سلمان، هل تساعدني؟ رحب الشاب بمساعدة سوسن المسكينة وأخذها إلى منزل والده سلمان.

حكت سوسن إلى سلمان قصة والدها وأخبرته أنها تريد الخاتم الذهبي، قال سلمان: بالفعل إن الخاتم السحري موجود لدي الآن، ولكني لا أستطيع تسليمك إياه في الوقت الحالي، ولكي تستعيديه عليك أن تأتي إلي بورقة مخطوطة بماء الذهب، وستجدي هذه الصورة في صندوق من ثلاثة صناديق متشابهة تمامًا، تعجبت سوسن من كلام الرجل وقالت له أنها لا تعلم أي شيء عن قصة الصناديق الثلاثة، قال لها الرجل أن والدها لم يستطع أن يخبرها بها وإلا يبطل مفعول الخاتم السحري، عليك الآن أن تذهبي إلى منزلك وتبدئين البحث عن الصناديق الثلاثة، تساءلت سوسن : ولكن كيف سأعرف الصندوق الذي بداخله المخطوطة وهم جميعًا متشابهين، قال سلمان : عليك أن تعتمدي على ذكائك للتعرف عليه، فصندوق واحد هو الذي يحتوي على المخطوطة والصندوق الثاني يحوي على عقرب في داخله والثالث يحوي أفعى سامة،أحذري فعليك ألا تخطئين أبدًا في فتح الصناديق وإلا ستعرضين نفسك للموت!

أعطاها سلمان مفتاحا لتفتح الصندوق، عادت سوسن إلى منزلها خائفة تفكر في أمرها ولا تدري ماذا تفعل، أخذت تفتش في المنزل حتى وجدت الصناديق الثلاثة تحت سرير والدها، أخذت تتأملهم بحذر شديد ولا تتجرأ على الاقتراب منهم أو لمسهم، وفجأة خطرت لها فكرة، اقتربت بحذر من الصناديق

وأخذت تنصب بأذنيها لعلها تسمع أي أصوات تأتي من داخل الصندوق لتعلم مكان الأفعى والعقرب، وفعلًا وجدت صندوق واحد لا يصدر منه أي خربشة أو أصوات غريبة، فقررت فتحه وأدخلت المفتاح، وإذا بشعاع ذهبي قوي جدًا يضئ أرجاء المنزل، أخرجت سوسن من الصندوق مخطوطة الذهب وهي تشعر بالسعادة والحماس.

ذهبت مسرعة إلى منزل سلمان وأعطته الورقة، فأحضر لها سلمان الخاتم السحري على الفور قائلا: هذا الخاتم ملك لك الآن ضعيه في إصبعك وامسحي علية مرتين، ثم اطلبي كل ما تتمنين وسيتحقق بإذن الله.

وضع سوسن الخاتم في أصبعها ومسحت عليه وقالت: يا خاتمي الذهبي أريد زوجًا مثاليًا وبيتًا صغيرًا هادئًا وذرية صالحة أربيها في طاعة الله عزوجل، وفعلًا تحققت أمنيتها وعاشت سوسن مع زوجها في سعادة هناء وظل الخاتم السحري في إصبعها لا يفارقها أبدًا، وكانت دومًا تحمد الله الذي أعطاها ما تمنت.

الحكاية التاسعة والأربعين

الفأر والفلاح

في إحدى الأمسيات سئلنا جدتي إذا كانت تعرف قصة ليلى والذئب قالت: نعم اعرفها، تعدّ قصة ليلى والذئب من القصص الخرافيّة من تأليف الكاتب الفرنسي شارل بيرو، ونالت هذه القصّة شهرةً كبيرةً، حيث إنها تتحدّث عن فتاة تُدعى ليلى (ذات القبعة الحمراء) التقت مع ذئب.

تقول الحكاية: ليلى فتاة صغيرة جميلة ونشيطة، تطيع أمها في كل ما تطلبه منها، لذلك فأمها تحبها كثيرًا، وكل الناس تحبها أيضًا، لأنها ذكية جدًا وطيبة، في أحد الأيام حضرت أم ليلى الكعك، وطلبت من ليلى أن تذهب به إلى جدتها العجوز في الغابة، فقالت ليلى: سمعًا وطاعة يا أمي، وأخذت الكعك من أمها، وذهبت إلى الغابة، وكانت ليلى فرحة ومسرورة، لأنها ستزور جدتها التي لم تراها منذ فترة طويلة، وكانت ترقص وتغني وهي في الطريق، وبينما هي في منتصف الطريق سمع الذئب صوتًا في الغابة، فذهب لاستكشاف الصوت، فوجد ليلى، سألها الذئب: أين تذهبين؟ أجابت ليلى: أنا ذاهبة إلى بيت جدتي الذي في آخر الغابة، سألها الذئب: ولماذا تذهبين إلى هناك؟ أجابت ليلى: لأعطيها الكعك الذي حضرته أمي لها، ففكر الذئب بسرعة، وقرر أن يسبق ليلى إلى بيت جدتها، فسلك طريقًا مختصرًا، ووصل إلى بيت جدة ليلى قبل أن تصل ليلى، ودق الباب، فجاء صوت الجدة الضعيف من الداخل: من يطرق الباب؟ فقام الذئب بتنعيم صوته، وقال: أنا ليلى يا جدتي، أحضرت لكِ الكعك، قالت: أنا لا أستطيع النهوض من السرير، قومي يا ابنتي بسحب الحبل الذي بجوار الباب، وبذلك تستطيعين فتح الباب، فتح الذئب الباب، ودخل

إلى البيت، وقام بتقييد الجدة وحبسها ولبس ملابسها ثمّ نام في فراشها، وعندما وصلت ليلى إلى بيت جدتها قامت بدق الباب، فقام الذئب بتقليد صوت جدتها، وقال لها: من يطرق الباب؟ أجابت ليلى: أنا ليلى يا جدتي، أحضرت لك بعض الكعك، الذي صنعته أمي لك، أجاب الذئب (مقلدًا صوت الجدة) : أنا لا أستطيع النهوض، قومي بسحب الحبل الذي بجوار الباب، فسحبت ليلى الحبل، وفتح الباب ودخلت، وعندما اتجهت نحو سرير جدتها، استغربت من شكلها، سألت ليلى: لماذا عينيك كبيرة يا جدتي؟، رد الذئب: حتى أراك جيدًا يا ليلى، سألتها: ولما أذنيك كبيرتين يا جدتي، أجاب الذئب: حتى أسمعك جيدًا، سألت ليلى: ولماذا أنفك كبير؟ أجاب الذئب: حتى أشمك جيدًا يا ليلى، سألتها للمرة الرابعة ولماذا فمك كبير يا جدتي؟ فعندها صرخ الذئب عاليًا، وقال: حتى أكلك به يا ليلى، ونهض من السرير، وهجم على ليلى يريد أكلها، فصرخت ليلى وهربت، وأخذت تجري، والذئب يجري خلفها يريد التهامها، وبالصدفة رأى هذا المشهد صياد بجوار الغابة، فحمل بندقيته، وأطلق النار على الذئب فقتله، سرت ليلى بهذا كثيرًا، وشكرت الصياد على فعلته، وقالت للذئب: أنت تستحق هذا لأنك شرير.

أما حكايتنا لهذه الليلة، كان يا ما كان في قديم الزمان كان هناك فلاح يعيش مع زوجته وكان لديهم مزرعة، وكان لديهم دجاجة واحدة وخروف واحد وبقرة واحدة، وكان يوجد فأرًا يعيش مع الفلاح وزوجته في نفس الكوخ، وفي إحدى الأيام نظر الفأر من خلال شق في الحائط ليراقب الفلاح وزوجته وهما يصنعان لفافة. أصبح الفأر يفكر بينه وبين نفسه ترى ما نوع الطعام التي تحتويه هذه اللفة؟ ولكنه تعجب مرتعبًا عندما اكتشف أنها عبارة عن مصيدة للفئران. فانسحب بسرعة إلى فناء مزرعة الفلاح، وراح يعلن تحذيره بصوت عالي، قد صارت هناك مصيدة فئران في منزل الفلاح. راحت الدجاجة تنبش

الأرض وتنقنق بصوتها (يعرف صوت الدجاجة بالنقنقة)، ثم رفعت رأسها وقالت (يا سيد فأر)، أستطيع ان أقول إن هذا الخبر يحمل الموت لك أنت، ولكن هذا لا يؤثر عليَّ في شيء. وأنا لا أنزعج منه على الإطلاق ترك الفأر الدجاجة وذهب للخروف وقال: هناك مصيدة فئران داخل منزل الفلاح، مرددا بنغمة أن هناك مصيدة فئران داخل منزل الفلاح. تعاطف الخروف مع الفأر ولكنه قال (يا سيد فأر)، أنا ليس أمامي شيئًا أقدر أن أفعله لك، ولكنني سأذكرك في صلواتي.

ذهب الفأر إلى البقرة وقال منغمًا هناك مصيدة فئران داخل منزل الفلاح، هناك مصيدة فئران داخل منزل الفلاح. فقالت البقرة واو (يا سيد فأر)، أنني آسفة من أجلك، ولكن هذا لن يحرك ساكنا فوق أنفي.

وهكذا عاد الفأر إلى المنزل، وجلس مكتئبًا، كي يواجه خطر مصيدة الفلاح منفردًا. في نفس هذه الليلة سمع صوت عبر أرجاء المنزل، وقد كان صوت انقباض مصيدة الفئران على ضحيتها. فاندفعت زوجة الفلاح لترى الصيد، ولكنها في الظلام لم تر الصيد وقد كان عبارة عن حية سامة أطبقت المصيدة على ذيلها. لدغت الحية السامة زوجة الفلاح. فأسرع بها زوجها إلى المستشفى، وعندما عادت إلى المنزل كانت قد أصيبت بحمى شديدة احتاجت فيها إلى الراحة التامة والغذاء، لذا قد قام زوجها بذبح الدجاجة لتكون طعامًا لها في مرضها. ولكن مرض زوجة الفلاح استمر لفترة، وهكذا توافد الأصدقاء والجيران للسؤال عنها وليساندوا الفلاح طوال تلك الأيام. ولكي يطعمهم الفلاح ضيوفه ذبح الخروف. ولكن للأسف لم تتماثل زوجة الفلاح للشفاء، وفي النهاية توفت. وهكذا حضر كثير من الناس والأقارب إلى جنازتها، واضطر الفلاح هذه المرة إلى ذبح البقرة ليجد لحمًا يكفي كل هؤلاء الناس، وكان الفأر يراقب كل هذه الأحداث بحزن من داخل جحره.

هذه الحكاية يا أولادي نتعلم منها كم مرة عرفنا أن شخصا ما يواجه مشاكل، فلم نهتم بمساعدته وفضلنا الصمت والتجاهل ما أحلى المساندة والتكاتف حتى لو بحلو الكلام. وتصبحون على خير.

الحكاية الخمسون

اشتغل في صنعة أبيك

في هذا اليوم حاولنا أن نصنع لنا فرارات ولم تنجح تجربتنا وخسرنا الورق اللامع والعيدان، والفرارات تصنع من ورق ملون مربع الشكل تقص رؤوسها إلى مسافة مناسبة، ثم تثقب الورقة من وسطها ويقوى الثقب بقطعة مقوى صغيرة مثقوبة أيضًا من وسطها، ثم يلصق عدد الرؤوس الجديدة على قطعة الورق المقوى وتترك الرؤوس الأخرى سائبة على أن تكون بين رأس وآخر يلصق رأس ويترك الثاني بالتتالي، يمرر في الثقبين عود من جريد النخل الجاف بعد تنظيفه من شوائبها، وتكون نهايته مدببة ليمسك بها الطفل حينما يواجه بها الهواء وهي تدور بيده، وأغلب أطفال المحلة كان أهلهم يصنعون لأطفالهم وحين يقتنون الفرارة يرفعونها عاليًا ويجرون مسرعًا في الأزقة فرحين بدورانها. لكن جدتي تدخّلَت بعدما فشلنا في صنع الفرارة، قالت : جمعت كمية من الصمون والخبز اليابس (الغير معفن) الذي سيقوم بائع الفرارات بأخذه مقابل إعطائكم فرارات، وبدوره يبيعه لبائع الحلويات وخاصة صانعي الزلابيا رخيصة السعر، ويقوم الحلواني بدق الخبز والصمون وخلطه مع الطحين الذي تصنع منه الزلابيا، أو عمل جريش بعد خبطه مع السكر ووضعه تحت قوالب الزلابيا؛ لتكون فاصلة بين الصينية والزلابية، وهكذا بائع الفرارات يحصل على ربح زهيد يحصله جراء ذلك ويوفر له القوت اليومي لأفراد أسرته، وبائع الفرارات رجل بسيط يحمل بيده مجموعة من الفرارات الملونة بالألوان البراقة ويتجول في الأزقة والأحياء؛ ليبيعها للأطفال الذين يستأنسون بها.

البائع يصنعها بيده بعد أن يوفر المواد اللازمة لصناعاتها والتي لا تتعدى الورق اللامع (والشريز) وقطع من العيدان يساعده بذلك أفراد أسرته ليحملها في اليوم الثاني على كتفه وهو ينادي بأعلى صوته (فرارات، فرارات، شندل مندل، فرارات) دون إن يفهم أطفال الأزقة المغزى من كلماته، وهذا الصوت الجهوري يجتذب إليه أطفال المحلة ويتبعونه لشراء فراراتهم المصنوعة من ورق (الزرق ورق)، أولادي انتظروا قدومه وستحصلون على الفرارات.

أما حكايتنا لهذه الليلة، يُحكى أنه كان هناك شابّ زاهد متعبّد يرتدي ثياب الزاهدين، من ثوبٍ أبيض وعمامة خضراء وغيرها، وكان هذا الشاب هو الذي يعيل أمه وإخوانه بعد وفاة والده، وفي ذات يوم ضاقت في وجهه سبل العيش ولم يجد عملًا، أو أي شيء يرتزق منه، وكان يتمشّى في أحد الأيام في سوق البلدة والحزن يخيّم عليه وعلامات اليأس والقنوط ترتسم على وجهه، فرآه شخصٌ من معارفه، وسأله ما الذي بك يا فلان؟ أراك على غير وضعك الطبيعي، فأخبره عن حاله وعن الوضع الماديّ الصعب الذي يعيش. فقال له: أعمل يا أخي في صنعة أبيك وتوكّل على الله؟ ولما كان الشابّ لا يعرف ما هي صنعة أبيه لأن والده مات وهو صغير توجّه إلى أمه وسألها قائلًا: ماذا كان أبي يعمل يا أمي، وما هي صنعته؟ فتغيّر وجه الأمّ وأصابها شيء من الوجوم وقالت بشيءٍ من عدم المبالاة: كان أبوك يعمل في التجارة يشتري ويبيع ويربح ويرتزق من ذلك، غير أن الشابّ لم يقتنع بهذا الكلام فقال لأمه: والله إن لم تخبريني عن صنعة أبي لأترك هذا البيت ولن أعود إليه مرة أخرى. ولما رأت الأمّ الإصرار في نبرات ابنها وفي نظرات عينيه، وأيقنت أنه يعني ما يقول تنهدت وهي تقول: وماذا كان يصنع أبوك يا ابني؟ كان لصًا يحمل عَتَلَةً وهي عمود من الحديد له رأس عريض يستعمله البنَّاءُ ويُهدم به الحائط، ونَبُّوتَا وهي العصا الغليظة

المستوية وهذه أدوات صنعته، فيفتح أبواب الناس خلسة في الليل بالعتلة، ويضرب بالنبوت من يجيء في وجهه من الناس، لقد قضى أبوك أكثر أيام حياته هائمًا على وجهه في الجبال مطاردًا من الناس ومن الحكومة، وقضى بقيّة أيامه في السجون، وكنت لا أراه في السنة إلا لأيام قليلة، وصدّقني إني كنت أتمنى له الموت حتى يريحني ويريح نفسه، وسكتت الأم بعد أن أفرغت ما لديها من كلام طالما كتمته ولم تُصرّح به، ولكن دمعات خفيفة ملئت مقلتيها.

أما الشابّ فذهب إلى السوق وأشترى عتلة ونبوتًا، وقرّر أن يشتغل في صنعة أبيه، بعد منتصف الليل سار لوحده يحمل أدواته المذكورة حتى وصل إلى قرية مجاورة، وكان الظلام حالكًا والليلة غير مُقمرة مما يُسهّل مثل هذه الأعمال، وتوجّه إلى أول بيتٍ صادفه في طرف البلدة، وبالعتلة الحديدية فتح الباب الخشبي بخفة ورشاقة دون أن يُحدث صوتًا أو ضجّة، ونظر داخل الغرفة وإذا برجل وامرأة ينامان على سريرهما، فأغلق الباب وقال: أعوذ بالله من أعمال الشيطان، وأخذ يلوم نفسه ويقول: من أعطاني الحقّ في فتح بيوت الناس وكشف أسرارهم وعورتهم، ثم ترك البيت وذهب للبيت المجاور، وبخفة ورشاقة فعل به كما فعل بالبيت الأول، وإذا بفتاة وحيدة تنام على سريرها، فتعوّذ بالله من الشيطان مرة أخرى وأغلق الباب، وقال لنفسه: إنّ هذه الأعمال التي أقوم به هي أعمال لا يرضاها الله، فترك هذا البيت وسار إلى البيت الذي يجاوره، وفتح بابه بعتلته كما فتح سابِقَيه ونظر داخله وإذا به يرى بضعة جِرَار، فقال الآن أصبح الوضع أحسن مما كان عليه في الأول، ثم دخل وفتح جرّةً من هذه الجرار وإذا مليئة بالقطع الذهبية والنقديّة، وفتح بقية الجرار، ونظر داخلها مثل الجرّة الأولى، فقال لنفسه: إن هذا المال له أصحاب إدخروه ووفّروه وتعبوا من أجله، فمن أعطاني الحقّ في سرقته، والله لن أسرقه ولكنني سآخذ منه الزكاة، سأقسمه وآخذ منه العُشْر، فأشعل سراجًا

كان هناك وأفرغ واحدة من هذه الجرار، وبدأ يعدّ ويخرج تسعة قطع ويضعها في ناحية، ويضع قطعة واحدة في ناحية أخرى، وهكذا وهو على هذه الحالة يعدّ تسعة هنا وواحدة هناك أذَّنَ مؤذّن البلدة لصلاة الفجر، فترك العدّ وفَرَشَ عباءته وأخذ يصلّي الفجر، ومرّ الناس إلى المسجد فرأوا البيت مفتوحًا والسراج مضيئًا فتنافروا وأتوا بهراواتهم وعصيهم، وتحلّقوا حول الرجل، ولكن عندما رأوه يصلّي تركوه حتى يكمل صلاته، وبعد أن فرغ من الصلاة أحاطوا به وقالوا له: ما الذي تعمله هنا؟ وكيف تفتح بيوت الناس وتأخذ أموالهم؟ وما الذي تعمله في هذا المال حتى جعلته قسمان: فقال لهم: أتركوني وسأخبركم بالحقيقة، ثم سرد عليهم قصته بكاملها، فقال أحدهم وكان أكثر الناس لغطًا: أما البيت الأول الذي فتحته ورأيت به الرجل والمرأة وسترتهم وأغلقت عليهم الباب، فهذا بيتي والرجل الذي رأيته هو أنا والمرأة زوجتي، أما البيت الثاني الذي فتحته ورأيت به الفتاة وسترتها وأغلقت عليها الباب فهذا بيتي أيضًا والفتاة هي ابنتي الوحيدة، أما البيت الثالث الذي به المال وهو هذا البيت، والذي لم ترضَ أن تسرق منه المال بل اكتفيت منه بالزكاة فهو بيتي أيضًا وهذا مالي، ولأنك شابّ مؤمن وتقيّ فقد زوجتك ابنتي الوحيدة التي رأيتها وقاسمتك في مالي هذا الذي بين يديك، وأعطيتك بيتًا من هذه البيوت تعيش فيه مع زوجتك، فخرَّ الشابُّ راكعًا لله يشكره ويحمد فضله، على أن هداه وأبعد عنه إغواء الشيطان، ثم ذهب إلى بلده وأتى بأمه وإخوانه؛ ليعيشوا معه في هذا العزّ الذي لم يكن يحلم به.

وهكذا نرى مدى تأثير الإيمان على النفوس، وعلى الأخلاق السامية النبيلة، وكيف تقود الإنسان إلى عمل الخير ونبذ الشر والفساد.

معاني الكلمات والجمل:

١. التكلان: مختصر التوكل على الله.
٢. پارة هي عملة عثمانية، ضُربت في عهد السلطان مراد الرابع.
٣. قوري: إبريق الشاي.
٤. ديس العنزة: تسمية لنوع من العنب شكل الحبة يشبه الكرة الصغيرة.
٥. (يا حوته يا منحوتة هدي كمرنه العالي) نشيد كان الصبية يرددونه كلما حصلت ظاهرة الخسوف ظنًا منهم أن هنالك حوتًا سماويًا كبيرًا الْتهَم القمر، فهم بطرقاتهم على القدور والأواني وتهديدهم وهتافاتهم سوف يخيفون هذا الحوت ليترك القمر. شيء جميل أن نرى الأطفال وهم يطلبون للقمر؛ لكي يخلصونه من الحوت.
٦. كلمة (استكان) فأصلها إنكليزي؛ حيث أن الجنود البريطانيين الذين كانوا في الهند أيام الاستعمار البريطاني لشبه القارة الهندية عندما كانوا يعودون بإجازاتهم إلى بريطانية يأخذون معهم (بيالة) الشاي الهندية أي قدح الشاي، ولأن الإنكليز كانوا يتناولون الشاي بـ(الكوب) وهو فنجان زجاجي كبير يوضع في طبق من ذات اللون والحجم والطراز، وتمييزًا لقدح الشاي الهندي (البيالة) عن (الكوب) الإنكليزي أطلق هؤلاء على القدح اسم (استكان) وهي تسمية من ثلاثة مقاطع تشرح أصل الإناء أو القدح East شرق،Tea شاي، Can إناء (East-tea-can) أي قدح الشاي الشرقي! وهكذا جاء الجنود الإنكليز بهذه اللفظة معهم إلى العراق، ولأن كل ما يتعلق بالشاي كان من الأمور الجديدة الدخيلة على حياتنا الاجتماعية فقد أخذ العراقيون لفظة (استكان) مدغمة متصلة للسهول.

٧. البلبول وهو فتحة صب الشاي من إبريق الشاي.
٨. تنفك: تفتح
٩. حلوك: حلوق يوصَل ما بين الفم والمريء
١٠. قجغ: تهريب
١١. العرق: مشروب كحولي والذي يصنع محلي بعيد عن أعين الرقابة يسمى عرق قجغ.
١٢. أبو الكلبجة، وهو من أرخص وأحقر أنواع العرق، حيث كان يَسطل شاربه من أول قدح، وغالبًا ما كان ينتهي شاربه في موقف الشرطة، لذا سُمي بعرق أبو الكلبجة.
١٣. السّيرج: زيت السمسم.
١٤. مرگه: المَرَقُ: الماءُ أُغلي فيه اللَّحْمُ فصار دَسِمًا.
١٥. الدبس: عسل التمر.
١٦. كيلة: وِعاءٌ يُكال به الحبوب، ومقدارُه الآن ثمانية أَقداح.
١٧. الچكچك: تثقيب الورقة بالإبرة.
١٨. مرتي: زوجتي.
١٩. باب الطوب: اسم منطقة في مدينة الموصل.
٢٠. بيجي: مدينة تقع منتصف المسافة بين بغداد والموصل.
٢١. عرك: العرق المذكور سابقًا.

الفهرست

م	اسم الحكاية	رقم الصفحة
١	الرجل المجنون والديك.	١١
٢	الخنفساء.	١٤
٣	وصية الأب.	١٨
٤	ولاية البطيخ.	٢١
٥	الحيلة ومكر النساء	٢٥
٦	من دهاء النساء.	٢٩
٧	عادات أهلنا. جزء ١	٣٢
٨	من عادات أهلنا جزء ٢	٣٦
٩	أبو نية وأبو نيتين.	٤٠
١٠	دم البقرة الصفراء.	٤٤
١١	حزورات جزء ١	٤٨
١٢	حزورات جزء ٢	٥١
١٣	حزورات جزء ٣	٥٥
١٤	جمل تعجيزية.	٥٩
١٥	السلطان الكذاب.	٦٣
١٦	تيتي تيتي مثل ما رحتي جيتي.	٦٧
١٧	ملا حسن والمعلم.	٧١
١٨	القاضي وبائع الدجاج.	٧٤
١٩	العجوز وصحن الدبس.	٧٨

٢٠	الطير الأخضر.	٨٢
٢١	أبو البنات وأبو الأولاد.	٨٥
٢٢	مكر النساء.	٨٩
٢٣	الصبية والبزاز.	٩٣
٢٤	صالح وزوجتاه.	٩٧
٢٥	ابتسامة.	١٠١
٢٦	أم أصبع وأخواتها.	١٠٤
٢٧	فنجان صار عدنان.	١٠٧
٢٨	دهاء النساء.	١١١
٢٩	أبو البنات السبع وأبو الأولاد السبعة.	١١٤
٣٠	اللص العنيد.	١١٨
٣١	سلمان والأخت والسعلوة.	١٢١
٣٢	الملك والوزراء الثلاثة.	١٢٤
٣٣	الحطاب والملك.	١٢٨
٣٤	حكاية حديدان والسعلوة.	١٣١
٣٥	كثرة اللقم تطرد النقم.	١٣٥
٣٦	فراسة فتاة.	١٣٨
٣٧	أربع حكايات لبهاء الدين قراقوش.	١٤٣
٣٨	أربع رغبات.	١٤٧

٣٩	حكاية القطاه والغزالة والحمار.	١٥١
٤٠	الرجل الفقيروالعجوز والقطع الذهبية.	١٥٥
٤١	حكاية الغولة والأخوة.	١٥٩
٤٢	الغولة والبنات.	١٦٤
٤٣	ست الحسن وعلاء الدين.	١٦٨
٤٤	قصه القاضي والثلاثة الأخوة.	١٧٣
٤٥	صانع المعروف.	١٧٧
٤٦	البنت والغول.	١٨١
٤٧	الشاطر حسن.	١٨٥
٤٨	سوسن والخاتم السحري.	١٩١
٤٩	الفأروالفلاح.	١٩٥
٥٠	اشتغل في صنعة أبيك.	١٩٩

رسالتنا في المكتبة العربية للنشر والتوزيع:

نشر كل إنتاج إبداعي ذي جودة عالية وأفكار أصيلة تعبر عن هويتنا العربية وتاريخنا العريق، تحترم قيم مجتمعنا ومعتقداته، لا تساعد في نشر العنف أو العنصرية، ترسّخ لمبدأ المساواة والحرية والعدالة. والسعى نحو الارتقاء بالأدب العربي في كافة مجالاته، والوصول به نحو العالمية.

لمراسلتنا بشأن نشر الأعمال الأدبية

Gmail arabiclibrary2017@gmail.com

صفحتنا على موقع الفيسبوك

facebook facebook.com/arabiclibrary2017

طبعت بمطبعة يسطرون

01229300029 - 01157760052 - 01030244751